

الكتب وجحانات نظر

في الشاعرة والسياسة والفن

Weghat Nazar - Volume 5 - Issue 60 - January 2004

مجلة شهرية، العدد الستون، السنة الخامسة، يناير ٢٠٠٤، الثمن عشرة جنيهات

عام سقوط الأقنعة / سلامة أحمد سلامة ◆ أبى طه حسين / مؤنس طه حسين ◆

أسئلة المحاكمة / أيمن الصياد ◆ مالك بن نبي / محمد الميلي ◆ من من لا يذكر أمينة / هاشم النحاس



حسين بن علي / عبد الحليم بن علي ◆ موكدة كسرة / مصطفى كسرة / مصطفى كسرة

موالد الأقباط في مصر / كلوديا وينز

Per.
306.08
927

رئيس التحرير
سلامة أحمد سلامة
رئيس التحرير الفني
حلمي التوتوني
مدير التحرير
أيمن الصبياد

الكتب
وجهات نظر
في الثقافة والسياسة والفكر
تصدر عن:
الشركة المصرية
للنشر
العربي والى

رئيس مجلس الإدارة
إبراهيم المعلم

السنة الخامسة
العدد الستون
يناير ٢٠٠٤
عضو مجلس الإدارة للشعب للإنتاج
أحمد الزبدي
البحوث والناشر
هديل شليم



محتويات العدد:

- ٣ • سلامة أحمد سلامة
نون، دعاء سقوط الأندلس.
- ٦ • جورج سوروس
«ظفاعة الهمهمة الأمريكية».
- ١٠ • تشارلز جونسون
«بينز الحروب».
- ١٤ • عبد العليم الأبيض
من هداية العالم إلى تدمير.. إندولوجيا الدين.
- ١٨ • كاتيا ديفينياخ
«When Religion Becomes Evil»، تأليف: شارلز كيمبال
- ٢٦ • أيي طه حسين
«حروب الغرب الجديدة».
- ٣٠ • رضوى عاشور
«صبرا وشاتيلا.. تاريخ الفجيعة».
- ٣٦ • كلوديا وينز
«صبرا وشاتيلا، ٨٢، تأليف: بيان نويهض الحوت».
- ٤٤ • نيل عبد المجيد صالح
«Coptic Life in Egypt» من كتابه:
- ٤٩ • دأمة البحث العلمي في مصر،
مينا بديع عبد الملك.
- ٥٠ • «أصوات قبطية من الماضي».
- ٥٠ • مارتن جارنر
«أكلت لحوم البشر.. حقيقة أم خرافة؟».
- ٥٢ • هاشم النحاس
«من مينا لا يذكر «أمنية؟» نجيب محفوظ في السينما المصرية».
- ٥٨ • محمد الميلى
«مالك بن نبي ولفسفة الخروج من التخلف».
- ٦٤ • الطاهر أحمد مكي
«عندما كانت إسبانيا تتكلم العربية وتدين بالإسلام».
- ٧٠ • حلمي محمد القاعود
«دين المالوة والمدافعة.. العدل أساس الملك».
- ٧٤ • إصدارات جديدة
«أين الصياد».
- ٨٢ • قراءة: «أسئلة المحاكمة».

كتب العدد:

- الطاهر أحمد مكي.. أستاذ الأدب المقارن وعضو مجمع اللغة العربية.
- أيمن الصبياد.. صحفي.
- تشارلز جونسون.. كاتب أمريكي وأستاذ متفرغ في العلوم السياسية.
- جورج سوروس.. ملياردير أمريكي من أصل مجري.
- حلمي محمد القاعود.. أستاذ الأدب والنقد بجامعة طنطا.
- رضوى عاشور.. روائية. أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة عين شمس.
- سلامة أحمد سلامة.. صحفي.
- عبد العليم الأبيض.. الوزير القوي الإعلاني لصدر في واشنطن سابقاً.
- كلثوم ديفينياخ.. أستاذة مساعدة في أكاديمية برلين للفنون.
- كلوديا وينز.. معصرة فوثوغرافية مقيمة في مصر.
- مارتن جارنر.. كاتب أمريكي متخصص في الثقافة الطبية.
- محمد الميلى.. المدير العام السابق للمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة.
- مينا بديع عبد الملك.. أستاذ الرياضيات بالجامعة الأمريكية في القاهرة.
- نيل عبد المجيد صالح.. الأستاذ المتفرغ بالمركز القومي للبحوث.
- هاشم النحاس.. ناقد سينمائي.

رسوم العدد للفنانين:

محمد جنى، محمد حاكم، سعد الدين شحاته، أحمد اللياد
لوحة الغلاف للفنان حلمي التوتوني، (رُيت على خشب ٨٥ × ٦٠ سم)
من معرض «تحتية إلى الفن القبطي»



يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعوات ورقية
أو غير الحسابات لكل أو بعض المقالات المنشورة أو أجزاء
منها، بغض عن كتابي مسبق من الناصر.



المراسلات:

الشركة المصرية للنشر العربي والدولي
٣ ميدان طلعت حرب، القاهرة، جمهورية مصر العربية
ت: ١٤٠-١٤١ / ٢٩٢-١٤٢ / ٢٩٢-١٤٦ / ٢٩٢-١٤٨ فاكس: ٢٩٢-١٤٨ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني (التحرير): info@alkotob.com
e-mail: info@alkotob.com
الموقع على الإنترنت: www.weghanazar.com

الاشتراكات:

السنة الواحدة (أثنا عشر عدداً) شاملة أجرة البريد: داخل مصر: ١٠٠ جنيه مصري -
اتحاد برید عربي: ٦٠ دولاراً أمريكياً - أوروبا وأفريقيا: ٧٠ دولاراً أمريكياً - أمريكا
وتنجا: ٨٠ دولاراً أمريكياً - باقي دول العالم: ١٠٠ دولاراً أمريكياً.
إدارة الاشتراكات: ٨ شارع سيوفيه المصري، ص. ب: ٢٢ البانوراما - مدينة نصر
هاتف: ٠١٠٣٣٣٩٩ - فاكس: ٠١٠٣٨٥٦٦ - e-mail: wegat@alkotob.com

ثمن النسخة:

في مصر: ١٠ جنيهات مصرية. السعودية: ١٥ ريالاً - الكويت: ١,٥ دينار - الإمارات
٢٠ درهماً - البحرين: ديناران - قطر: ١٥ ريالاً - عُمان: ريالان - لبنان: ٥٠٠٠ ليرة - سوريا
١٥٠ ليرة - الأردن: ديناران ونصف - ليبيا: ديناران - الجزائر: ٢٠٠ دينار - المغرب: ٣٠ درهماً
تونس: ٤٠ دينار - اليمن: ٣٠٠ ريال - فلسطين: ٣ دولارات.

Austria, France, Germany and Italy: EURO 6 - United Kingdom £3 - USA \$5.

طبع بمطبع الشروق بالقاهرة

“نوء”

عام سقوط الأقنعة



سلامة أحمد سلامة

تقنيات عن العثور على أي أثر لاسلحة نووية أو كيميائية أو بيولوجية..
وحينئذ تحولت الأنظار إلى حجة جديدة، تحاول أن تجد رابطاً ما بين النظام العراقي وتنظيم «القاعدة»، وأن تقول للعالم إن النظام العراقي كان مسؤولاً عن احتضان عناصر الإرهاب ودعمها وتوليها. ولكن هذه الحجة بدورها لم تثبت طويلاً.
ويسرعة شديدة تحولت الحرب النفسية التي تشنها أمريكا لخداع الرأي العام الأمريكي والعالمي، إلى ادعاء مؤذاه أن الهدف من الحرب هو إسقاط نظام ديكتاتوري طاغ، تعذب شعب العراق تحت وطأته ثلاثين عاماً.. وأن أمريكا بإزالة هذا النظام سوف تفلح أسر الشعب العراقي من قيوده، وتحرره من نظام وحش لا يصرف الرحمة، وتزرع له شجرة الديمقراطية والحرية، وتعيد له كرامته وحقوقه المهدورة، ليكون

والبراديس إلى مجلس الأمن يؤكدان فيه أن فرق التفتيش لم تشرع على سلاح الجريمة.
يتبين الآن، وبناء على شهادة روين كوك وزير الخارجية البريطانية السابق، أن قرار الحرب على العراق كان قد اتخذ حتى قبل أن تنسب أمريكا إلى مجلس الأمن، وقبل موافقة حكومة بلير على المشاركة في هذه الحرب، وأن القرار كان نهائياً ولا رجعة فيه، وهو ما أكدته تصريح رامسفيلد وزير الدفاع في حينه بأن أمريكا مستعدة لخوض الحرب بغرفها إذا لزم الأمر.
ولم يكن هذا هو أول فئاع يسقط، بل تلاه سقوط الأقنعة واحداً بعد الآخر حين دخلت القوات الأمريكية العراق، وتشكلت قوة خاصة من خبراء وزارة الدفاع للبحث عن أسلحة الدمار الشامل، وعجزت هذه الفرقة التي استخدمت أفضل ما لديها من

■ يصعب على المرء وهو بعيد النظر، إمعاناً وتدقيقاً، في أحداث عام منصرم، أن يثر على وصف يختزل الحالة الذهنية لمشاهده ومعاركه حروب وكوارث، وانتهاك للمسلح المتماثلة، بكل ما الطوت عليه من المتبادئ، وإذلال للشعوب والدول، وسقوط للرموز والتماثيل، إلا أنه عام سقوط الأقنعة والتضاض الضباب... مع بدايات هذا العام أخذت تظهر معالم الصورة بجلالة.. صورة المشروع الأمريكي الإمبراطوري، الذي جرى الإعداد له بدقة وتخطيطاً تميزاً بكثير من الدهاء والقسوة والتفوق العسكري والتقني، التي حفظ التاريخ أمثلة منها، ابتداء من غزوات التتار، وفتوحات الإمبراطورية الرومانية، والحروب الاستعمارية، وانتهاء بحروب التوسع في القرن العشرين سيماً وراء «الجال الحيوي» الذي يسمح للإمبراطورية النازية الصاعدة أن تعتمد فيه، لتفرض سيطرتها على مصادر الطاقة والثروات الطبيعية في أوروبا والعالم دون منازع، وكان التاريخ يعيد نفسه. وحتى أواخر عام ٢٠٠٢ لم تكن الأهداف الأمريكية قد انكشفَت شاماً، وظلت العواصم الأوروبية وبعض دول عربية تحاول مقتنعة بأنها لو نجحت في إغراء النظام العراقي بالتعاون مع فرق التفتيش التابعة للأمم المتحدة ليكشف لها من مكان أسلحة الدمار الشامل التي اتخذتها واشتطن ذريعة لتلهيد بمعملية عسكرية ضد العراق، لأمكن تجنب الحرب. ولكن الفئاع سقط من على وجه السياسة الأمريكية ونواياها الضورة حين بدأت القوات الأمريكية تتجند في منطقة الخليج، ضاربة عرض الحائط بالتقرير الذي قدمه العراق يحدد فيه مواقع السلاح العراقي ومخابئه، ودون اكترات بالتقرير الذي قدمه هانز بليكس

نموذجاً للديمقراطية في المنطقة العربية كلها.



كان من الضروري في إطار تحرك أمريكي بريطاني واسع بعد أن أعلنت أمريكا ولقد العمليات العسكرية في العراق في مايو الماضي، إيماناً بالنصر والقضاء على النظام العراقي وقلوه، محسوبة عن أكبر عملية لتزييف وخداع لشعوب المنطقة، وبما يضمن في الوقت نفسه تهدئة الشكوك والتوترات التي بدأت تجتاح المواطن الأمريكي وتشير إلى السياسيين والعسكريين في العاصمة الأمريكية..
فهشوع الديمقراطية في العراق، كما أعلنت واشتطن، ليس غير خطوة أولى تتلوها خطوات لتشر الديمقراطية وإصلاح النظم السياسية والتعليمية والاقتصادية في المنطقة العربية.. وفي إطار مشروع أطلقت عليه مشروع الشراكة الأمريكية مع العالم العربي، جرت تحركات واتصالات واسمة، تراوحت بين التهديد والوعيد، وبين التلويح بسيف المعز، وذهب، وبين عود بالمنح وعود بالمنع، لحمل الأنظمة العربية على اتخاذ إجراءات داخلية لما تسميه تخفيف مناهج الإرهاب والقضاء على «القاعدة»، التي ظن المحافظون الجدد أن الأصولية الإسلامية المتشددة التي تستند إليها أنظمة الحكم في عدد كبير من الدول العربية هي التي احتضنتها وبولتها. وحدثت كتابات أمريكية عديدة الواهية، باعتبارها رأس الحرية التي يجب اقتلاعها من بعض النظم العربية وبالأخص في السعودية واليمن.
وربما لم تترك أطراف عربية عديدة



حتى أواخر عام ٢٠٠٢ لم تكن الأهداف الأمريكية قد انكشفَت تماماً.
وظلت العواصم الأوروبية وبعض دول عربية تحاول مقتنعة بأنها لو نجحت في إغراء النظام العراقي بالتعاون مع فرق التفتيش التابعة للأمم المتحدة ليكشف لها عن مكان أسلحة الدمار الشامل، وأمكن تجنب الحرب.



معها أن إقدام القوات الأمريكية أخذت تفوس في الوحل، وتوشك أن تعيد بأساة هيثمنا، وهو ما انعكس سريعاً على المزاج العام في أمريكا، وأثار تساؤلات حول الدوافع الحقيقية للحرب في العراق، ومدى كفاءة التقديرات العسكرية لرامسفيل، وما إذا كان من الحكمة، حتى وإن صحت دوافع بوش في محاربة الإرهاب وإسقاط النظام العراقي، أن تخوض أمريكا هذه الحرب منفردة ضد إرادة المجتمع الدولي والأمم المتحدة. وبالرغم من الأساليب الملتقطة التي لجأت إليها إدارة بوش لحرمات الرأي العام الأمريكي من معرفة الحقائق، سواء فيما يتعلق بما يجري في العراق أو في فلسطين، أو في أجزاء أخرى من العالم، إلا أن بعضاً من بعيص الحقيقة أخذ يتسرب إلى كنف الأعمى، لتدعيت المخطط الكائن وضعه التحالف المسخي الصوري مع اليمين المحافظ، للاستيلاء على الحسم الأمريكي وإقامة الإمبراطورية الموعودة.



بعض أحداث التاريخ يتكفل الزمن بكشف أبعادها وفهم أسرارها وحل تعقيداتها، وبعضها تفصح عنه عبارات تأتي وتلده مواقف الصعبة والخطوات الحرجة.. ولهذا كانت ثورة الغضب وربما الخبط التي اجتاحت العالم، حين وقف محاضير محمد سعيد رئيس وزراء ماليزيا الداهب إلى الاعتزال، يعري الحقيقة التي اغضب العالم عينه عنها وهي أن الأوروبيين قتلوا في معسكرات الاعتقال ستة ملايين يهودي، ولكن اليهود اليوم هم الذين يحكمون العالم بالنيابة، ويحركون الدول الأخرى لخوض الحروب لتسليمهم تحت غطاء محاربة الإرهاب طبعاً.. ولم تكن تصريحات محاضير محمد غير قراءة بالصوت العالي لحقيقة يتستر الجميع عليها. ومن ثم جاءت تصريحات الجنرال الأمريكي وليام بويكين، أحد كبار القادة العسكريين

خلالها، واسططت مصرية لإفناء الفصل الفلسطيني بإعلان هدنة مؤقتة، بحجة إقناع إسرائيل برفع الحصار عن الضفة وبدء مفاوضات الخريطة... ولم تعجب إسرائيل بالهدنة ولا بالخريطة، وبدلاً من أن يطلب استسلاماً فلسطينياً كاملاً بتفكيك المنظمات، وتسليم قياداتها لإسرائيل، ونزع أسلحتها، ونفى عرفات أو قتله، وكانت المفاجأة التي أزيكت شارون وهزت حسابات بوش الذي ساند السياسة الإسرائيلية في السروست عليها في الحلين، هي إلغاء الفصل الفلسطيني للهدنة من جانب واحد واستئناف عملياتها الانتشهادية بإعفاء ما كانت عمداً، مما أدى إلى سقوط «ابو مازن»... وللعودة مرة أخرى إلى طلب العون من عرفات، ولكن شرط أن يكون بدون عرفات! في أشداء ذلك، ومع قدوم الخريف، وإقتراب بدايات حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية، كانت أعداد الخسائر والإصابات في صفوف قوات الاحتلال الأمريكية تتصاعد يوماً بعد يوم مع اشتداد هجمات المقاومة العراقية، واتساع نطاقها لتشمل مقر الأمم المتحدة ومبنى الصليب الأحمر وسفارة الأردن. ثم امتدت لقتال من القوات المتحالفة في هجمات أوقعت ضحايا أسيانية وبولندية وإيطالية.. تأكد

احتلال العراق، يتوقف إلى حد كبير على استعادة مصداقيتها في العالم العربي، ولضمان حد أدنى من تعاون الدول المجاورة، حيث أخذت تنمو عبر حدودها مع العراق حركة تسلل للمقاومة العراقية وتشتب مشاعر الإحباط وخيبة الأمل من سوء لمعالجة قوات الاحتلال الأنجلو أمريكي للشعب العراقي وقتلها في إعادة الأوضاع إلى طبيعتها.. سرعان ما دفعها إلى محاولة إعادة إحياء «خريطة الطريق»، التي كان الرئيس بوش قد أعلنها قبل عامين باعتبارها الحل الأمثل لقيام دولة فلسطين إلى جانب الدولة الإسرائيلية. وعلى مدى شهرين الصيف، التي شهدت سقوطاً أمريكية لأمانة لعزل عرفات، تسادها عمليات عسكرية إسرائيلية كثيفة، وجهت ضربات كاسحة مؤقتة، «لمقاومة الفلسطينية»، صعدت المقاومة الفلسطينية إزاحة عملياتها الانتشهادية في قلب إسرائيل، وقويت بمماريات اغتيال واعتقال واسعة النطاق لكوادر المقاومة الفلسطينية، وبينما كانت الدماء تخضب أرض فلسطين وتجاوزها من الضفة إلى قطاع غزة حتى الحدود المصرية، جرت محاولة الاستفناء بـ«ابومازن»، عن عرفات في التفاوض مع شارون، ولم تصمد المحاولة أكثر من شهرين بذلت

إبعاد الرؤية، الأمريكية لأهداف الحرب على العراق، إلا بعد أن انفضح الحرس الإكتنرتونية غير التقليدية التي استخدمت فيها أسلحة حديثة محرمة دولياً وجرى تدمير معظم البنية التحتية للعراق، وهلك فيها أعداد كبيرة من العراقيين عسكريين ومدنيين لم يجر حصصاً حتى الآن، وفي القلب من هذه الأهداف، السيطرة المباشرة على منابع النفط والتحكم في إنتاجه واستهلاكه، ترتب عليها سيطرة أمريكية مطلقة في العالم، تعزز المشروع الإمبراطوري الذي تعلم به إدارة بوش وانصارها من اليمين المحافظ، وقبل ذلك وفي المقدمة منه إسقاط التهديد الاستراتيجي الذي كان يمثلته نظام صدام لإسرائيل، والذي لم تكف ليل أبين عن التخويف منه والتخويف عليه باعتباره مصدر الخطر الرئيس على إسرائيل وعلى النفوذ الأمريكي.

وفي حقيقة الأمر فإن إدارة بوش وهي تروج لإصلاح النظم السياسية والسياسية ثوب الديمقراطية في العالم العربي، لم تكن تسعى لإقامة ديمقراطية حقيقية تفقد سيطرتها على نظم الحكم فيها حين تنتقل السلطة إلى الشعب، فتصبح عرضة لرفض مطالبها وتعطيل مخططاتها كما فعلت تركيا، ولكنها كانت تستهدف القضاء على نفوذ التيارات الدينية المحافظة، وفتح المجتمعات العربية للخطوة أمام المؤثرات الثقافية والقيم الغربية الداعمة إلى تحرير المرأة وإطلاق الحريات واحترام حقوق الإنسان على النمط الغربي، اعتقاداً منها بأن تيارين لادن ونظام «القاعدة» هو الذي وقف في وجه المصالح الأمريكية في أفغانستان، وهو الذي يقاوم استمرار الوجود الأمريكي العسكري في السعودية ومنطقة الخليج، وهو في النهاية المسئول عن تدمير العمليات الإرهابية التي ضرت السفارات الأمريكية في شرق أفريقيا، ثم في واشنطن ونيويورك بعد ذلك.



على أن إدراك واشطن لحقيقة إن نجاحها في إكمال مهمتها في

لم تعجب إسرائيل بالهدنة ولا بالخريطة، وبدلاً من أن يطلب استسلاماً فلسطينياً كاملاً بتفكيك المنظمات، وتسليم قياداتها لإسرائيل، ونزع أسلحتها، ونفى عرفات أو قتله

“نور”

تؤذن بالغيب حتى تقع هزتان هائلتان، الأولى: بسقوط صدام حسين واعتقاله بعد ثمانية أشهر من الهرب... يخرج جنود المرفقة الأمريكية الخاصة من جب تحت الأرض مثل فار يحميه ضوء الشمس... يسقط رمز آخر من الرموز الزائفة التي اعاققت الرؤية عن الشعب العراقي، ودمرت إمكاناته، وجلبت له وللائمة العربية الكارثة، وبين دموع الباكين على الصير المزرى لقادة ضللت الشعب العراقي ثلاثين عاماً، واللغات التي تشيعه من الملايين الذين تعرضوا لظلمه أو نعمته، يستعيد الرئيس الأمريكي انفاسه أعلا في أن تهين له ورقة اعتقال صدام فرصة إعادة انتخابه.

والثانية: بالإعلان للبيس المفاجئ عن التخلص من أي أسلحة محظورة، والرجوع إلى أحضان أمريكا الدافئة، بعد أن ثابت القيادة الليبية وأثبتت، واكتشفت أنها أصعب ثلاثين عاماً في صراع لا جدوى منه مع الغرب، حيث لم يعد الحرب في نظير القيادة الليبية يساوون شيئاً.

وفتح العالم صفحات العام الجديد على فصل جديد، وتساؤلات جديدة: هل تخمد جذوة المقاومة العراقية أم تزدد اشتعالاً؟ وهل تهلك محاكمة صدام العلنية، إن تثبت أسرار هذه الحقبة الفاضلة المليئة بالأفاز، ١٢ عاماً كان صدام فيها حليف الغرب وخادمه وشرطيته في الحرب ضد إيران، ١٢ عاماً قابلية آزاد أن يجنى ثمرة خدماته الجليلة للغرب ويعمل فيها لحسابه الخاص، فلم يطلع؟ وإلى أي مدى سوف ينجح النموذج الديمقراطي الذي يبسعي الغرب إلى فرضه بكل العزم والإصرار على المنطقة العربية؟ هل تستطيع الأمة العربية أن تحسم خياراتها المصرية بعد أن بانت معالم الطريق وانتشع الغيب وظهرت الأصداف واضحة جلية؟

هذه هي أسئلة عام قادم!!

الخور منه بالسهولة التي تصورتها، وإذا كان صحيحاً أيضاً أن المقاومة الفلسطينية لم تستسلم وعازالت قادرة على الدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني في مواجهة قوة إسرائيل المدججة بالسلاح النووي.. فإن الشعوب العربية تواجه محنة تاريخية غير مسبقة، تبدو أشبه بالفريسة التي أصيبت بالشلل والجمود أمام وحش يتقدم حثيثاً لالتهمها.

وهאו الرئيس الأمريكي في الأيام الأخيرة من العام يوقع قانوناً لحاسبة سوريا يفرض عليها حزمة العقوبات السياسية والاقتصادية لأنها لم تدعن لعمليات ليدو شبه مستحيلة، أشبه بطلب الذنب الذي يمنع الحمل من الشرب لأنه يعكر منبع الماء، وفي الوقت نفسه يجري الإعداد لشروع قانون جديد لحاسبة السعودية، حيث تشكر فصول السيناريو الذي سبق من تدمير بحجة دعم الإرهاب وتقديم مساعدات مالية لمؤسسات دولية تقمطرها أمريكا راهبية، من بينها مؤسسات خيرية لحاسبة أرامل وأسر الشهداء في الأراضي الفلسطينية.



على أن شمس عام ٢٠٠٣ المتروك بأحداثه المأساوية الفاضلة لا تكاد

لم تنقش أحداث العام المنصرم دون أن تفسح في العالم العربي دوافع من الجدل الساخن، تطفو على سطح تيارات تحتية عميقة تدعو إلى التغيير في المجتمعات العربية.. هناك أنصار، النفس الواعية، الذين يعتقدون أن العيب كامن في الجمود الذي أصاب الفكر وعطل التطور فأصغر شعوبنا عن اللحاق بالديمقراطية ويركب التقدم العالمي، ومن ثم فلا بأس من أن نستنجد بالآخر، الغرب، لكي نقلنا من عرتنا ويكف عنا قيود التخلف، ويدفع النظم الحاكمة دفعاً إلى ذلك أو يتركها تواجه وحدة السقوط.

وهناك، أنصار الماكرة، الذين يرون أن الأطماع الأوروبية والأمريكية هي السبب وراء ما تعانيه من تقهقر وتكوس، تقريبا الماكرات الصهيونية على ذلك إغراء شديداً للممكن لوجود إسرائيل واستمرارها، فهي التمسح أنظمة حكم بأية منهزلة على الفساح ومقاومة التقدم نحو الديمقراطية والحرية.

وفيما يزداد الخلاف بين أنصار النفس الواعية وأنصار الماكرة، يزداد الحصار السياسي والاقتصادي والفكري على الشعوب العربية وتفشل النظم الحاكمة والنخب السياسية والثقافية في اكتشاف الطريق الصحيح. وإذا كان صحيحاً أن الولايات المتحدة الأمريكية تواجه مأزقاً صعباً في العراق لن يتيها لها

التي قال فيها: إن المسلمين يعبدون الأوثان وأنهم يريدون تدميرنا لأننا نعري الوجه الآخر من الصورة على الضفة الأخرى من المحيط وتلتزم الحجاب عن أعين أعماق المشاعر التي تحرك السياسات وترسمها.

وعلى الرغم من كل الجهود التي بذلت لتصوير الصراع القائم على أنه صراع بين التقدم والتخلف، بين قوة عالمية تمثل حضارة الغرب بكل إنجازاتها وتسعى لفرض سيطرتها على منطقة استراتيجية من العالم، وبين حضارة إسلامية متمززة أقلية ومهددة بأثوار، بين نزعات الهيمنة والعولة والراسمالية الجامحة وبين شعوب قابعة وراء أسوار التقاليد والنظم المتأكلة، فإن الجهد الدني في هذا الصراع ظل يعطو على السطح بقوة طوال عام ٢٠٠٠، فلم तक تنتهي الأسابيع الأخيرة من العام حتى كانت قضية المسلمين في أوروبا تتفجر من جديد، كيف يمكن احتوائهم واستئصالهم من المجتمعات الأوروبية؟ وكيف يمكن ابتداع إسلام أوروبي لا يثير ميظنة الأوروبيين؟ كيف يمكن طمس معالم الوجه واليد واللسان العربي الإسلامي في إطار الحضارة الغربية؟

وتحت سطوة الحرب ضد الإرهاب، اختزلت الظاهرة الإسلامية كلها في ضرورة تغيير النظم السياسية القائمة في الدول العربية والإسلامية، ومن اللافت للنظر أن تشابه شروط «الشراكة الأمريكية» التي طرحها بوش، مع شروط «الشراكة الأوروبية»، التي يطرحها الاتحاد الأوروبي.. كلا الطرفين يطرح تصورات تقوم على ضرورة تغيير الأوضاع السياسية والثقافية والفكرية نحو الديمقراطية وحقوق الإنسان، وتغيير المناهج التعليمية والدنيية في العالم العربي للقضاء على التطرف وهو ما تجعله أمريكا شريراً من شروط التسوية للصراع العربي الإسرائيلي وحل القضية الفلسطينية.. بينما تجعله أوروبا أساساً لمشاكل الاقتصادية والسياسية وتنظيم الهجرة والعمالة المتدفقة من الشرق.



■ ■ ■ لا أحد ينكر أن هجمات سبتمبر ٢٠٠١ قد أحدثت تحولاً جوهرياً في مسار التاريخ الإنساني، إلا أن ذلك لن يعفيها من السؤال.. ولن يعفيها من مساءلة أنفسنا عن السبب الحقيقي وراء العلاقة بين الحدث وبين التحول.. لن يعفيها من طرح السؤال التالي: كيف يكون لحدث واحد، حتى ولو أسفر هذا الحدث عن مقتل ٣٠٠٠ مدني، كيف يكون له مثل هذه الآثار بعيدة المدى التي لم تترك شيئاً إلا وطائفة، سواء من قريب أو بعيد؟ وببساطة.. فإن إجابة هذا التساؤل لن نجد لها في الحدث نفسه، بقدر ما نجد سببها في كيفية تعامل الولايات المتحدة، تحت قيادة الرئيس جورج دبليو بوش، مع الحدث.

بالطبع، نحن نتفق جميعاً بأن الحدث، ذلك الهجوم الإرهابي، كان تاريخياً بكل معاني الكلمة. فالقيام بخطف طائران، مليئة بالركاب، ثم استخدامها كقنابل انتحارية لا يهرل عن فكرة جنونية مرعبة، تتسم بمنتهى الجرأة والوقاحة، وكان إزالتها على أرض الواقع أكثر إشارة ورعباً، إن تدمير البرجين التوأمين التابعين لمركز التجارة الدولي، أحدث صدًى ممتدنياً في مختلف أنحاء العالم، بالإضافة إلى تمكن جميع البشر، ساكني هذه البسيطة، من متابعة الحدث عبر شاشات التليفزيون. الأمر الذي أعطاه طابعاً تأثيرياً، مدمغاً للمشاعر، لم يحصل عليه أي حدث إرهابي من قبل. بيت القصيدة، إن هدف الإرهاب هو الترويع، وقد حققت هجمات ١١ سبتمبر هذا الهدف.

إلا أنه، ونقولها ثانية، لم يكن للحادی عشر من سبتمبر أن يغير مجرى التاريخ إلى حد الحد. كما شهدنا جميعاً، بدون رد الفعل الذي استخدمه الرئيس بوش إزاء ما جرى في ذلك اليوم، أعلن الحرب على الإرهاب، وطبق تحت ذلك المسمى الميزيف الجديدة في شافية التشدد والتطرف للسياسة الخارجية الأمريكية، وأضعف أسسها ومبادئها، قبل وقوع ترويعيها الحادى عشر. ويمكن تلخيص تلك المبادئ، كما يلي: أولاً، أن العلاقات الدولية هي علاقات القوة، وليس القانون، وثانياً، أن القوة بقاينة، والقانون يقين ويشرح ما هو باق.

لا غبار ولا شك في تبرع الولايات المتحدة على كرسى الهيمنة، منذ انتهاء الحرب الباردة، ومن ثم، فهي في موقع يسمح لها بفرض آرائها، ومصالحها، وفيها، ومن الافتراض أن يستفيد العالم من تطبيق تلك القيم، لأن النموذج الأمريكى قد نجح في إظهار هيمنته. وبما أن الإدارتين السابقتين، إدارة كلينتون وإدارة بوش الأب، قد فشلتا في

ترجمة: شيرين حامدى همدى
مترتب مع مجلة: The Atlantic Monthly

فقاعة الهيمنة الأمريكية



جورج سـ وروس



للترويج. فمن أولويات الرئيس وواجباته، توفير القيادة، ثم إنه من الطبيعي جداً، بالنسبة للمسايين، استغلال الأحداث أو التعاطف بها، بهدف تعزيز وترويج سياساتهم. كل هذا طبيعي ومتوقع؛ فالمشكلة الحقيقية لا تكمن هنا: بل تكمن في طبيعة الفاسقات التي يقو بوش بترويجها، وفي الوسيلة التي ينتهجها بوش لفرض تلك السياسات، سواء على الولايات المتحدة أو على العالم.. إنه يقودنا إلى منحنى في غاية الخطورة.

إن أيديولوجية بوش الاستغلالية الهيمنة، تقف في تضاد كامل مع مبادئ المجتمع المفتوح، الذي يعترف بالأراء المختلفة للبشر، مضرباً بأن الحقيقة المطلقة ليست ملكاً لأى أحد منهم. إن هذه الأيديولوجية تقفرض بأن قوتنا الثقافية على الآخرين، تجعلنا أكثر علماً، وأكثر معرفة، ومن ثم أكثر امتلاكاً للحق. وكانت المقولة الأولى، التي أطلقتها استراتيجية الأمن القومي في سبتمبر ٢٠٠٢ (وهو التصميم السنوى الذي يصممه الرئيس للمكونجس محمداً أهداف الدولة الأجنبية) تقول التالي: «الصراعات العظيمة في القرن العشرين، بين الحرية والشمولية، انتهت بالانتصار القاطع لصالح قوات الحرية». ولصالح نموذج أساسى واحد، يعتمد عليه في تحقيق تقدم الأوطان ونجاحها، الحرية، الديمقراطية، والتجارة الحرة..

إلا أن هذه المقولة، تحمل في طياتها افتراضات خاطئة، وذلك لسببين أساسيين، أولاً، أنه لا يوجد نموذج أوجد، يعتمد عليه في تحقيق التقدم الوطنى، وثانياً، أن الفوضج الأمريكى، الذى استطاع أن يبرهن على نجاحه، لا يمكن توافره بالنسبة لدول الآخرين؛ ذلك لسبب بسيط، وهو، أن نجاحنا اعتمد أصلاً على موقعنا المتميز والمهيمن على النظام الرأسمالى العالمى، ونحن لن نتنازل أبداً عن موقعنا هذا، ولن نمنحه لأحد مهما كان.



وقد تأسس مذهب بوش، الذى تم التلطف به لأول مرة في خطبة رئاسية بـ «ويست بوينت»، في شهر سبتمبر ٢٠٠٢، وذلك تم إدراجه من ضمن استراتيجيات الأمن القومى في غضون ثلاثة شهور، أولاً، أن الولايات المتحدة هي محورين، كل ما في وسعها وطاقتها، للحفاظ على هيمنتها العسكرية، غير المشكوك فيها لدى الجميع، وثانياً، أن الولايات المتحدة سوف تجمبع الحق في ممارسة الضربات الوقائية، وقد تبينى المذهب مستويين من السيادة، سيادة الولايات المتحدة، والتي تأخذ أولويات وأسبقية على جميع الانشاقليات والازمات الدولية، وسيادة الدول الأخرى، التى تخضع لإرادة الولايات المتحدة. وقد يتكرنا جورج ووبل بهذا، فيقول، كل قصته المعروفة، «مزرعة الحيوانات»، كل

الحرب الباردة، فترعرت في أوجاتها، ثم باتت تتخذ طابعاً تفصيلياً، في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، ولم يتمكن هؤلاء المحافظون الجدد من إنزال أيديولوجيتهم على أرض الواقع، قبل الحادى عشر من سبتمبر، لا اعتبارين أساسيين: أولاً، أن الرئيس جورج بوش الابن لم يكن لديه التفويض الكافى (لقد صار رئيساً بفضل تصويت أحادى في المحكمة العليا)، وثانياً، أن الولايات المتحدة لم يكن لديها عدو واضح للأجمل، يمكنه تبرير الارتفاع الدراماتيكى في الإنفاق العسكرى.

وقد قامت أحداث سبتمبر بإزاحة العلقين، فأعلن الرئيس بوش الحرب على الإرهاب، وأصطف الجمهور الأمريكى وأولاً، وبعبداً، أكلت الإدارة الأمريكية طريقتها، مستغلة الهجوم الإرهابى لصالحها الضخيف، فعملت على قذفية مشاعر الخوف، والهيبا في داخل المجتمع الأمريكى، لتهيئ تعبيته وحشده بالأكامل وراء الرئيس: كما عملت على استعمار حربها على الإرهاب، بهدف تطبيق أجندتها الهيمنة، هكذا كان يوم الحادى عشر من سبتمبر مفيراً لجرى التاريخ، وليس استغلال الحدث، في سبيل تعزيز أجندة معينة، بأمر مستحق

الاستفادة من القوة الأمريكية المتاحة، فإنه يصير من اللازم والضرورى أن يتم تصحيح هذا الوضع؛ وأن تجد الولايات المتحدة طريقاً لتأكيد هيمنتها على العالم.

ويعتبر هذا النمط من السياسة الخارجية جزءاً من أيديولوجية متكاملة، يطلق عليها عادة اسم «التحافظ الجيد»، إلا أننى أفضل إدراجه تحت مسمى «الداورونية الاجتماعية»، في شكلها الخام. وقد استخدمت هنا كلمة «خام»، فاصداً التلميح إلى ذلك النظام الداروينى الذى يتجاهل دور التعاون والتخالف، في دائرة البقاء للأقوى، وأضاح كل التركيز على التنافس والتصارع. فمن المنطق الاقتصادى، يصير التنافس بين الشركات، وتأخذ الدارونية الاجتماعية شكل، السوق، المتطرف، ومن المنطق السياسى، يصير التنافس بين الدول، فتأخذ الدارونية الاجتماعية، أو هي أخذة الآن شكل الهيمنة الأمريكية.

ولا يخفى جميع أعضاء حكومة بوش إلى هذه الأيديولوجية، إلا أن المحافظين الجدد يشكلون جماعة ذات تأثير عالٍ في داخل هذه الحكومة، فهم الذين نادوا، علانية، باحتلال العراق، في بداية عام ١٩٩٨. وقد تولدت أفكارهم منذ

وأحياناً، يتم تغذية هذا الفهم المخلوط من قبل اتجاه ساند. على أرض الواقع، وذلك عندما تكون يصد عملية نشوء الفجوة وتشكلها. وعندما تصل الفجوة بين الحقيقة وبين التفسير الخاطئ لها إلى أوجها. وعندما تنبع الهوة بينهما لتصل إلى الحد الأقصى الذي لا يحتمل.. فتفجر الفجوة.

وفي أثناء فترة التغذية الذاتية، يتبع المشاركون في اللعبة، تحت سحر وفطنة التحيز المفرط، فتبدو الأحداث وكأنها تتصادق وتؤكد على معتقداتهم، لتضيف مزيداً من القوة إلى فهمهم المخلوط، وإلى إدراكاتهم المشوهة، وهذا من شأنه أن يوسع الفجوة. وأن يبين خشية المسرح للحظة الحق، كما يهينه لرجوع أخير عما قد سلف، وعندما تاتي لحظة الرجوع، فيكون الأمر عرضة، حينئذ، لظهور عواقب قاتلة وفاتكة، إن هذا المسار من الأحداث يبدو ذا خاصية أو ذا طبيعة غير مقنعة، إلا أنه بإمكاننا إيجاض عملية، الفجوة القابلة للانفجار، في أي مرحلة، ومن ثم تقليل أو منع العواقب العكسية بمرمتها، ولكنها كانت عملية الإيجاض أسرع، كلما كان ذلك هو الأفضل والأحسن.

السعي وراء الهيمنة الأمريكية، يمكن وصفه بالعقارة، فالهيمنة التي تحتلها الولايات المتحدة في العالم يمثل عنصر الحقيقة، التي يتم تشويهها وتحريفها، أما الافتراض الذي يقول إن الولايات المتحدة ستكون في وضع أفضل، إذا ما استخدمت مكانتها في فرض فيها ومصالحها على الناس كافة، فهو افتراض لا يمثل إلا سوء الفهم والإدراك، بل إن الأمر معكوس تماماً، فالولايات المتحدة، لا تستطيع الوصول إلى ما هي عليه الآن، إلا من خلال عدم انشغالها لفلتيا.



ولكن أين نحن من هذه العملية الضاعية؟ إن الوضع المشهور في العراق، ليس إلا لحظة متجلية للامتحان: الحقيقة أو لحظة متجلى بنجاح، سيستمر فلذا، ثم التقلب عليها بنجاح، سيستمر الوضع على ما هو عليه، بل سيزداد سوءاً، ويفض النظر عن التبهيرات التي ستقاما لتحل النظام العددي، إلا أنه لا يوجد شك واحد في أن أحتلنا العراق لم ينطلق إلا من دعاوى وهمية، ومن حجج كاذبة، وسواء بقصد أو بغير قصد، سواء يعلم أو بغير علم، فقد قام الرئيس بوش بخداع الجمهور الأمريكي، وخذاع الكونجرس الأمريكي، ماثياً بعله على آراء الحلفاء والأصدقاء، ولم يكن للصدع المتزايد بين توقعات الإدارة الأمريكية وبين الوضع الحقيقي للأمر أن يتسع أكثر من ذلك، ولم يكن من الممكن أن تزداد الهوة أكثر من ذلك، وأنه لن الصعب هنا، تجد في الأونة الأخيرة، عملية عسكرية مثبت بهذا الفضل الذريع كما مثبت علميتنا العسكرية في العراق.



إن الكثير من الكوريين الجنوبيين يرون في الولايات المتحدة خطراً جسيماً عليهم، وعلى أممهم، أكثر مما يرونه في كوريا الشمالية، ملخص القول، إن الغالبية العظمى في العالم تعارض الحرب على العراق.

إن الحادي عشر من سبتمبر أحدث بتراً أو قطعاً، أو يمكن أن تسميه شرخاً، في السياسة الخارجية الأمريكية، إن ما حدث من اختراقات للمعايير الأمريكية، والذي كان ينظر إليه بازدهاء شديد في الظروف العادية، صار مصدر قبول وترحيب باعتباره مناسباً للظروف الحالية، فغير الطبيعي، والمراد كالي، والمتطرف.. كلها كلمات أعيد تفسيرها من جديد.. فصارت طبيعية..

وإذا أردنا إضفاء مزيد من التوضيح على أهمية التحول، فاسمحوا لي أن أجب إليكم مثلاً حياً من حكم خيرتي بأسواق المال، إن أسواق البورصة تهيم دائماً الأوجع لعملية الطفرة، المتورمة، أو الفجوة القابلة للانفجار في أي لحظة، وكما نعلم، فإن الفجوة لا تنضج على أثر سمات الهواء الرقيق، بل لديها أساس من الواقع ومن الحقيقة، ولكنها القصيدة المشوهة عبر سوء الفهم، فتحت الظروف الطبيعية، يحدث إنصلاخ ذات لسوء الفهم، فتفتح الأسواق، نحو بعض الشيء من الاتزان والتعادل،

ويحجم من الحقوق المدنية، وعلى الصعيد الخارجي، تحاول الولايات المتحدة فرض آرائها ومصالحها من خلال استخدام القوة العسكرية، وكان احتلال العراق هو التطبيق العملي الأول لشعب بوش، إلا أنه أثبت العكس تماماً.. لقد نشأت فجوة.. فل صاع كبير، بين الولايات المتحدة وبين بقية العالم، وكان حجم الفجوة ملحوظاً للغاية، ومؤثراً للغاية، وفي ١٢ سبتمبر ٢٠٠١، عقد اجتماع خاص لمجلس شمال الأطلسنط، الذي استنصر روح المادة الخامسة من ميثاق الحلف (الناتو)، وهو أمر لم يحدث قبل ذلك في تاريخ الحلف، داعياً جميع الأعضاء للتحالف مع الهجوم الإرهابي على الولايات المتحدة، على كونه اعتداء على إرضائهم، وعلى أثر ذلك قامت الأمم المتحدة بالتصديق، وبإيجاز، على الفهم الأمريكي التاديبي ضد منظمة القاعدة في افغانستان، إلا أنه في غضون أكثر من عام، لم تستطع الولايات المتحدة انتظار قرار الأمم المتحدة لتتسلسل على احتلال العراق، فأعلن جيرهارد شرودر اعتراضه ورفضه التعاون مع الولايات المتحدة، ليكون ذلك سبباً في إعادة تنصيبه مرة ثانية ككرسي الرئاسة، وفي كوريا الجنوبية، تم انتخاب مرشح، لا يتمتع بأي شعبية، إلى الرئاسة، مجرد أنه معروف بوجهه المحدود جداً، للولايات المتحدة، بل

الحيوانات متساوية أكثر من غيرها، ولتأكد جميعاً، فإن مذهب بوش لا يقال بهذه الصرامة، ولا يلفظ بهذه الشدة، وإنما هو مختلف ومغفلط يازدواجية، تلك الأزواجية التي تكسب التناقض بين مفهوم إدارة بوش للحرية والديمقراطية، وبين المبادئ الحقيقية للديمقراطية والحرية، فصحيح أن الحديث حول نشر الديمقراطية، حافل في استراتيجيات الأمن القومي، إلا أن الرئيس بوش عندما يتحدث عن ضرورة بقاء الحرية، فإنه يقصد بذلك ضرورة بقاء الولايات المتحدة، ومن المفترض، في التجميع الحر المفتوح، أن يقر الناس لأنفسهم معنى الحرية والديمقراطية، إلا حسب مفهومهم هم، وليس حسب المفهوم الأمريكي، وقد يتجلى التناقض، خاصة، في حالة العراق، نحن جئنا كمحررين، جالين معنا الحرية والديمقراطية، إلا أن تلك الصورة التي يراها السواد الأعظم من الجمهور الأمريكي، وإنه حقاً، لن المضحك، أن تقع الحكومة، صاحبة أكثر المجتمعات نجاحاً واقتحاً في العالم، فريسة في أيدي أناس، يجهلون المبادئ الأولية للمجتمع المفتوح، فعلى الأراضي الأمريكية، قام المحارب الجنرال، جون الشكروفت، باستخدام (الحرب على الإرهاب) ليقلص



كتاب الزاوية



الأذكياء

للإمام ابن الجوزي

ذكر المؤرخون نسب الإمام ابن الجوزي فقالوا إنه يتصل بالخليفة أبي بكر رضي الله عنه وهو عبد الرحمن بن محمد ابن علي بن عبيد الله بن حمادى وكنيته أبو الفرج ابن الجوزي. وقد ولد عام ٥١٠ هجرية ونشأ يتيمًا وتعلم ابن الجوزي على يد كبار العلماء في عصره فمن شيوخه الحسين بن محمد البارع وعلي بن عبد الواحد الدينوري. وقد برع ابن الجوزي في الوعظ والإرشاد منذ صغره وكان مجلسه من أكبر مجالس العلم، وأثنى عليه كثير من العلماء مثل العلامة ابن كثير وموفق الدين المقدسي.

ومن مؤلفاته: مناقب عمر بن الخطاب ومناقب عمر بن عبد العزيز وصيد الخاطر وأخبار النساو وأخبار الحمقى والمغلطين ومنهاج القاصدين وجامع الأسانيد والأحاديث الرائقة.

وكتاب الأذكياء يطوف من خلاله المؤلف في عالم الأذكياء سواء أعمالهم أو أقوالهم أو قدرتهم على التخلص بسهولة من المشكلات التي تعترضهم بما أوتوا من نشاط عقلي وصفاء ذهني عميق. وقد بين المؤلف أنه ألف هذا الكتاب للتعريف بأقدار هؤلاء الأذكياء وذكر أحوالهم وتلقيح آياب السامعين إذا كان فيهم استعداد لنيل مرتبة الذكاء ثم تأديب المعجب براه إذا سمع أخبار لنيل تمسّر عليه لحافه.

وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات وقد اعتمدنا على الطبعة التي أصدرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن مشروع مكتبة الأسرة لعام ٢٠٠٢ وقد حققها الأستاذ عادل عبد المنعم أبو العباس.

الشرطة، لا إلى الحملات العسكرية. إن الحماية من الإرهاب تتطلب خطوات تحذيرية وقائية، كما تطلب وعياً، وحمية عالية من قبل رجال المخابرات، وهي في النهاية مهام تعتمد، أولاً وأخيراً، على تأييد الجماهير التي ينبثق منها الإرهابيون. فتقبل للحظة.. لو أن اليوم الحادي عشر من سبتمبر كان قد عومل على كونه جريمة، لم تكن هذه اليوم اعتبر المرتب على ذلك. لو أن هذا اليوم اعتبر على أنه جريمة ضد الإنسانية، لما اضطربنا لاحتلال العراق، ولما اضطربنا لدفع جثودنا المسلحين دفعا لأداء مهام رجال الشرطة، ليقعوا مصرى في النهاية تحت طلائع المرافقين.



إن إعلان الحرب على الإرهاب، تتناسب أكثر مع مطامع بوش وأصنافه، لأنها تستعيد وتشير بشوهر القوة العسكرية، إلا أن بوش كان مخبطاً بالتأكيدي، حينما فكر في ذلك، لأن الحملة العسكرية تتطلب هدفاً معيناً واضحاً، ويفضل أن يكون دولة، وصحيح أن الحرب على الإرهاب، أقيمت في البداية على النول التي تؤوي الإرهابيين، إلا أن الإرهابيين الآن لا ينتهون إلى دولة، فهم ببساطة يصنفون على كونهم لاعبين غير دوليين، حتى ولو كانوا يمولون من قبل الدول.

إن الحرب على الإرهاب، التي تبنتها إدارة بوش، لن يكتب لها الانتصار، على جميع الأحوال، بل العكس هو الصحيح، فهي بإمكانها أن تجلب حالة دافعة من الحرب، فالإرهابيون لن ينهتوا أبداً، ولن يكفوا عن الاحتجاج ضد الهيمنة الأمريكية، ولن يكفوا عن تقديم الذرائع تحت اسم الهيمنة الأمريكية، وذلك التمسك بالهيمنة الأمريكية سيؤدي بدوره إلى استمرار في تصاعد وتآجج المقاومة، بالإضافة إلى أن قيامنا بتحويل عملية اضطراب الإرهابيين إلى عملية قتلهم عسكرياً، سيؤدي بنا، حتماً، إلى إيقاع الظلم على الأبرياء، وهذا زاد الأبرياء المظلومين، كلما ازداد الشعور بالقهر والتمسك، وكلما اتبعت فرص أكبر لبعض الأبرياء، لتتحول إلى مصير الجرميين. لابد من وضع التهديد الإرهابي في إطار الصحيح المقبول، فالإرهاب ليس

العراق، فهام جثودنا.. وقد أجبروا على القيام بهام رجال الشرطة، وهم في ملابس القتالين، لتحصد رؤوسهم يوماً بعد يوم. نحن لم نعرض فقط، حياتهم للخطر، بل عرضنا أيضاً فعاليتهم القتالية، ومعنوياتهم التي اكتفت وبمررت بفعل الحرب، في وقت لم نعد فيه قادرين على التخطيط لقوتنا المستقبلية، خاصة أن مصادر التهديد باتت متواجدة، ليس في مكان واحد، بل في أكثر من مكان. فهامى كوريا الشمالية، تدشن مشاريها النووية على العلن، وهامى إيران، تفعل نفس الأمر، ولكن في الخفاء، وهامى طالبان، تعيد جمع نفسها في أفغانستان، وهامى شن احتلال العراق، يحل علينا، ومعه ظلال الحرب الدافعة التي اخلفت كاهلنا الاقتصادي، وفي غمار كل ذلك، يظهر فشلنا في مواجهة مشاكل كثيرة، قد تقوحت وتغفنت، سواء على المستوى المحلي أو العالمي. إننا إذا أردنا دليلاً دامغا على اكذوبة الحلم الأمريكي للهيمنة، فإن نجد أدل من واقعة احتلالنا للعراق، أما إذا فشلنا في الالتفات إلى هذا الدليل، وأخذنا في الاعتبار، فلن يكون هناك مفر من مواجهة مستقبل أكثر مرارة مما نواجهه الآن، لنضع فيه الثمن غالياً، ولكن هذه المرة أعلى من أي مرة سابقة. وفي أثناء كل هذا، يبدو أننا نعاملنا بخساً واضع مع مسألة الحرب على الإرهاب، وذلك نتيجة لانتعاشنا المفرط مع موضوع الهيمنة، فكلمة، الحرب هنا، وفي هذا الإطار هي بالتأكيدي تشبيه غير مناسب، فصحيح أن الإرهابيين يهددون أمننا القومي والشخصي، وصحيح أننا ملزمون بحماية أنفسنا من تلك التهديدات، وصحيح أن الكثير من الخطوات التي اتبعتها تعتبر لازمة وضرورية، وصحيح أنه لا يمكن أبداً الافتراض بأننا قصروا في أداء مهامنا من أجل منع ضررنا مستقبلياً، هذا كله صحيح.. إلا أن الحرب التي دشنها بوش ضد الإرهاب لم تفعل الكثير لإنهاء الإرهاب أو تحسين الوضع الأمني الداخلي، بل على العكس تماماً، فهذه الحرب تعرض أمننا للخطر، وقضينا في نهاية الأمر، في حلقة مفرغة لتصاعد كان يمكننا التعامل مع الحادي عشر من سبتمبر، على كونه جريمة ضد الإنسانية، بدلاً من كونه حرباً عسكرية، فتعاملنا معه كجريمة، كان سيكون أكثر ملاءمة، وأكثر مناسبة، فالجرائم تحتاج إلى رجال



كتاب الزاوية



الأذكياء

فضل العقل

عن أبي عباس أنه دخل على عائشة، فقال: يا أم المؤمنين! أرايت الرجل يقل قيامه ويكثر رقاذه، وآخر يكثر قيامه ويقل رقاذه أيهما أحب إليك؟ قالت: سألت رسول الله ﷺ كما سألتني عنه فقال: «أحسنهما عقلاً»، قلت: يا رسول الله أسألك عن عبادتهما، فقال: «يا عائشة إنما يسألان عن عقولهما فمن كان أعدل كان أفضل في الدنيا والآخرة».

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول شيء خلقه الله القلم، ثم خلق النون وهي الدواة، ثم قال له: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم خلق العقل وقال: وعزتي لأكملنك فيمن أحببت، ولأنفصلنك ممن أبغضت».

وعن ابن عباس قال: لما خلق الله العقل قال له: أدبر هاذبر، ثم قال له: أقبل فأقبل، قال وعزتي ما خلقت خلقاً قط أحسن منك، فبك أعطى، وبك أخذ، وبك أعاقب».

وقال وهب بن منبه (مؤرخ إسلامي توفي ١١٤ هجرية): إنني وجدت في بعض ما أنزل الله على أنبيائه أن الشيطان لم يكابد شيئاً أشد عليه من مؤمن عاقل، وأنه يكابد مائة جاهل فيستجرهم حتى يركب رقابهم، فينقادون له حيث شاء، ويكابد المؤمن العاقل فيتصعب عليه حتى لا ينال منه شيئاً من حاجته.

وقال وهب: لإزالة الجبل صخرة صخرة، وحجرٌ حجرٌ! أيسر على الشيطان من مكابدة المؤمن العاقل، لأنه إذا كان مؤمناً عاقلاً ذا بصيرة، فهو أشقل على الشيطان من الجبال، وأصعب من الحديد.

جديداً، فقد كان ظاهرة واضحة جداً في روسيا، في القرن التاسع عشر، حيث كان له تأثيره الماحق على طبيعة النظام القيصري، من ناحية تبرير الحكم الديكتاتوري، ومن ناحية تقنية وتنشيط مهام البوليس السري، بل حتى عهد قريب جداً، دخلت دول أوروبية عديدة، إيطاليا وألمانيا وبريطانيا، في مواجهات عنيفة مع عصابات إرهابية، استنفدت منها عشر سنوات أو أكثر، لاجتثاث تلك العصابات من جذورها، وبالرغم من ذلك، فلم تمش هذه الدول تحت أسطورة إرهاب، نحن لا ننكر أن عملية اختطاف الطائرات من أجل استخدامها في هجمات انتحارية، نحن لا ننكر أن هذا أمر جديد علينا، مثلما لا ننكر أن إكثانية امتلاك الإرهابيين لأسلحة الدمار الشامل، أمر لم يرد علينا من قبل؛ إلا أنه ليس من الصواب المبالغ لهذه الأخطار بالميطرة على وجودنا، وعلى حياتنا. إننا إن تهيولنا لن يزد حياتنا إلا سوءاً وضيقاً، فهل من المقبول، أن يستولي الناصر والوفاء، بهذا الحد، على أقوى دولة في العالم؟ إن وضع الحرب على الإرهاب، في نحن استراتيجيتنا القومية، هو التدخل بعينه عن مسئوليتنا كدولة فليانة للعالم، ووفق ذلك، فإن سماحنا للإرهاب بأن يكون شائناً الأكبر، سيضعنا، في النهاية، دمية أو لعبة في أيدي الإرهابيين...

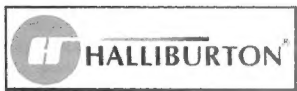
سعيرون هم الذي يضعون أولوياتنا. وقد نشر مجلس العلاقات الخارجية مؤرخاً ثلاثة دلائل لاستراتيجية الأمن القومي، أما البديل الأول، فيدعو إلى تمكين الهيمنة الأمريكية من خلال منذهب بوش الذي يأمراً بالممارسة العسكرية الوفاقية، وهو بديل يؤيده المحافظون الجدد. وأما الثاني، فيسعى وراء الاستقرار في السياسة السابقة للردع والامتواء، وهو الذي يؤيده كولين باول وغيره من المعتدلين، سواء من الحزب الجمهوري أو الديمقراطي. وأما الأخير، فهو يدعو إلى قيادة الولايات المتحدة لجهود تعاونية من أجل تحسين أحوال العالم، من خلال الانصراف إلى الممارسات الاحتياطية والاحترازية، والبديل الأخير، لا تؤيده أي جماعة ذات أهمية؛ ولكنه البديل الذي أؤيده وأقف وراءه. وقد أظهرت التجربة الخطيرة المفروطة للبديل الأول، أما البديل الثاني، فاعتقد أنه لم يعد صالحاً للتطبيق. لقد

وهكذا فإنه بالنسبة لشركات المقاولات الخاصة التي يتعامل دورها في تشكيل البنى التحتية لقواتنا المسلحة. فقد انتهت عليهم الفوائد من المصائب. خلال حرب العراق الأولى في ١٩٩١، كان واحد من كل مائة جندي أمريكي موظفاً من قبل شركة خاصة. في حرب العراق الثانية اقترنت النسبة إلى واحد من كل عشرة وقد نشرت الواشنطن بوست تقريراً بأن ثلث نفقات حرب العراق الأخذ في الزيادة سريعا تنذهب إلى حسابات خاصة في البنوك الأمريكية. كانت الشركة الأصلية من هذا التدفق للدولارات الفيدرالية هي توفيفر الأموال، ففي رؤية دونالد رامسفيلد، سوس تمكس خصخصة الجيش نفس الضباط السوق على الحرب نفسها في ١٩٩٥ وقبل عودته إلى واشنطن بولت طويل. قدم رامسفيلد إلى أمريكا (أفكارا) من عالم المال حول تسليح دور (الحكومات) وهي دراسة أوجت بها خبرته كرئيس موظف البيت الأبيض ووزير للدفاع (في إدارة جيرالد فورد) ورئيس

(في أجهزة الحكومة علينا أن نتحرز من تأثير سطوة التحالف العسكري الصناعي غير المشروعة. سواء سعينا أم لم نسع إليها) إن إمكانية التعاطف المشؤم لسلطة وضعت في غير موضعها قائم وسوف يستمر. و ينبغي علينا ألا ندع عبء هذا التحالف يعرض مسيرة حرياتها وديمقراطيتها للخطر أبداً. يجب ألا نقبل بأي شيء كأمر مسلم به).

دوايت أيزنهاور ١٩٦١

■ إن الهيمنة العسكرية الدائمة على العالم عملية مكلفة، في سبتمبر الماضي، بعد إنفاق ٧٩ بليون دولار في العراق وأفغانستان، طلب جورج دبليو بوش من الكونجرس ٨٧ بليون دولار إضافية من أجل إدامة المجهود لمدة سنتين أخريين. وفي خلال ساعات الفريديت الأبيض بأن هذا الرقم هو تقدير أقل من المطلوب. وقد قال بول بيرمر رئيس سلطة



بيزنس

مجلس إدارة لشركتين أمريكيتين عملاقين (جنرال إلكتريك وبيث كورب وجي دي سيبل) وقد كتب في رواسته يقول (إن برامج الحكومة معزولة بشكل كبير عن اهتمام السوق ولهذا لايسمح لها بإمكانيّة الفشل. وأحيانا لأشء أقل من خصخصة صريحة يسكن أن تعيد الانضباط).



والآن تتحقق رؤية رامسفيلد للحرب المخصصة وتمتحن. واعتقادا على مدى استعداد الشعب الأمريكي للتضحية، فإن إمكانية المكاسب الخاصة في صناعة الحرب في الولايات المتحدة، يستحيل تقريبا، إذا استعزنا التعيير، المالية بها لقد كانت الحرب مثل منتج ذهب مثلا لها البيروتون. شركة الطاقة، وبيكتل مشاور البناء رقم واحد في الولايات المتحدة الأمريكية. وكان ديك تشيني رئيس مجلس إدارة بيكتل من ١٩٩٥ حتى ٢٠٠٠ وكان وجورج شولتز رئيس بيكتل لمدة ثمانية سنوات قبل أن يصبح وزير الخارجية في إدارة ريغان وفي مارس الماضي، منح فيلق الهندسين في الجيش الأمريكي مقدا بمبلغ ٧ بلايين دولار لشركة كيو ج وبراون وروث

الاحتلال المؤقتة في العراق إنه (من المستحيل تقريبا المالية) في تكاليف إعادة إعمار تلك الأمة. ومن المحتمل أن يصل إجمالي النفقات العسكرية للسنة القادمة نصف تريليون دولار وهو أكثر مما أنفق في ١٩٦٨ إبان ذروة حرب فيتنام. ورغم اعتقاد الكثيرين من المهتمين الحاليين في الإدارة الأمريكية بأن حرب العراق لن تكون أكثر من نزعة، لكن بوش نفسه كان حذرا على الدوام في وصف رؤيته للالتزامات العسكرية الأمريكية. وكان قد أطلق على العراق وصف (الجيبة المركزية) في حرب مختلفة تشن في جهات عديدة في أماكن كثيرة ويهدد الغنى بفض أن يقدر متى قد تنتهي هذه الحرب المعبأة أو ما هو معيار التصر. لكنه أعلن بطلا من ذلك أن المعركة ستكون (طويلة) وستتطلب (التضحيات) من الشعب الأمريكي، وباختصار أزم البيت الأبيض الشعب الأمريكي بتحويل حرب إيديّة مكلفة على جهات عدة في العراق وأفغانستان وبلدان أخرى سوف يعلن عنها في حينها وحتى أولئك القلة من السياسيين الذين عارضوا غزو العراق يجادلون الآن بأننا يجب أن (نتم العمل) لقد أنجزنا الفعل ويجب أن نصرف المال الآن.

ترجمة: بثينة الناصري
عن مجلة هاربز الأمريكية



وهي فرع من شركة هاليبرتون. لتوفير كافة احتياجات الجيش الأمريكي اللوجستية وأعمال الجيش العراقي وفي نفس الوقت منحت الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (USAID) لشركة بيكتل عقداً مبدئياً بمبلغ ٢١٦ مليون دولار لإعادة بناء مرافق توليد الطاقة الكهربائية في العراق ومحطات الكهرباء ومرافق الماء والصرف الصحي وكذلك الطائرات وسوق تعاملات بيكتل الحكومة الأمريكية بنقطة تصل إلى ١٦٠ مليون دولار لمدة ثمانية أشهر وهذه العقود الفلاحية لم ترس لمناقشة تناقصية وإنما بصفتها من الأبواب الخلفية التي تديرها إدارة بوش. ولا تخضع لأي مراقبة.

وأيًا كان ما تقبر أو لم تقبر بعد ١١/٩ فهناك شيء واحد ظل واضحاً، لقد حلت صناعة النافذ والتربيع من الحرب محل صفات الطاقة والاتصالات التي كان من روادها شركتا الزنون وورلد كوم في أواخر التسعينيات في القرن الماضي، باعتبارها أكثر الوسائل كفاءة بالنسبة

كان يسود الاعتقاد بموالفتها للعشر البريطاني والتي كانت تكون عادة من مرتزقة السيخ والجرول. كلمة (scorpy) مستقاة ربما من الكلمة الأوروبية التي تعني (خارس) أو (جندى) في ١٨٥٧. في زمن عصيان السيوي والتي يسميها الهند (حرب الاستقلال الأولى) نشرت بريطانيا ٢٠٠ ألف جندي في الهند، كان ٩٩٪ منهم من السيوي. وتربص حقيقة ثمرهم على بريطانيا على إمكانية أن تتحول هذه المقاربة إلى فتح.

في عام ١٨٥٧ عندما صنع البريطانيون أحد أوائل موديلات البندقية (إنفيلد) أشيع أن الرصاص مرقع بشحم مصنوع من الدمن الحيواني المستخلص من الأبقار والخنازير. والأفكار كما هو معروف مقدمة ضد الهند والخنازير مبرحة على المسلمين. وكان أحد خصائص

البراسمين لا يتاح منهم من العلف العام. ولهذا فإن وصف هذا الشركات كعلمة (خاصة) في محض إيديولوجية أن صناعة الدخار في الولايات المتحدة اليوم لا تعتمد استثمارات خاصة بقدر ما هي اشتراكية الدولة.

فندما تتحول القضايا السياسية إلى قضايا شركات أعمال يحدث التغير. فالمسؤولية تتوسع في غير موضعها والآثار تنتشر والتأثير والانتشار والتربيع من الحرب لها جذور في ظاهرة أقدم بكثير حين كانت الإمبراطوريات تسمى إلى (استخدام المرتزقة) لفرض تنفيذ إرادتها السياسية. كان لدى البريطانيين الجورك والسيخ والهند. ولدى الفرنسيين فيلهم الأجنسي وكان لدى الهولنديين (الأميونيين). سكان أمبوديا إحدى جزر مولوكا في منطقة الأنديز الهولندية) وفورس واليابانيين فيلهم الدمن من منشوريا والصين واندونيسيا وبورما أن استبدال جيوش دولة الاحتلال بقوود الخادف المحليين وأتاليهم جماعة عربية أو ندية من السكان الأصليين ضد أخرى كان دائماً الوسيلة الأسهل والأرخص لإكناص شحم ما وإسباة (السيوي) كانت تعضن تدريب القوات (المحلية) من أجل الخدمة في فرق الجيش التي يقودها ضباط بريطانيون أو في الفرق الهندية الإمبراطورية التي

البريطانيون. ويهدد التعديرات تحلى البريطانيون عن دورهم كجناح في الهند وتحولوا إلى محتلين غير مرغوب بهم في أرض معادية.

لقد جبر الأمريكيون استخدام جنود مرتزقة في فيتنام عام ١٩٦٢ أرسلوا البشرييات الخسر إلى النصباب الجوية لتدريب المتجارد وهم سكان جبليين يخطفون عرقيا عن الفيتناميين. وحاولوا تنظيمهم في مجموعات دفاع مدنية غير نظامية ويمكن القول بشكل عام أن هؤلاء قد ساهموا مساهمة ضئيلة في جهود الحرب وكانت مواقفهم عرضة لاجتياح الكبتونج في أي وقت يخدم ذلك أهدافهم

وفي أفغانستان بين ١٩٧٩ و١٩٨٩ دعمت وكالة المخابرات المركزية جماعات المجاهدين (لناضلين من أجل الحرية) بأسلحة خفيفة تقدر بأكثر من ٢ بليون دولار ضمنها منصات صواريخ (ساتنجر) المضادة للطائرات وزرعتهم على كنيشة

تسارلر زجونسون

دخاير هذه البندقية هو الحاجة إلى قسم ورقة مطوية على أحد طرفي الرصاص قبل استخدامها. وقد انتشرت الروايات بسرعة بين السيوي بأن البريطانيين يحاولون تحريضهم بإجبارهم على ارتكاب مجزراتهم المدنية. وهكذا عندما أمر أحد الضباط البريطانيين قواته بنقصم الرصاصة أطلق أحد الجنود النار عليه، وسرعان ما انفضرت ثورة جابهاها البريطانيون بوحشية لا مثيل لها. كان السيوي القبوض عليهم لرفعون لجوول الخنازير أو الأبقار المدبوغة ويطلقون من فوهات مدافع. ومثل ما فعلته الإمبراطورية الرومانية عند قمع حروب الجول الخنازير كانت جيش الجنود الهندو المشوقين معلقة على جانبي الطريق في كاتور إلى قرية أباد. ثم انتهت الخنزير سلطات شركة شرق الهند التي كانت قد وظفت السيوي وضباطهم. و حكمت بريطانيا البلاد عليهم لرفعون تسعين سنة كاستعمرة من مستعمرات التاج. وقد ألغيت الفرق الهندية وضع جنودها إلى تشكيلات أوسع تشمل جنودا إنجليز.

بعد ٩/١١ أرسلت الولايات المتحدة

عملاء وكالة المخابرات المركزية إلى أفغانستان ومعهم ملايين الدولارات لرشوة ميليشيات أمراء الحرب لإشغال الحرب الأهلية من جديد ضد أن خدعتنا طالبان. ما وعدو بدمع جوى في حربهم الجديدة وهكذا قام أمراء الحرب بمساعدة من الولايات المتحدة بالإطاحة بحكومة طالبان وسرعان ما عادوا إلى سابق عهدهم في الاستغلال لقد أعلنت دعاية التجنيد الشاوي الانصار الساحق للولايات المتحدة في أفغانستان ولكن الحقيقة أن قادة طالبان والناصرة مارالوا أحرارا وعادت أفغانستان خضبة لتفريخ الإرهابيين. وكذلك لم تكن ثمر سنة واحدة على تحرير أفغانستان. حتى ازداد إنتاج الأفويين الذي يستطيع عليها إضرار عملاء خلفاء أمريكا لثمانية أضاف من ١٨٥ إلى ٢٤٠٠ ملن وهو نصر خمر للقطاع الخاص شكل آخر من أشكال تجنيد المرتزقة هو تجنيد وتدريب الدول التابعة للولايات المتحدة والمتقدمة عليها ويمكن تشبيه الأمر بشركة ترجع إلى فروعها

لاستكمال احتياجات العمالة. فعند ١٩٩٢ بعد التمثيل لجيش الضابط الأمريكي راندي شوجارت واستعراضه في شوارع مديشو عاصمة الصومال مما أدى للرئيس كينتون بعد أربعة أيام إلى سحب قواتنا من تلك البلاد. وألست إلى التي يمكن أن تقير رأي الشعب بخطأها إن موت الجنود الأجانب لايجذب انتباه وسائل الأعلام. وهكذا فإن البقية تنحى إلى إعداد جنود أجاب للقيام بعمليات مشتركة تحت إيدائنا وكما نعرف عنها الرئيس بوش في ١١ مارس ٢٠٠٢ بقوله (لن نرسل قوات أمريكية إلى كل معركة ولكن أمريكا سوف تعمل مهمة على إعادة الأمم الأخرى للمعارك القادمة). وعلى وجه الخصوص ومنذ انتهاء الحرب الباردة. طور الجيش الأمريكي علاقاته مع عدد ضخم من الحكومات وفرق الصباط في كل ما يعرف بالنامم الثالث ويدل جهودها هائلة في يرامع تدريب (جيش لجيش). وقد توسل زعماء الحزبين الديمقراطييين خلال التسعينيات إلى أنه يمكن رعاية الكثير من أهداف السياسة الخارجية من خلال مثل هذه العلاقات بشكل أفضل مما تنجزه الروابط الاقتصادية والبرلمانية. وأحد البرامع لتشديد مثل هذه

١١ وجهات نظر

السياسات وهو برنامج وزارة الخارجية للتعليم والتدريب العسكري الدولي الذي تضافر أزمته امتداده منذ ١٩٩٤ إلى ١٩٩٠ كان البرنامج يقدم تعليمًا عسكريًا إلى نحو ٩٦ دولة.

في ٢٠٠٢ ارتفع هذا الرقم الكبير إلى ١٢٣ دولة، وبما أن عدد الدول الأعضاء في الأمم المتحدة هو ١٨٩، فإن هذا يعني أن البرنامج (يعلم) جيوش ٧٠٪ من أهم العالم.

إننا نذكر تقريباً ١٠٠٠٠٠ جندي أجبن كل عام - معظمهم ضباط يقومون بدورهم بنقل الأسلحة الأمريكية إلى قواتهم، وفي عام ٢٠٠١ علم الجيش الأمريكي ١٥٠٠ ضابطاً وجندياً في أمريكا اللاتينية وحدها.

ويقوم المتدربون بذلك إما باستقدام هؤلاء المتدربين إلى أحد معسكراته التعليمية البالغ عددها ١٥٠ في الولايات المتحدة وإما بإرسال مدربين عسكريين يكونون غالباً من القوات الخاصة إلى الدول المعنية. وقد ضاعفت (الحرب على الإرهاب) هذه البرامج وفي حالات كثيرة كانت البرمجة التي حلت محل (الحرب على المخدرات) بدون وجود أي فرق ملحوظ بالأساليب التدريبية وتقول الولايات المتحدة إن مثل برامج التدريب هذه تشجع القيم الأمريكية ولكن هناك فوائد أخرى أيضاً. إن العلاقة القوية بين المدربين الأمريكيين والضباط والجنود لأجانب تفتح سوقاً داخل كواليس الحكومات للولايات المتحدة ليس الأسلحة فإن وكالة المخابرات الدفاعي التي يراسها ضابط برتبة فريق، وهي جزء لا يتجزأ من وزارة الدفاع، مسؤولة عن برنامج المبيعات العسكرية الخارجية، وهو أسلوب حكومتنا المفضل لبيع معدات الأمريكية التي تشتريها من المصانع الأمريكية الحكومات الأجنبية. وقد ارتفعت قيمة مبيعات السلاح الأمريكي (من حكومة إلى حكومة) بمقدار ١٠٪ في ٢٠٠١ فهاضت ١٣٣ بليون دولار. وبهذا يكون البرنامج أكبر مصدر معدل للسلاح في العالم منذ ١٩٩١، وفي سنة ١٩٩٧ إلى ٢٠٠١ من الأسلحة ما قيمته ٧٢ بليون دولار وهو ثلاثة أضعاف ما تصدره المملكة المتحدة كسابق أكبر مصدر للأسلحة في العالم.

إن تجنيد المرتزقة مفيد ومريح أحياناً ولكن الأموال الحقيقية تأتي من العقود الحكومية. وبالنسبة لأكبر مقاولي الجيش أكثر شركات الأبحاث في البلاد اليوم وأكبر شركات مقاولات الجيش هي شركة فينيل كوربوريشن من فيرفاكس في ولاية فرجينيا التي حصلت في ٢ يونيو على عقد بقيمة ٤٨ مليون دولار لتدريب جيش عراقى جديد، وشركة الموارد المهنية العسكرية (التي تعرف أكثر باختصار

بـ "ميسر للخدمات العسكرية")



حقوقها (MPRI) ومقرها في الإسكندرية بولاية فرجينيا وشركتها شركة ٣-٤ كومونيكيشن، وشركة كيلوغ وإيراون ووت وهي شركة من تكساس اشتهرت قبل انضمامها مع كيلوغ بالقديم المالي للرئيس الأسبق ليندون جونسون وهي اليوم فرع من شركة هالبرتون وشركة دينكورب من مدينة ريتون في فرجينيا التي اقتضت أواخر التسعينيات بالكتشاف أن بعض موظفيها في البعثة توسطوا في الاسترقاق الجنسي لقاصرات ثم التجارة بهن من خلال بيعهن في دول أخرى في أوروبا. وشركة تطبيق العلوم الدولية من سان دييغو التي كان الخسمة الكبار فيها يقبضون في عام ٢٠٠١ رواتب تتراوح بين ٨٥٠٠٠ دولار و١٨ مليون دولار وكل منهم لديه أسهم بقيمة ٢٠ مليون دولار. وكذلك شركة بي دي الدولية وشركة فيرفاكس ولاية فرجينيا، وشركة أرمور هولنديز من جاكسونفيل في فلوريدا وشركة كويكبك البيكيني في واشنطن، ودي إف دي الدولية (وكانت تسمى سابقاً ديفينس فورماست) في واشنطن، وإنتراشانتل تشارتر بولاية أوريغون.

وهذه ليست مؤسسات صغيرة. شركة دينكورب لديها ٢٣٠٠ موظف وكويكبك ٤٥٠٠ حوالى ٧٠٠ موظف مستديم إضافة إلى ١٠٠٠٠ عسكري متقاعد على أجهز الاستعداد لتلبية المهام متى دعت الحاجة.

وتقدر حيرة شركات توظيف المرتزقة ديبرا أفانت من كلية البوت للشؤون الدولية في جامعة واشنطن بأن عوائد الشركات العسكرية الخاصة والتي بلغت مجملها ١٢٠ بليون دولار في ١٩٩٠ سوف ترتفع إلى ٢٠٢ بليون دولار عام ٢٠١٠ وهذا يجعلها الصناعة الأسرع نمواً في الولايات المتحدة. وتلعب الشركات اسم تجاري خاص بها (وربما عملياتها) السلام الدولية) وهو اسم كال جورج أسوس (١) يميزه به كثير.

أسس شركة فينيل كوربوريشن - وهي فرع من شركة أسلحة صملاحة هي نورثروب جرومان - ضابط أمريكي متقاعد ومنذ ١٩٧٥ تضافت معها الحكومة لتدريب الحرس الوطني السعودي، المكون من ١٠٠٠٠ جندي لحماية الملكية ولو حوالة أي تهديد محتمل من القوات المسلحة النظامية. في ١٢ مايو الماضي جبر إرهابيو القاعدة ثلاثة المصانع سكنية عسكرية في الرياض بالملكة العربية السعودية مما أوقع أربعة وثلاثين قتيلاً بحدسهم ثمانية أمريكيين. وكان أحد الأهداف الرئيسية هو المبنى الذي يشغله حوالى سبعين من موظفي شركة فينيل. وقد قامت شركة فينيل في مدى السنوات بتعليم وإدارة وتوظيف وكتابة القواعد لخمسة كاديتات عسكريين سعودية وصممة مبادئ للدراسي ونظام رعاية صحية حكومي كما درست وجهزت أربع فرق ميكانيكية سعودية وخمس فرق مدعوية. وبما قبل فقد دفعت السعودية

مئات الملايين من الدولارات لشركات الدفاع الرئيسية لتجهيز هذه القوات التي دخلت أرض الحركة في حرب الخليج الأولى لثغرة قصيرة حين استعادت مدينة الخفجي السعودية الواقعة على الحدود الكويتية من القوات العراقية.

وقد تعاقدت الحكومة الأمريكية مع شركة دينكورب لتقديم حماية شخصية لرئيس أفغانستان حامد فرهادي وسوف تتولى تدريب الجيش الأفغانى حالما يترك أصحاب البرهات الخضراء البلاد. كما درست دينكورب الشرطة في هايتي بعد التدخل العسكري الأمريكي هناك في ١٩٩٤. وهذا العام فازت بعقد سخي لإنشاء قوة شرطة عراقية ولإقامة نظام قضائي وإدارة السجون. وهذا العقد الذي تقدر قيمته للسنة الأولى بمبلغ ٥٠ مليون دولار كان واحداً من سلسلة عقود استأجرها البنتاجون من الشركات الخاصة الرسمية الأتالية بوجود منافسة كاملة ومفتوحة. وتشمل عمليات دينكورب الأخرى إدارة القوة الجوية بكاملها التي تتكون من أسطول واحد من الطائرات والمروحيات الراسلة وكذلك الرش الجوي لحاصيل المخدرات في كولومبيا. وبحلول عام ٢٠٠٢ موظف الشركة على المرتبة الثالثة عشرة أكبر مقاولي الجيش وتبلغ عائلها السنوية ٢٣ بليون دولار، ٩٦٪ منها عن طريق العقود والمقاولات من الباطن مع حكومة الولايات المتحدة.

خلال أعوام التسعينيات بدأ البنتاجون يتعاقد مع الشركات الخاصة لتوفير كل خدمة يمكن تخيلها في الجيش ماعداً (الطيران والصافى وإسقاط القنابل. ونتيجة لذلك انبثقت شركات كثيرة جديدة بحسبها الأمل في الحصول على عقود بمبالغ كبيرة وأرباح مضمونة. وقد قامت هذه الشركات بأعمال الصيانة والأمن وبالقوات، فقد ولت أيام قيام الجندي بواجبات الحراسة أو تنظيف المراحيض إلى غير رجة.

وأفضل مثال على هذا هو معسكر بوندستيل الضاحر في البلقان الذي تديره شركة كيلوغ وإيراون ووت. وحدث أنه فور انتهاء حملة قصف يوغسلافيا في يونيو ١٩٩٩ انتزعت الولايات المتحدة من الملاك ألف هكتار من الأرض الزراعية في يوروسيفاك في جنوب شرق كوسوفو قرب الحدود القدرنية وأقامت عليها في أقل من أربعة شهور معسكر بوندستيل وهو أكبر وأعلى قاعدة منذ حرب فيتنام حيث بلغت تكاليف بنائها حوالى ٣٦١ مليون دولار وتكاليف إدارتها ١٨٠ مليون دولار سنوياً.

وتقوم شركة كيلوغ وإيراون ووت بصيانة التكنات وإعداد الطعام ومسح الأرض ونقل كل التجهيزات وتشغيل أنظمة الماء والصرف الصحي. يعمل

التابع للكونجرس أو العجز القيداري للعام القادم سيصل إلى ٢٨٠ بليون دولار. وهذا يعني تضخماً يبلغ ١٢ تريليون دولار خلال عشر سنوات، علاوة على دين حكومي موجود فعلاً في فبراير ٢٠٠٣ بـ ١٢ تريليون دولار.

إذن لا يمكن القول إن قواتنا المسلحة منتشرة إلى أبعد من طاقاتها فحسب وإنما نحن نفرض أيضاً في الدوليين من حيث تمويل هذا الانتشار، علاوة على هذا فالأموال تستمر في التدفق، وطبقاً لتوقعات البيت الأبيض وهي عادة منخفضة، فإننا نحتاج إلى ٢٠٠٠ مليار دولار على الدفاع في فترتيه - وذلك حوالي نصف تريليون أكثر مما فعلته إدارة كلينتون في فترتيه. وبالطريقة انفتحت الولايات المتحدة مبلغ ١٢ تريليون دولار على الدفاع ما بين ١٩٩١ و ١٩٩٨، وبلغت الدورات فإن (الحرب على الإرهاب) سوف تكلف أكثر مما كلفته الحرب العالمية الثانية.

ولكن ليس لهذا علاقة بالاستثمارات الخاصة أو أيًا ما كان اسمها فيدون (اهتزاز السوق) لا يبيع سوى الأرباح. إن شركة لوكهيد مارتن وهي أكبر صانع للعتاد لمعتب دوماً معاً خلف الكواليس في حشد الدعم للحرب برش على العراق. في ٢٠٠٢ أصبح نائب الرئيس السابق بيروس جاكسون رئيس مجلس إدارة منظمة نوسى (خاصة) باسم (لجنة تحرير العراق). تضم من الأعضاء جورج شولتز وجون ماكين. في السنة المالية ٢٠٠٢ أسلمت لوكهيد مارتن مبلغ ١٧ بليون دولار لشكل عقود من البنتاجون - وكانت قد حصلت على ١٤٩٧ بليون دولار عام ٢٠٠١ - وحوالي ٢٠ بليون دولار من الإدارة الهندسية في الجيش لتصميم أسلحة ذرية. وفي السنة السابقة للحرب ارتفعت أرباح الشركة بنسبة ٣٦ بالمائة.

هذا هو المستقبل، حين تصبح الحرب أكثر الأرباح ربحاً. علينا أن نتوقع المزيد منها. ❧

المصادر

(٥) تشامرس جونسون، مؤلف كتاب (دو المصير blackboard) - كتابه القادم (أحزان موزونية) يتوقع صدورهما في نفس دور نشرتين.

(١) جورج أوزويل، الكاتب البريطاني مؤلف رواية (١٩٨١) التي تلتها رواية خيالية تسود دولة واحدة تعمر فيها وأعماله مستوحاة من فيلم، ويرى فيها التكنولوجيا تشابهاً لما وصلت عليه الولايات المتحدة (وجهات نظر).

(٢) في الواقع إن مسألة تنظيف الكتلات أكثر من مرة في اليوم كانت مثلاً على احتيايل الشركة من البائعات بالبالغ المصروفة على الخدمات كما أثبت التحقيق الذي أجراه مكتب الحاسبة العامة. وهي هيئة رقابية للكونجرس في عامي ١٩٩٧ و ٢٠٠٠ حول تلعب هذه الشركة في عقود مع الجيش الأمريكي للعمليات في البلقان ووجهات نظر.

إلى أن تسترجع قيمة خصومات في الضرائب تبلغ ٨٥ بليون دولار في ١٩٩٩، وقد استقال تشيني من الشركة في أغسطس ٢٠٠٠ ليحصل منصب نائب الرئيس ولكن ارتباطاته لم تنته هناك. فطبقاً للبيت الأبيض كان إجمالي دخل تشيني المجلد لعام ٢٠٠٠ هو ١٠٠٠٠ و ٨٠٠٠٠ دولاراً وتشتمل ٤٣٣٣٠٠ دولار بشكل علاوات وتعويضات من هاليبرتون وجمعية الحال إن بيان الإقرار المالي لنديك تشيني لم يكن دخله الحقيقي ولكنه مجرد بيان مصفى من البيت الأبيض. ووضعت نائب الرئيس استمر تشيني يستلم دفعات حساب من هاليبرتون بزيادة ١٥٠٠٠ دولار سنوية بشكل تعويضات



ربما يصعب علينا الآن أن نتذكر أنه في عتبة الحرب العالمية الثانية كان جيشنا النظامي مجرد ١٨٠٠٠ رجل الآن هناك ١٤٠٠٠٠ عسكري البنتاجون (احتفظ السلام) التي تولوها ميزانية دفاع أكبر من بقية الميزانيات القومية الأخرى وتتشكل هذه الخدمات من رجال ونساء ويعملون في عوالم قواعد منزلة ومكتفية ذاتياً ترتبط ببعضها البعض من جرينلاندا إلى أستراليا. لقد جمع البنتاجون ٢٠ مليون جندي ضد العراق في حين أن هناك بضعة آلاف جندي يهاجمون في مناورات يومية في ألبانستان. وما يخص من أفراد البحرية يملأون سفناً قرب شواطئ كوريا الشمالية، وبضعة آلاف من المارينز في جنوب الفلبين يساعدون القوات المحلية في محاربة حركة الانفصالية الإسلامية تمتد جنوبها إلى قرين من الزمان وعدة مئات من (المستشارين) يتعاملون مع ما يمكن أن يكون يوماً ما شبيهاً بمصالح فيتنام، في كولومبيا (وروما) في أماكن أخرى من منطقة (الاندون) لدينا وجود عسكري في ١٢٠ دولة من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة البالغ عددها ١٨٨. بعضها قوات منتشرة على نطاق واسع في خمس وعشرين دولة. لدينا معاهدات عسكرية أو ترتيبات أمنية ملزمة مع ست وثلاثين دولة على الأقل. كل هذا يكلف أموالاً هائلة في وقت تعاني فيه الولايات المتحدة من عجز في الميزانية. في ظل حرب الخليج الأولى حوالي ٦١ بليون دولار دفع لحلفاء أمريكا مثل السعودية والكويت والإمارات والمانيا واليابان والكويت والجنوبية حوالي ٨٢ بليون دولار منها، أي ما يقارب ٨٠٪ من المبلغ الكلي تاركين للولايات المتحدة المساهمة بجزء ضئيل هو ٧ بلايين دولار. وقد دفعت اليابان وحدها مبلغ ١٣ بليون دولار ولكن هذا إن يتكرر مرة أخرى. في الواقع يبدو أن العالم بأكمله قد اتفق على أنه إذا أربكت القوة العظمى الوحيدة الآن، أن تتابع حروبها القومية فعليها أن تتدبر حالها. لقد كشف مكتب الميزانية

لديها حوالي ١٠٠٠ عسكري أمريكي مابق وحوالي ٧٠٠٠ من الألبان سكان المنطقة، وتوفر الشركة ٦٠٠٠٠ جالون ماء كل يوم وكهرباء يكفي مدينة من ٢٥٠٠٠ نسمة وتنفصل ١٢٠٠٠ حقيبتي ملايير وتطبخ وتقدم ١٨٠٠٠ وجبة طعام كل يوم. وكان المعسكر مكتظاً إلى درجة أن الشركة كانت تنظف المكاتب ٤ مرات باليوم والشكايات ثلاث مرات (٢) ويقول الجنود العاملون في دونستين على سبيل الفكاهة إن الرجز الذي يرتدونه ينقصه باج واحد يقول (برعاية براون روت) وتقدم الشركة خدمات ما بعد الإزالة للقواعد بالكويت وتركيا وأوزبكستان.

ويبدو أن معسكر بوندستين هو قاعدة لما سماه جيمس جالبريث أستاذ العلوم السياسية في جامعة تكساس (جميع البنتاجون العسكري) الذي يعتبر ذلك تشيني الأب الروحي له، فقد كان وزير دفاع عندما بدأت شركة براون روت تقديم خدماتها اللوجستية للجيش كانت تلك فكرته. وفي عام ١٩٩٢ دفع البنتاجون للشركة ٣٩ مليون دولار للقيام بدراسة جدوى سرية حول تجديد مرتزقة من أجل تقليل اعتماد الجيش على القوات في إنجاز المهام اللوجستية الأساسية ثم أضاف البنتاجون بعد ذلك ٥ ملايين دولار إلى العقد ثم اختبر الشركة ذاتها لتنفيذ خططها التي اقترحتها. والعقد لوجستي صادر من فرقة المهندسين في الجيش ومدته خمس سنوات للعمل إلى جانب القوات في أماكن مثل زلير وهابيتي والصومال وكوسوفو والبلقان والعربية السعودية بعد أن أصبح تشيني رئيس هاليبرتون في ١٩٩٥ فازر براون روت بصفته من الحكومة قيمتها ٣٢ بليون دولار وهي ضعف مبلغ ١٢ بليون دولار التي ذاتها التصفية المضرة من الحرب مقابل ٢٣٨ مليون دولار وهي الحقوق التي كان يجب تشيني وزير الدفاع أثناء حرب الخليج الأولى، صامسا في تدميرها. وقد عين تشيني معه في هاليبرتون العديد من رفاقه أيام البنتاجون منهم ديف جرين رئيس الإدارة السابق الذي أصبح واحداً من الكبار في هاليبرتون والأميرال جو لوكيتر وهو آمر سابق للأسطول الخامس وشغل منصب نائب رئيس أقدم للعمليات الحكومية في شركة كيلوغ وبراون روت. وخلال إشراف تشيني منصب رئيس هاليبرتون صعدت الشركة من الترتيب الثالث والسبعين على قائمة العقود الحكومية في البنتاجون إلى المرتبة الثامنة عشرة مع زيادة في عقودها الحكومية بمقدار ٩١٪ في أثناء ذلك زاد عدد فروع هاليبرتون في ثلاثين دولة من الضرائب في الخارج من تسعة فروع إلى أربعة وأربعين. وبدلاً من أن تدفع الشركة ضرائب قد تصل إلى ٣٠٢ مليون دولار كما حدث في ١٩٩٨،

عبد العليم الأبيض

أيديولوجيا الدين

العلامات الخمس عندما تطل برأسها القبيح
تكون نذيراً بحدوث المتاعب والاضطراب. وتكون
جرساً يدق بأن الدين قد اعتراه التشويه والإفساد.
إذ ثمة نزعات قوية نحو التشويه لشهدها في كل
الاديان الكبرى ولا تخلو ديانة منها

الكتاب الذي يعرضه هنا تحت عنوان
«عندما يصبح الدين شراً» لتشارلز
كمبال، وهو أيضاً أستاذ دراسات دينية
مقارنة وكاتب دافع الحميت. وتقدم كمبال
مناصب عديدة في المنظمات المسيحية
الأمريكية الليبرالية أو المعتدلة فقد كان
مديراً لكتبت الشرق الأوسط في منظمة
مجلس الكنائس القومي في الولايات
المتحدة، وهي من المنظمات التي تؤمن
بالمسلم وتعميق الحوار بين الأديان.
وللمجلس مواقف مشهودة في تأييد
المسلم العادل في الشرق الأوسط. أما
كمبال ذاته فله مواقف صاعقة في النقد
السياسات الإسرائيلية الاستيطانية في
الأرض الفلسطينية المحتلة. وكذلك
في انتقاد التيار المسيحي المحافظ
ومحاولات التشويه لدين عظيم هو
الإسلام الذي توفر المؤلف على دراسته
في جامعة هارفارد.



يتناول كتاب «عندما يصبح الدين
شراً» في الأساس خمس علامات
تحذيرية لتحول الدين عن غرضه في
الهداية والسلام إلى مقاصد شريرة
مدمرة على أيدي المتطرفين من كل
الاديان والمذاهب وعلى أيدي التحريفيين
والانتقائيين. هذه العلامات الخمس
عندما تطل برأسها القبيح تكون نذيراً
بحدوث المتاعب والاضطراب. وتكون
جرساً يدق بأن الدين قد اعتراه التشويه
والإفساد. إذ ثمة نزعات قوية نحو
التشويه لشهدها في كل الأديان الكبرى
ولا تخلو ديانة منها. ولكن علاج هذه
الطاهرة موجود في كل الأديان هي
الإسلام كما في المسيحية وهما الديانتان
اللتان يركز عليهما المؤلف في دراسته
الحميئة والموضوعية إلى أبعد حد يمكن
أن تكون عليه الموضوعية. إذن، فما هي
هذه العلامات؟ العلامة الأولى هي مزاعم
امتلاك الحقيقة المطلقة، والعلامة
الثانية هي الطاعة العمياء المحالة
لذهب أو زعيم دون تدبر ودون أعمال
العقل. والعلامة الثالثة هي الزعم بأن
هناك وقتاً ملائماً يحدد نهاية العالم أو
الانطلاق لتحقيق أهداف أبعد ما تكون
عن الدين. أما العلامة الرابعة فهي مبدأ
الغاية تبرر الوسيلة. ثم أخيراً إعلان
الحرب المقدسة.

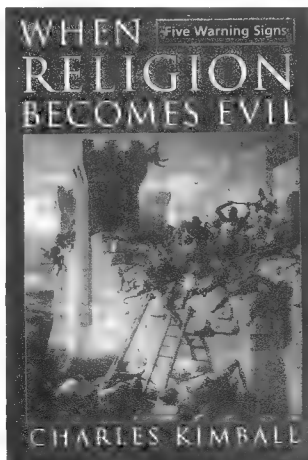
وكما سلف فإن دراسة كمبال تشمل
جميع الأديان ولكن هناك تركيزاً أساسياً

في بحث مطول نشرته مجلة
«الاطلاعات الشريعة» التي تصدر في
مدينة بوسطن الأمريكية، وهي من
المجلات الثقافية المحترمة عن حالة
المسيحية اليوم. يذهب فيليب جنكنز
أستاذ الدراسات الدينية المرموق إلى أن
المسيحية الآن في مفترق الطرق. وأنها
بصدد تطورات مدمية داخل الدين
المسيحي سوف يكون لها أثرها العميق
والبعيد على القرن الواحد والعشرين.
وتذكرنا بحركة الإصلاح الديني التي
أطلقتها مارتن لوتر عندما ذهب إلى
القاتيكان في روما وأقدم أطروحاته التسع
والثمسين حول الإصلاح الديني وهي
الحركة التي غيرت تاريخ الكنيسة، بل
وتاريخ الفكر في العالم. إذ حررت حركة
الإصلاح الديني القيود التي تلجم الفكر
البشري الحامد الذي ساد العصور
الوسطى.

ما يود أن يقوله البروفيسور جنكنز
هو أنه حدث شرح كبير داخل المسيحية
لا ينتهي إليه الكثيرون. المسيحية اليوم
تنمو نمواً متسارعاً وتغير شكلها فيما
يشبه الطمارة! إذ ينتقل مركز الثقل في
الدين المسيحي من أوروبا وأمريكا
الشمالية إلى أمريكا اللاتينية وآسيا
وأفريقيا. أي إلى الجنوب. لا من ناحية
الثقل العددي فقط، بل، وهو الأخطر،
من الناحية الذهبية. إننا نشهد حركة
دينية كبرى كمحركة مارتن لوتر. ولكن
يمكن أن نصفها هذه المرة بأنها حركة
إحياء ديني مصادة لحركة لوتر. إن ما
يحدث الآن هو إحلل الدين محل
الأيديولوجيا كقوة دافعة ومدمرة في
شؤون البشر وسوف تحدث أثرها فيما
يتعلق بمبادئ الحرية السياسية وأيضاً
في نشوب الصراعات العرقية داخل
المسيحية ذاتها وخارجها. إنها تأتي عكس
ما ذهب إليه صامويل هنتنغتون في كتابه
صراع الحضارات فالصراع سوف يكون
صراعاً بين أديان!

ولقد لاحظ بعض الكتاب والمفكرين
العرب نفس الظاهرة فيما يتعلق
بإسلام. فنحن نشهد صراعاً في
الساحة الإسلامية بين إسلاميين
وإسلاميين على نحو ما نشهد في
الجزائر والسعودية ومناطق أخرى كثيرة
داخل العالم الإسلامي. ذلك يأتي بنا إلى

When Religion becomes Evil
عندما يصبح الدين شراً
Charles Kimball
Harper San Francisco, 2002



الجماعي. كان جيم جونر واسمه بالكامل هو جيمس واين جونر من اتباع الكنييسة البنتاغونية المسيحية أصولية. وكانت دعوته تسم بالمشالية الشديدة، فقد كان يدعو في هذا الوقت بين الخمسينيات إلى الاندماج العنصري بين البيض والسود وإلى المساواة والتعددية الاجتماعية. ثم دسّ خيسما من جانب الكنييسة ولا دعوته كانت سافعة للأول، فقد ثارت الكنييسة عليه وكان ان استقل وأسس «معبد الشعب»، ووجه بحملة اضطهاد واسعة في وسائل الإعلام مما كان منه إلا ان جمع مريديه وهاجر بهم إلى غابات جيانا، بعد ثلاثة أعوام فقط من دهايه إلى جيانا، ارتكب هذه الجريمة. أقام جونر نظاماً صارماً يقوم على الطاعة العمياء، وانساق أتباعه كالنجاح إلى الانتحار الجماعي لئلا وأطعاً وبشوها وشباباً.

يؤكد المؤلف أن الطاعة العمياء لأي مذهب هي ذير بالسوء وعلامة صريحة لتحويل الدين عن مقصده، إن تحول الدين إلى سر يقبل كثيرًا في وجود حرية التفكير الفردي وعندما يتسبج على الجحيم التزييه. ويذكر لنا وصية الحكيم «بوذا»، وهو على فراش الموت، «لا تقبل قولاً مجرد وجوده في كتبتنا، أو لأنه يتفق مع معتقداتنا، أو لأنه من أقوال ملوكنا كونوا مصابيح لنواظركم.. من سيقتد منكم الآن أو بعد مئتي على نفسه ويشتد العون خارج نفسه، أولئك سيبلغون الندارى..»

تحديد الوقت المثالي

يقصد المؤلف بهذه العبارة من علامات تدبير الله، بأن يؤمنون بأن هناك وقتاً مثالياً للتحويل لظهور ظاهرة دينية يعتقد معتقدوها أنها سبقتها بسوق يحققون خلاصتهم، يسوق لنا عدة أمثلة، منها مثال بالغ الدلالة في عام ١٩٨٤ وأصبح حراس فلسطينيون يحرسون المسجد الأقصى ومسجد فيه الصخرة مجموعة من المتطرفين اليهود يحملون عدة حقايق وعندما قبض عليهم وبعد التحقيق معهم اكتشفت الشرطة الإسرائيلية محاسباً ضخمة للأسلحة، نقشت عليها نقوش غريبة.

الحياة، ومثل النصوص القديمة كمثل كل الأشياء القويية، إلا يعكس إساءة استخدامهما من خلال نوع من تقديس الكل ومن خلال القراءة والتفسيرات المتقاة. والصفحة والإداعات اليومية تترجم بامتانة من رجال الدين والسياسة يقتبسوا القرار أو الإنجيل دعماً لسياساتهم.. كما أنها أداة سهلة وقوية، الحجة للترويج لأفكار خاصة أو قضية، أو كما يقول شكسبير «ان بوسع النشيطات نعمة الاستعانة باللفظ المقدس لتحقيق مآربه..» ومن ثم يكرن المؤلف، بأن الأعمال الانتحارية باسم الإسلام هي مثال لهذه الظاهرة، وبأنها كذلك إبان الحرب الأهلية في لبنان كما شهدناه في تدمير مركز التجارة العالمي، إذ ان دعاوى امتلاك الحقيقة المطلقة إنما يستخدم لاستقطار المتطوعين للمهام الانتحارية من خلال وعدهم بدخول الجنة مباشرة.

الطاعة العمياء

الطاعة العمياء هي العلامة الثانية التي من خلالها يشوه ويفسد الدين، ويتحول إلى أداة قتل ومجازر، وللتدليل على ذلك يكرن المؤلف بقصة الياباني أساهارا شوكو مؤسس ورعي طائفة «أوم شريينكيو»، التي أطلق أساهارا لشر غار «السايرين» شديد السمومية في مترو انفاق طوكيو وراح ضحية لها الحاد ١٦ قتيلًا واصابة أكثر من خمسة آلاف شخص.. وعندما تحركت الشرطة اليابانية وحققت في الموضوع اكتشفت أن أعضاء هذه الطائفة يبلغون عشرة آلاف موزعين على ٢٥ مركزًا علاوة على ٢٠ ألفًا من الأتباع الموزعين على هذه الطائفة حوالي ٢٠٠٠ مريد يطعمون زعيمهم طاعة عمياء، وعندها قبض على شوكو وجبت في ورشة تصنيع دھرية واسعة كثرية كما كشف التحقيق عن جرائم أخرى عديدة ارتكبها هذه الطائفة، واكتفى هو أن الطاعة العمياء تلغى التفكير بالحقيقة المطلقة ليردئ أساهارا شوكو، هي تأليمه ولا شيء غير ذلك.

المثال الآخر الرهيب الذي يسوقه المؤلف هو قصة جيم جونر الأمريكي مؤسس طائفة «معبد الشعب»، دفع جيم جونر أتباعه في المستعمرة التي أسسها في غابات جيانا إلى تناول سم «السيلانيذ» في عملية هي أبشع عمليات الانتحار

الأمتله دعماً لما يذهب إليه نذكر بعضها فقط إذ ان القائمة طويلة. لقد قرأنا جميعاً كتاب مايكل ماكاي الأصولي الأمريكي المسيحي الذي اغتال دكتور النساء دايفيد جن محارسته الإجهاض القانوني عام ١٩٩٢. والآنكي من ذلك، ان رجل الدين بول هيل انبرى يدافع عن هذه الجريمة في وسائل الإعلام، ثم فاده تعصبه الاعصى إلى قيام هيل نفسه باغتتيال دكتور آخر، والصبح أن هيل ينتمى إلى منظمة أصولية متطرفة تدعى «جيش الله»، وهده الطائفة تدير جرائمها بالاستشهاد بمسقرات في الإنجيل أخرجت عن سياقها ومقصدها على نفس القوال يتشابه إسماءه بن لادن زعيم منظمة «القاعدة»، ويجرى قانون زعيم منظمة «المسيحيون المولودون من جديد»، ويات روبرتسون مؤسس منظمة «التحالف المسيحي»، لقد هرب بن لادن لتدمير مركز التجارة العالمي والبنجابون بأنه علامة من الله على تأييد فعلته، ويبدو أن جيري فاويل قد وافقه على ذلك، فقد ذكر فاويل أن هذا الحادث المريع هو أسلوب الله في التمييز عن عدم رضائه عن ممارسة الإجهاض والوثنيين وانصار المرأة والمواطيس والمساقيات.

إذ هذا التفسير الديني يناقض قيم الإسلام فيما يتعلق بالحقيقة، فالإسلام يبدأ بوحدانية الحق المطلقة، غير ان المسلمين يظهرون مرونة كبيرة في سمعيه التي معرفة تلك الله سبحانه وتعالى فالشر قاصرون كل القصور عن إدراك كل الحقيقة الإلهية، وفي هذا الجزء من الكتاب يوجه المؤلف نقدًا شديدًا إلى بعض زعماء الدين المسيحي من المتشددين الأصوليين، أو ما يطلق عليهم «البييس المسيحي»، وهم المقابل الموضوعي للمتطرفين الأصوليين من كل ملة. إن تطرف جيري فاويل ويات روبرتسون وغيرهما كان وراء زعمهم بأن الله ليس هو الرب، أي God بالغة الإلهية، وهم يبنون إلهياتهم على فقرات من العهد الجديد من إنجيل يوحنا الذي يتحدث فيه الرسول يوحنا عن علاقة الحق بآلهة الإسلام الفردية بالرب وهنا يقول المؤلف: «إن النصوص القديمة توهر مصدرًا ثريًا للحكمة والهداية وسقط تعليقات

على المسيحية والإسلام.. أولاً: لأن اتباع الديانتين يشتمون نصف العالم تقريباً، وثانياً: لأنهما يتميزان بجاذبية الرسالة والاستعداد للتفاعل مع النظم السياسية على نحو أكبر من أي دين آخر، ويدخل الصراع المسيطوني، الإسرائيلي في هذا الاشتباك السياسي لكل من الإسلام والمسيحية واليهودية، ثم إن الإسلام والمسيحية يملكان نزعات تيشيرية قوية، تنجح هذه النزعات في بعض الأحيان في استبعاد الآخر. إن نزعات الشر فيما بين المجتمعات الدينية تقدم علامات إمدار تأخذ شكل الأفعال والمواقف التي سرعان ما تتحول إلى سلوك مدمر يشوه الدين ويحول عن مقصده في السعى إلى الخير واحترام الغير.

إن الأديان قد تختلف فيما بينها في الطغوس والشعائر إلا أنها جميعاً تسعى إلى الله والحياة الروحية ودعم علاقات الرحمة والعلاقات البينة فيما بين البشر، والأل تعرض للعلامات الخس.

مزاعم احتسار

الحقيقة المطلقة

لكي نتعرف على كيف يشوه الدين يتعين علينا ان نعرض على فهم موقف الدين من الحقيقة، في كل دين. يقول لنا المؤلف، تشكل دعاوى احتسار الحقيقة الأساس الذي تقوم عليه هذه الأديان، ولا غبار على ذلك، ولكن عندما تتحول هذه الدعاوى إلى نظريات جامدة متحجرة ومتكسكة تحول دور التفاعل الإنساني مما تسبح العرصنة لتشويه الدين، لقد أدت الاختلافات في التفسير إلى انقسامات كثيرة في الدين الإسلامي نعرفها جميعاً ولا يماري فيها أحد، وكما هو الحال في كل الأديان، فإن المسيحية التي بدأت في بيئة متواضعة في فلسطين منذ حوالي ألفي عام تحتمس الآن إلى الطوائف حول العالم وتظهر المشكلة عندما تصير طائفة على أن تسميرها وحده هو الحقيقة وما عداها باطل وبهتان.

وعندما تتحول هذه الدعاوى إلى حقائق مطلقة فإنها تفتح الباب لدخول الشر وسببية الدين، وسئل هذه التفسيرات غالباً ما تؤدي إلى العنف وتبريره الأمثلة على ذلك كثيرة وهنا يسوق

والضح فيهما بعد أن هناك مؤامرة سرية ضخمة تتضمن قيام طليار إسرائيلي بسرقة طائرة قاذفة تنسف بقية الصخرة. وعندما قبض على الطيار اعترف بفعلته قائلا:

«لقد كنت أفكر منذ أربع سنوات في تطهير جبل المجد، أي الحرم الشريف من قبضة المسلمين».

يشير المؤلف إلى وجود جماعات يهودية متطرفة تدعّمها جماعات مسيحية متطرفة تعمل على التمهيد بالحلول الثاني للمسيح عليه السلام. وترى هذه الجماعات أن حرب ١٩٦٧ كانت علامة إلهية. إذ انتصر فيها اليهود. أما المسيحيون الأصليون الذين يدعّمون إسرائيل بالأموال والرعاية المجانية فيرحّبون بمعودة شتات اليهود إلى فلسطين لأن ذلك بشرى بمودة المسيح.

بعد ذلك ينتقل المؤلف إلى الإسلام ويلاحظ أن هناك جماعات إسلامية كجماعة بن لادن والطاران والجهاد ترى أن الوقت أصبح ملائماً لإقامة الدولة الإسلامية. وفي سبيل ذلك تبدأ هذه الجماعات قصارى جهدها لتحقيق لهذا الهدف من خلال تبوير قتل الأبرياء وتكفير النظم والجماعات استعداء لإقامة دولتها الإسلامية. ويعترف المؤلف أن غالبية المسلمين ترفض رؤية الإسلام الأصولي المتطرف.

ولا يعتقد الكاتب أن هناك مستقبلاً لهذه الجماعات قبل الدولة الإسلامية الملائية لا وجود لها في التاريخ. فالتاريخ لا يسمو بالكاتب التنويه بثور إسرائيل والولايات المتحدة وفساد النظم السياسية في العالم الإسلامي وانهماك حقوق الإنسان من جانب حكام فاسدين غير منتخبين في ظهور هذه الظاهرة. ولكن لا شيء يبرر هذه الأعمال الإجرامية التي تستخدم الدين وتؤشعها. إن الجماعات المتطرفة الإسلامية تقابلها جماعات متطرفة مسيحية ويهودية وهندوسية. ولغة تشابه كبير بينهم. فالتباين «التحالف المسيحي، بقيادة بات وويرتسون تعمل أيضاً على إقامة دولة تقوم على الإنجيل وفقاً لتفسيره».

انظر إليه يقول:

«فيما يتعلق بإنصار إعادة البناء (متطرفة أصولية مسيحية) لا توجد أرض محايدة، ولا يوجد مجال للعمل خارج حكم الله». فها إن يكون المرء ممارساً لسياسات الهية أو أنه يشارك في أنظمة تعادي الله والأسرة والمدرسة والكنيسة...

الهدف يبرر الوسيلة

توضيحاً لما يقنيه بهذه العلامة يشير كميال إلى حادث مذبحة الهندوس للمسلمين في الهند في التسعينيات التي راح ضحيتها ٢٠ مسلماً وجرح المئات. ولقد شاهدنا الهندوس وهم يهزقون الأسر المسلمة أحياء في بيوتهم وسياراتهم. وهو حادث واحد من عشرات مثله. يقول المؤلف أن هذا السلوك من جانب الهندوس لا يمكن تبريره بأي حال من الأحوال. فهو يخالف كل المبادئ الأساسية التي تقوم عليها الديانة الهندوسية التي تقوم على تعدد الأعراق واللغات والأديان. إن الدين لا يقر ذلك ولايد من توافق الوسيلة مع الهدف. إن مبدأ الغاية تبرر الوسيلة مبدأ مرفوض دينياً وأخلاقياً.

ولكن يلاحظ كميال أن مثل هذه الظاهرة متواترة بين أتباع الأديان الأخرى من المتطرفين. فتحن نعرف حكاية باروخ جولد شتين الذي أطلق رصاص رشاشه على جموع المصلين

الفلسطينيين في مسجد الخليل. ونحن نعرف أن جولد شتين أمريكي يهودي يحمل الجنسية المزدوجة لإسرائيل والولايات المتحدة وأنه ينتمى إلى أشرار المستوطنين اليهود في الأراضي المحتلة. ونحن نعرف أن قبره بمدينة الخليل أصبح مزاراً للمتطرفين اليهود!

إعلان الحرية المقدسة

في هذا الجزء من الكتاب يؤكد كميال الحقيقة التي لا مراء فيها وهي أن أكثر من قتلوا في الحروب التاريخية إنما قُتلوا باسم الدين، ولكن من الجرائم ارتكبت وانتازل ترتكبت باسم الدين. فأسامة بن لادن الذي قُتل من منظمته ٩ آلاف في نيويورك وضواحي واشنطن من الأبرياء إيماناً بأن ما فعله يندرج تحت خاتمة الحروب المقدسة. كما نرى جورج بوش يرد على بن لادن بإعلان الحرب على الإرهاب ويقسم العالم إلى أضرار وأخيار. واستخدامه واستخدام وسائل الإعلام الأمريكية بأعضائها لرموز الحروب المقدسة في تغطيتها لحادث ٩/١١. ويعد. لقد شاهدنا مجازر البوسنة والجزائر وشوشيا وكلها بطريقة أو بأخرى ترتكبت باسم الدين. وفي حالة رهبة اقترعت الهند وباكستان من الحرب النووية.

لا يماري كميال في أن بعض المواقف في بعض الأوقات تستدعي عملاً مسلحاً، كما لا يخالفه أي شك في أن ما ارتكبه

أسامة بن لادن هو جريمة شناعة. ومع وجود أساليب مشروعة للعمل المسلح الجماعي فيما بين الدول، فلا يجب أبداً أن يغلف هذا العمل بغلاف الدين. إن إعلان حرب مقدسة في عالمنا الذي يمح بأسلحة الدمار الشامل هو عمل انتحاري.

ويرفض المؤلف فكرة الحرب العادلة

التي تشابه كثيراً مع المزايم الدينية لتأميم السلوك إبان الحروب وإن كان قوامها مراعاة مبادئ الرحمة وعدم إيذاء المدنيين وغير المتحاربين. فيرى أن كل الحروب التي ترتكبت باسم الدين إنما هي حروب سياسية في المقام الأول. فقد ظلت المسيحية على مبدأها في محاربة العنف والدعوة إلى السلام حتى مسحه الإمبراطور قسطنطين إيد في معركة من معاركه التي فاز فيها. زعم أنه قبل هذه المعركة بيوم واحد ظهر له في المنام صليب أبهى نقتش عليه هذه العبارة.

بهذه العلامة قد تقوى. بعدها أصبحت المسيحية العيانة الرسمية للدولة الرومانية. وأصبح أي تهديد للدولة هو تهديد للكنيسة. وقد رأينا صمد حسنين وروج بوش الأب يستخدمان رموزاً دينية في حرب العراق الأولى. وكشنا بعرف أهوال الحروب الصليبية حيث كان قواد الحرب الصليبيين يتفخخرون بأن:

«همودنا كانت لنقوم بفسلى رموس الوثنيين (المسلمين) في أواني الطهوس، وكيف كان يشوى الأطفال على أسياخ لتلهمهم بعد ذلك مشوية»!

ويعتبر النقاد أن كتاب كميال هو من أفضل الكتب التي كتبت بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ إن لم تكن أفضلها. فقد أزعج العشاة التي هيئت على معظم الكتب التي كتبت حول التطرف الإسلامي ويرى على أن مشكلة التطرف والإرهاب ليست مشكلة تخص الإسلام وحده بل هي تخص المسيحية أيضاً واليهودية وسائر الأديان الأخرى. إن خطر التشويه الديني هو خطر يحيط بنا جميعاً ويهددنا جميعاً. وهو الخطر الذي يشكل هاجساً لدى الكاتب. فقد أبرز علامات الخطر وكيفية العلاج والتصحيح. وهو جهد لا يسعنا إلا أن نقدر له هذا الصنيع. ❧

أحدث الإصدارات من

دار الشروق

اطلبها في معرض القاهرة الدولي للكتاب
من ٢١ يناير إلى ٣٠ فبراير ٢٠٠٤



تطلب من

دار الشروق ٨٠ شارع سيدويهي المصري - زاوية العدوية - مدينة نصر ١١٢٣٩٩ ٤ - مكتبة الشروق ١ ميدان طلعت حرب بورس ٩١٢٢٨٠

ومكتبة الشروق، مهنى هريمت امام حديقة الحيوان ٣٦ ش الجيزة محل رقم ١١ تليفون: ٥٧٥٠٣٥

ومن المكتبات الكبرى والحدود في اسكندرية وبغداد والقاهرة وغيرها

كما يمكنك طلبها إلكترونياً www.darshorok.com

كاتيا ديفينياج

مرحه من مجتمعه. ربما يكون إسحاق مخيمات الإغاثة غير سعيد، إلا أن عليه أن يكون شاكراً مقابل بقائه على قيد الحياة بل إن المصلحة النهائية يمكنها أن تنهى تلك الحياة، والتي يمتزج فيها إبقاء على قيد الحياة، يمكنها أن تستبدلها بالموت.

اللاجئون، في هذا الفيلم الصوماليون المحتجرون في مخيمات الإغاثة، هم أوضح أشكال الحرز الخارجي الذي تمارسه عليهم سلطة تهدف إلى إيمانهم معلقين بين الحياة والموت، منزوعين عن سيقاتهم، وذلك ليس لأن حقوق الإنسان لم تكتب لها العلية بعد في صراعها الطويل، ولكن لأنها نفسها تشكلت خلال عملية ظهور السلطة الحيوية، تلك العملية التي امتدت عبر مئات السنين ونشأت فيها السلطة الحيوية كعلم وطريقة إدارة.

ضبط وتأديب الضراء

السلطة الحيوية تاريخياً تعمل على جسد الأفراد وعلى جسد المجتمع في آن.

فيلم المخرج البريطاني ريدلي سكوت متزامناً مع الحادي عشر من سبتمبر كهدية لهوليوود، يوضح لها دون أن يدري كيف تكون الحروب الحديثة، وكيف تصور العين المسيطرة حياة جنود اللاجئين العارية. حياتهم الرازحة تحت إمرة الصليب الأحمر الدولي Red Cross guaranteed Life، والتي هي أحد أفسى أشكال البقاء على قيد الحياة في ظل الرأسمالية الإمبريالية.

مخيم إغاثة اللاجئين أمام من قبل الهيئات الإنسانية يتم فصله كلياً عن المجتمع الأصلي المحيط به، ذلك الفصل الحاد بين الإنساني والسياسي في الخيم يصوره الفيلم كحقل مثالي لإدارة البشر وسلبهم حقوقهم. الحزل من أجل البقاء. هنا يسود منطق النجدة والطوارئ، فتتشأ منطقة لا يمكن التمييز فيها بين المنف والقانون، من يجر إلى هذه المنطقة يتم

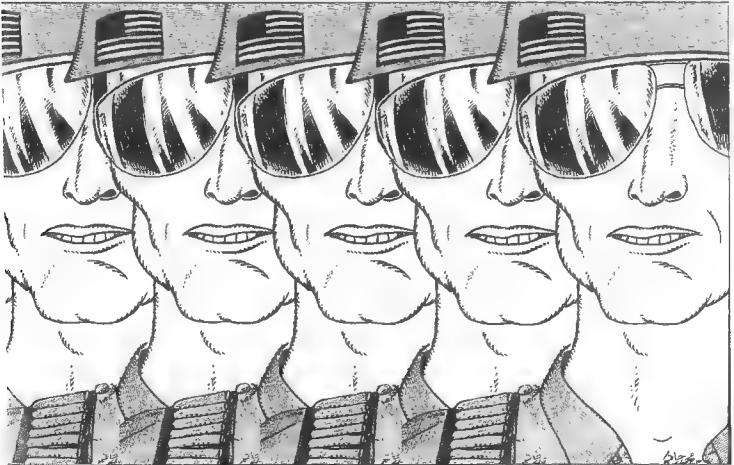
رسمياً في إنتاجه عن طريق تقديم مساعدات، هذه المرة على هيئة طائرة هليكوبتر حقيقية.

في بداية الفيلم نرى فراغاً تلتصق فيه أشعة الشمس. في هذا الفراغ تدوى أجساد سوداء جائعة، خراف حية، لا تزال تثبت منها دخان معركة الأمس. حالة تلك الأجساد غير واضحة هل هي على قيد الحياة؟ هل ماتت جوعاً؟ كل ما هو مؤكد أنها الآن لا شيء سوى أجساد. حياة مجردة بدون لغة أو مجتمع. أجساد على الحافة بين الحياة والموت. أشياء للحرب مواضع للرحمة الإنسانية. أجساد تنتظر إمدادات الطعام، تنتظر الرعاية الطبية. أجساد تقع تحت عين الفيلم المسيطرة كحشود جائعة على طريق الفرار. حشود حشود. على العكس من ذلك صورة المتقنين البيض بأيديهم النظيفة، ووجوههم التي تعكس الجهد المضني لتسريع التنمية الدولية. لقد جاء

■ في سوق إمبراشريت نسخة مروره من فيلم «مشرق أسود يسقط Black Hawk Down»، يولان ونصف على قرص مدمج. القرص أشبه استوديو تقليد في مكان مجهول يعرض هنا في أحد أسواق ما بعد المورديّة في تركيا، حيث تباع سوليتاري الرزق العشوائي أبحث ما ينتج هوليوود، وواي السيلكون. إلى جانب العديد من المراكات العالمية مثل نايفي وفيلادى كى إن واى. قطع قليلة تباع ببيع ضعيف، هو المارق المباشر بين سعر البيع وسعر الشراء. استيراد وتصدير الأعمال الترفيهية الحربية تكشف عن مفاجأة حقيقية فيلم «مشرق أسود يسقط» للمخرج ريدلي سكوت مصور كاميرات محمولة من على جبهة ما يسمى بالحرب على الإرهاب. الفيلم مليء بالحركة البطيئة، وانقطع السريع، والصور المهزورة، والذي يمتدح انطباعاً بأنه في وسط الحرب. الفيلم صور في الحرب ومثل فيلم «جى. آى. جين Jane 1. G»، شارك البنتاجون

ترجمة: هيثم الورداني
بترتيب مع مجلة: Jungle World الألمانية

مشرق أسود يسقط



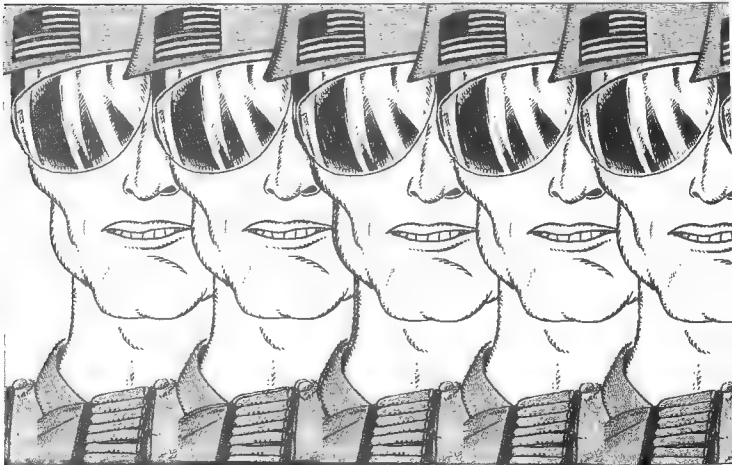
ودفع الصراحت حتى هلك ثم استدله
دار الفيق الأسود

الامر الثاني أن السلطة الحيوية هي
عملية تراكم التشجيع بروح الانصباط
وسحبها على جميع أنحاء الجسد
الاجتماعي هو عملية تراكم طويله
للمفصل والعزل والهداية في كتاب. تراكم
للتدريب الدقيق على الربط والحادثة
والجلوس المعتدل. تراكم لإيقاع الجرس
والعصا الأمرة. تراكم تحريسه لمنهيات
المراقبة طبقة تصطف فوق الأخرى
وتتشعب بها. يجدر بالمرء ألا ينسى كم
الجهد الذي بذل من أجل ضبط الأجساد
ومنعها وسلكتها في إيقاع مضبوط،
التعليمات التالية وردت في وثائق أحد
المصانع في بدايات القرن الثامن عشر.
وتعطي صورة لدلالة التي أريد تعبيرها
عبر التعليم، «المفيد، للجنس»، «ممنوع
منع باتا التحدث مع الزملاء أثناء
العمل، أو اللعب معهم بأي
نوع من الألعاب. كذلك يمنع

لم تتطور السلطة الحيوية بشكل
خطي إذ أن كل محاولة لتخليق تعميم
مكاسب أو رماسي تعمل أمرس. أولاً أن
عمليات السلطة الحيوية بقيت مركزة في
أوروبا حتى القرن التاسع عشر. فمما
كانت المستعمرات قروح تحت ثقل سياه
الاستغلال والموت هبط بشكل ثانوي
وعلى سبيل التمهيد كان يتم تعلم بعض
أفراد السكان المحليين وصيغتهم. ولقد
حل ترفيثان لودوروف في كتابه «فتح
أمريكا، استعمار الأسبان لأمريكا
الجنوبية كمحزنة مسيحية، وأوضح أن
الإبادة الجماعية غير المباشرة للسكان
المحليين من جراء الموت الأبيض. (أي
الأنفلونزا والجذري والحصبة وغيرها
من الأمراض التي لم يكن السكان
المحليون يعرفونها ولم يستطيعوا إنتاج
أجسام مضادة لها). لم تقابل تلك الإبادة
ببرنامج سياسي حيوي كما فعلت أوروبا
بعد وباء الطاعون. فالأخيرة قامت
بتقسيم مستمر للعالم. تسهيل عمليات
المراقبة والحجر الصحي. أما في أمريكا
الجنوبية فلم تتشكل سلطة حيوية تقدم
أي مساعدة للشعب. ذلك الشعب الذي
ارتقى عملاً في مناجم الذهب وبناء المدن

والساحل عشر العملية الرأسمالية بخلق
أجساد متلواعة مفيدة وسهلة الحركة.
بمعنى أن الضبط يأتي أولاً يتبعه
الإنتاج. وقد حسن ماركس يشء مشابه
عند كتابته الفصل التاريخي المتعلق
بالتراكم الابتدائي من كتابه رأس المال
عام ١٨٦٧. ولأن السحال النظري الحاص
بالتفريق بين السلطة الحيوية والمنطق
الرأسمالي لم يكن معروفا وقتها. فقد
توقف الأمر عند هذه الجملة في معرض
حديثه عن طرد الملاحين من أرهم من
قبل الإقطاعيين لم تسكينهم في المصانع
الناتجة حديثاً كقوى عاملة، «التراكم
السابق لتراكم الرأسمالية. أي التراكم
الابتدائي (التراكم السابق. previous
accumulation عند آدم سميث). ليس هو
محصلة الإنتاج الرأسمالي ولكنه نقطة
انطلاقه».
إن خط التماس بين تكنولوجيا
سياسية تعمل على الجسد رأساً وتقوم
بإدارة الحياة وبين عقلية تقوم على
التقييم والتبادل المتساوي، هو خط غير
ثابت. يتزاح باستمرار مغيراً مصادر وعلى
هذا الخط الديناميكي تتجدد السلطة
المعاصرة دوماً.

فهي تقوم من ناحية بحصر تعريف
الجمد على مجرد أسس عضورية
وجنسية، ومن ناحية أخرى تقوم بصبط
وقاديب العقراء والخوارق. أي أنها تخضع
الجمد لسلسلة ممتدة من الجحوراب
الداخلية والخارجية. ينتج عن ذلك نوع
من الحياة العاربية المقسمة. مع الوقت
تتكون أنظمة متراكمة من الضبط
والممارسة الإدارية البيولوجية وتكنولوجيا
السيطرة. وهكذا تأخذ الأجساد بالتشعب
بأساليب الضمغ المرزادة قوة والسلطة
عليها. السلطة الحيوية هي انعكاس
البيولوجي في السياسي. تنظيم مستمر
للحياة في سياق القيمة والمنفعة. أسر
متزايدة للحياة داخل ميكانيكومات
وحسابات السلطة.
ولا ترى من الصواب القول بما قاله
انثونيو نيجيري ومايكل هاربت في
كتابهما «الإمبراطورية، من مساواة تطور
السلطة الحيوية بالعملية الرأسمالية.
فيال رغم من تلاحق ظهورهما إلا أنهما
يمهران عن عقليتين مختلفتين. بما
يمكن تسميته توارى غير سببي. فكما
أوضح فوكو استبقت تكنولوجيا السلطة
الحيوية في القرن الخامس عشر





العادة: أن يكون هناك قائد معترف به، أن يكون هناك هدف عادل ثم أن يكون هناك هدف عادل. الخسائر الحقيقية لهذا الخطاب سأتى بعد ذلك وتعدى في نهاية القرن الثالث عشر فقد قام القديس توما الأكويني، باستخدام وتطبيق المحدثات الرومانية، المسيحية، للحرب أساساً. إلى فضاء المسيحية، القديس توما الأكويني، باستخدام جعلها منها محفزة كافية. فقال إن طرد الكفار من الأراضي المقدسة، والانتقام من الظلم النازل بالمسيحيين سببان يصلحان لتبرير حرب عادلة، حرب اتخذت شكل الحملات الصليبية، ثم الاستعمار بعد ذلك، وأخيراً الحروب الدينية.

لقد حل الدفاع عن الليبرالية والتطوير محل الدين كسبب، هذا الدفاع القائم على ضفتي الأطلنطي بعض البصر عن خطوط التماس الموجودة بين الضبط والرسمية والكونولونية والإنسانية. المجال المنضبط النشط للاستعمارية المدنية لفكرة الحرب العادلة أو المانيفستو المعنون «لأجل ماذا نحارب، الصادق في فبراير ٢٠٠٢» وفيه أصر ستون مثقفاً أمريكياً عن مدعهم للحرب ضد الإرهاب، من بين المؤمنين بـ ١١ سبباً رئيساً يبررون استمرار هوانا فرانيس هوكوياما وصامويل هنتنجتون، ولكن أيضاً معلقون ليبراليون أمثال أيميلى آرتوينو ومايكل فايزر. هذا المانيفستو يعيد خطاباً قديماً من القرن الخامس الميلادي إلى بقعة الضوء، حين جعل من التسامح المسيحي سبباً رئيسياً في انهيار الإمبراطورية الرومانية، وعلى الرغم من أن أوجسطينوس يحاول دمج فكرة ثمن الحروب مع الأخلاق المسيحية، مانيفستو «لأجل ماذا نحارب؟»، يعيد نفس الخطاب ولكن في لغة إنسانية تجعل من الحياة العادلة سبباً كافياً للتدخل. ومنه، «المبرر الأخلاقي الرئيس للحرب هو الدفاع عن الأبرياء، أوجسطينوس في كتابه دون دعوة الحرب يقدم صورة مثالية لفكرة الحرب العادلة، حيث يوضح أنه من الأفضل للمسيحيين كفار أن يتحملوا العنف على أن يقوموا به بأنفسهم، ولكن هل يعنى ذلك أن ينكر شخص أخلاقي مدعى مسئولياته حق الأبرياء في الدفاع عن أنفسهم؟ والإجابة لدى أوجسطينوس ولدى كل المؤمنين بالحرب العادلة هي لا. عندما تكون هناك دلائل كافية على أن خطراً كبيراً سوف يحقق بأشخاص أبرياء لا قبل لهم بالدفاع عن أنفسهم، هذا الخطر لا

إن فيلم «صقر أسود يسقط، بروي قصة مهمة عادلة وفي نفس الوقت فاشلة. ففي عام ١٩٩٢ قامت الأمم المتحدة وبقيادة الولايات المتحدة الأمريكية بحماية قوافل الإغاثة الداهية إلى الصومال. اتخذ جورج بوش الأب قراراً بمواجهة الوحدات الصومالية عسكرياً عنيفة انتهاء حرب الخليج الثانية. وذلك في إطار تصوره في النظام العالمي الجديد، وفيه تعرف الدولة الساقطة Failed States على أنها خطر من المرتبة الأولى. وما بدأ على أنه مهمة لتأني القبعات الزرقاء تحول إلى قتال بوليسي للقبح على زعيم مجلس الوحدة الصومالي محمد فارح عبيد.

لقطة بقطعة يعرض ريدي سكوت كيف تنهض فكرة الحرب العادلة من قبرها في العصور الوسطى. بعد أن كانت قد اختفت إلى تنظيم الحرب، وذلك في طريق حصرها بين دول نظامية. فافسحاً للصليبية الأولى لفكرة الحرب العادلة جاءت في القرن الخامس عبر كتابات أوجسطينوس المعنونة «عن دولة الله». وفيها يدشن التحول الفاضل من الأخلاق المسيحية المبكرة للعادية للمنلف إلى أخلاق القبول بالحرب كأحد مزودج القيمة، فيه ناهية هناك التبرير المسيحي الذي اكتسبته الحرب، ومن ناحية أخرى تم استرداد الشموط الرومانية الثلاثة المحددة للحرب

تدشين فضاء كوني واسع ومتنوع. وفيه أصبحت كل الملفات الحيوية سياسية والاقتصادية متوحدة في نفس الوقت وعلى قمة السلطة الحديثة هذه تشكل نظام حكم قائم على السيطرة وثن الحروب البوليسية. نظام حكم يضمن بقاء المجتمع تحت هيروكراتية قابلة للتصعيد. يكاد المرء أن يشكر الإدارة الأمريكية على ورقة إستراتيجية الأمن القومي National Security Strategy، التي وضعت في سبتمبر عام ٢٠٠٢، والتي تكشف بنص أيديولوجي واضح عن تراكب نظام الحرب والسيطرة البوليسية. ومنها، هذه الإدارة قامت بأكثر تحديث وإصلاح منذ أن أنشأت إدارة ترومان مجلس الأمن القومي ووزارة الدفاع. إن خططنا تقوم على إنشاء وزارة جديدة للأمن القومي ذات هيئة أركان حرب مستقلة تكون مهمتها التنسيق بين المستويات المتعددة للحكومة وتنظيم العمل مع القطاعات العامة والخاصة، بالإضافة إلى مهمة تحديث مكتب العمليات المديريالية FBI خططنا الإصلاحية تنبع من الدرس الذي تعلمناه جيداً، لذلك فنحن نرى أن العمل وفق أحكام الطوارئ لا يلي بكفاءة فقط من خطر الإرهاب ولكنه ينهض ضد مختلف المخاطر الاجتماعية. سوف يتم تطوير نظام الرعاية الصحية لا لكي تجابه فقط خطر الأزمات البيولوجي، ولكن في نفس الوقت لكي تحسن طرق مواجهة الحوادث الجوفاء وحالة الإصابة على نطاق واسع. سوف يتم تكثيف مراقبة الحدود ليس فقط لوقف الإرهابيين، ولكن أيضاً لتسهيل سير المواصلات والصناعات على الحدود.

معاً باتا تناول الطعام أو الشرب أو النوم أو حتى القصص. إن تسرب الإنتاج من المصنع إلى المجتمع، المفاداة، نقل العيادة إلى تدريبات الرقابة، هي كلها طبقة متأخرة من الحجز الداخلي الذي تقوم به السلطة الحيوية. حدثت بعد قرون من التراكم والتشيع بروج الانصباط، طبقة تأتي بعد أشكال الحجزات الداخلية التقليدية والتي يتم فيها حجز وعزل الأجساد في مراكز الانصباط، أو المصححات أو السجون، أو الصناعات لتدريبها ومجها في المجتمع.

فيلم «صقر أسود يسقط، القادم من تيار السينما التقليدية Mainstream يشير إلى أهمية مخيم الإغاثة في سياق عملية التعقيم الاجتماعي التي تقوم بها السلطة الحيوية والرسمية. وذلك كمشال على النوع الثاني من تأثير السلطة الحيوية. أي الحجز الخارجي. والذي تقوم به سلطة على أجساد تقع خارجها. بهدف إيقاظهم دائماً مستعدين خارجها. المخيم ليس مركز انصباط، إنه تقليد كونولونيائي وفاشي على أن همل عكس مركز الانصباط لا يميز المخيم الجسد من أجل جعله جسداً مريضاً وضيقاً للإنتاج. مخيم الإغاثة هو مكان يمزج فيه المرء ليتحصن عليه فيه. إنه مكان السياسة الحيوية السلبية، حيث يجبر البشر على البقاء بين الحياة والموت، بدون أن يوجد ما يمنع. وهذا يكون الفاشي في تركيبة المخيم. تركهم للموت، حتى وإن كان ذلك بشكل غير مباشر، كترشيح اللاجئين غير النظاميين إلى ملاجئهم بالاقتراف ورغم حلولة الأوضاع هناك، أو قطع إمدادات الغذاء عنهم بشكل مفاجئ.

لماذا نحارب؟

يسور هذا النص حول العلاقات المتباينة بين السلطة الحيوية والرسمية والحرب. عملياً السلطة الحيوية والرسمية هما عمليتان ممتدتا الأثر تاريخياً. لقد طورا تفاعلاً في الفضاء الأوروبي. ثم عند كلاًهما الآخر ومفخرة في عملية طويلة قادت إلى الجمود المجنون للسلطة الحديثة. اختلاف أشكال الحرب يعتمد على الحركة التاريخية التي تأخذها العلاقة بين العمليتين. وفي رواية الخيال العلمي التي يعيش فيها عالمنا الآن تم

في نهاية القرن الثالث عشر

قال القديس توما الأكويني، إن طرد الكفار من الأراضي المقدسة، والانتقام من الظلم النازل بالمسيحيين سببان يصلحان لتبرير حرب عادلة، حرب اتخذت شكل الحملات الصليبية، ثم الاستعمار بعد ذلك





أمراء حرب

بنظارات وريبان،

تلك العادة «مبادئنا وكراهيتكم، وجدت أيضاً في الصومال من يضحك عليها. ففي بداية العام ٢٠١٢ انتشرت العديد من شرائط الفيديو القلدة من الفيلم في مقدشيو. وفي قاعات العرض السينمائي ينتظر الجمهور بمزاج الصبر المهدهدين الرئيسيين في الفيلم. ويستجوبون وهم يشاهدون إصابة طائرتي الهليكوبتر بصاروخى ستينجر وارطامهما بالأرض. القصة التي يروها فيلم «صقر أسود يسقط» هي قصة موضوعه خارج العلاقات التاريخية. الحرب في الصومال تحول إلى نوع جديد من القبالية بأفراد مرتزقة يرددون المقود ونظارات الريبان.

صورة أمير الحرب الجنوبي هي واحدة من أكثر الصور المشمعية والكليشيهات التي يبعج بها النقاش الحالي حول الحرب. أما أمراء الحرب الشماليين، أي شركات السلاح الدولية (إم بي آي أو MBRI)، والأنظمة الدفاعية المتحدة Defense System Limited، أكسيوكوف أو أكومز Executive Outcomes، وإيتروب Crop... إلخ، والذين يستثمرون حروب الأرض من كرواتيا حتى كولومبيا لبيع أسلحتهم وأنظمة مراقبتهم. هؤلاء يبقون في الخلف ولا يطولهم النقاش. الحالة المالية التي يمكن سوفها هنا هي حالة البروفيسور هيرفريد ميتنكر

يملك وقمه سوى بالقوة، هنا تأمرنا مبادئنا الأخلاقية المحبة بالأخر بشرن الحرب.

مبادئنا وكراهيتكم:

الحرب العادة تسطح العنف المسلح وتجعل منه أمراً مطلقاً. فمن ناحية تعرف الحرب على أنها مجرد حملة بوليسية على مجموعة من الأشياء، ومن ناحية أخرى يتم تزويد الجنود بمهمة إنسانية كونية. وعلى هذا الخيال تقول سطو مصداق فيلم «صقر أسود يسقط»: «الصومال ١٩٩٣. أومر من الحرب بين الفضائل المتناحرة تسببت في اندلاع مجاعة. ثلاثمائة ألف قتلوا. محمد فارح عبيد الربل الأفريقي بين أمراء الحرب يسيطر على العاصمة مقدشيو. الجوع ملاحه. والأل العالم يتحرك. عشرون ألف جندي ماريترز أمريكي يزعمون المواد الغذائية ويعيدون النظام. عبيد ينتشر انسحاب الماريترز. ثم يعلى الحرب على من تبقى من قوات حفظ السلام. في نهاية أغسطس من نفس العام أرسلت قوات العمليات الخاصة الأمريكية، دلتا فورس، أرمي رينجرز، الوحدة ١٦٠ إلى هناك، مهمتها إسقاط محمد فارح عبيد واستعادة الأمن والنظام. لكن وكما يعرف الجميع الآن فقد باءت تلك المهمة بالفشل، فأسطعت طائرات هليكوبتر من نوع بلانك هوك أو الصقر الأسود، وقتل ثمانية عشر جندي أمريكي، مما اضطر الإدارة الأمريكية التالية وهي إدارة بيل كلينتون لإيقاف المهمة.

ما يثير الانتباه هنا هو النتيجة التي استخلصها ريدي سكوت في فيلمه. لقد قدم نقداً مكثراً للإنسانية العسكرية، إنه يريد حقاً أن يقول لنا إنه في عالم ما بعد التحريم من الكولونيالية فإن الحروب الأهلية التي لا تنتهي والتي تؤدي به إلى الموت جوعاً، هي شأن الجنوب الخاص الذي لا يجب التدخل فيه. إنها نسخة ريدي سكوت الخاصة ما يدعي بصراع الحضارات Clash of Civilisations، تسببت ثقافية رخيصة تقوم على أن للضمان قيمه وللجنوب معاركة. الشخصية الصومالية الوحيدة التي يعطيها سكوت صوتاً هي شخصية تاجر سلاح يرتدي سواراً ذهبياً ويوضح للجنرال الأمريكي المثلوث ما يعنيه التحريم من الكولونيالية، إنه يعني أن هذه بلدهم وهذه حروبهم وهذا حقهم فيما يفعلون.

العدد الستون - يناير ٢٠١٤ م

أدعيين سيثين بعض الشيء. العكرة التي تقف خلف ذلك التمييز تبدو واضحة بشكل مثالي لدى ميتنكر، الذي يتعلق الأمر لديه بتصعيد الشكل المطامس الأوروبي للحرب، فيقول: «إن حليط والذي ميز حروب القرون الوسطى سيكون إرهاباً بما سيجيب الأمريكيين والأوروبيين إن لم ينحسروا هي إعادة تصنيف الدولة باعتبارها المحتكر الوحيد لاستخدام العنف، وذلك على الصعيد العالمي، حتى يضمنوا أن تكون الدول هي الجهة الوحيدة المسؤولة عن قيام الحرب».

صنع في أوروبا،

السرفدية التي يقرتها كارل شميت والتي استخدمها ميتنكر في تحليله تشير إلى أن التالى - إن تنظيم الحرب عن طريق وضعه في يد الدولة وحدها والذي بدأ على الأكثر إبان حرب الأعوام الثلاثين ١٩١٨ وحتى القرن التاسع عشر، ذلك التنظيم تسبب في ترويض نسبي للعنف الحربي. واستمر حتى القرن التاسع عشر. فأوروبا تقع بين دول مستقلة، جنود يقابلون جنوداً آخرين لتنظيمها مبادئ السرفوسية وشرف الجندية، فلا تقع مذابح بين المدنيين ولا يخط من إنسانية الأسرى، ويتم التعامل مع العدو على أنه خصم شريف لكن ما يتم نسبه في هذه الكتابة للتاريخ هي أن الأشكال البشعة للحرب غير النظامية كالمذابح والتعذيب التي اختفت من أوروبا قد تم تصديرها إلى المستعمرات، وساهمت بنجاح هائل في تخريب تلك المجتمعات



والسؤال الذي نود أن نطرحه هو ماذا يعني ذلك الفصل الاجتماعي بين الداخل والخارج، والخاص بتنظيم الحرب؟ ثرى أي نوع من السلطة هذا الذي تفتح في القرن السابع عشر والذي يظهر كصيط للمجتمع من الداخل وحروب نظامية من الخارج، متزامناً في نفس الوقت مع عملية رأسملة المجتمعات الأوروبية؟

إذا أراد المرء رسم هوس عبر أوروبا الفترتين السادس عشر والسابع عشر، فيلاحظ

إن الأشكال البشعة

للحرب غير النظامية كالمذابح والتعذيب التي اختفت من أوروبا قد تم تصديرها إلى المستعمرات، وساهمت بنجاح هائل في تخريب تلك المجتمعات





والنساء سيحكن الملابس والخيم ويمرضن المصابين، والأطفال سيجمعون الملابس المدمية ويجعلون منها أربطة وأحزمة، أما العجائز فلهيمن التجمع في الميادين الكبيرة لدعم المحاربين ورفع روحهم المعنوية وظهار الكراهية للملك وتمنى وحدة الجمهورية، وهكذا حدث ما أعلنته حرب الاستقلال الأمريكية وهو عودة المواطنين إلى حيز الحرب. لقد استبدل عسكر الملكية النخبوي بمحشود الجمهورية العريضة.

عند هذه النقطة تزداد السردية كثافة وتنوعاً، فتنحاز تلك الأنواع جوار بعضها، حرب مرتزقة جوار حرب نظامية بين الدول، جوار حرب شركات استثمارية، جوار حرب ثورية، جوار حرب خسوف، فالنازية وكذا مقاومتها قد استديتا كل أنواع الحرب تلك في نفس الوقت، والألحاح والبرادة، وفشل الحركات التحررية، بعد انهيار الاشتراكية الواقعية، وبعد الحادي عشر من سبتمبر، يبدو أننا تاريخياً واقفون تحت سيطرة حكم استبدادي، يريد أن يوسع مناطق تدخله حتى تشمل العالم كله، مبرراً ذلك بخطة تجمع أرباح شركات السلاح الخاصة بقوانين البوليس الكلاسيكية، الحرب الدائمة هائلة الشغلة بالعدالة وحقوق الإنسان.

البوليس دائماً هناك،

النظر الإيطالي جيورجي أجامبي Giorgio Agamben حاول مؤخراً استخدام كارل شميت لصياغة شكل شديد التجريد لحقيقة السلطة الحيوية الحديثة، فهو يبدأ بملاحظة كارل شميت أن الدال على الدول القومية يميل لأن يكون أرضية خصبة لنشأة البوليس، فيقول: «إن تحقق السلام الداخلي وانتهاء الحرب الأهلية التي اشتعلت في القرنين السادس عشر والسابع عشر بين أطراف يؤمنون أن كلا منهما على حق، وانتشار الأمن والأمان في كل مكان، ذلك قد تحقق لأن داخل الدول لم يعد فيه أي سياسة، لم يعد فيه سوى بوليس، وبدونه ماكان للدول الكلاسيكية الأوروبية أن تقوم».

مشروع أجامبي يسعى لإظهار العلاقة بين العنف وسن القوانين، وتقد السلطة الحيوية من منظور القانون وليس من منظور الانصباط كما فعل

حتى الآن في الحروب الطرئية صدى لذلك النوع من الحرب، وهكذا فقد احتضنت شركة الهند الشرقية الهولندية Oost-Indische Compagnie Verenigde نفسها باحتكار حمل السلاح وإطلاقه في جاوا وحتى عام ١٨٠٠، وفي الهند قامت شركة الهند الشرقية East India Company بنقض الاحتكار حتى عام ١٨٥٦، أما في جنوب أفريقيا فقد استمرت سلطة الشركات الرأسمالية حتى نهاية القرن التاسع عشر. وهكذا ففي الوقت الذي كانت فيه المستعمرات تزحف تحت المنابر والاستغلال وحروب الإبادة، كانت أوروبا وفي خط موازٍ شر بصمر التهميش وتطوّر سلطتها الحيوية فتدخل مفهوم الحرب النظامية بين دولها، وتشارك الصبغ والربط في مصانها وتكتائنها، فقام بعد بداية الإمبريالية بأرغمالة عقد بدأت الدول المستعمرة كبريطانيا وموتنل وفرنسا والبرتغال برسط مستعمراتها بنظامها القانوني وجهاها البيروقراطي.

وقبل أن تكتمل هذه السردية أود أن اثير إلى التحول من حرب الحكومات إلى حرب الشعب ما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فعندما دعى الفرنسيون إلى حمل السلاح في عام ١٧٩٢ للدفاع عن جمهوريتهم الوليدة، اتخذ ذلك شكل حرب ثورية تحرك الحدود بكثافة، ومنذ هذه اللحظة وحتى يتم طرد كل معتد من أراضي الجمهورية، يعتبر كل فرنسي فرداً مطلوباً لخدمة الجيش، فالرجال سيحملون السلاح ويذهبون إلى القتال، والمخرجون منهم سيحشون الأسلحة ويؤمنون الإمدادات،

الأوروبية، فلم يشنها مرتزقة ولكن جنود معاميون يحصلون على مرتب ثابت من الدولة، جنود جيدة التدريب تعيش في مسكرات وترتدي الزي العسكري، يعود الفضل في تدريبهم وتسليحهم بعنات متطور إلى دافعي الضرائب في النظام الرأسمالي الوليد، بالإضافة بالطبع إلى ذهب العالم الجديد الذي نهب، ويدونه لم تكن هناك وسيلة لدفع تلك التكاليف الباهظة. المعسكر أصبح بجانب الدبر النموذج المثالي لمراكز الضبط والتأهيل، التدريب العسكري للجنود هو الشكل المبكر للسلطة الحيوية الموجهة مباشرة نحو الجسد، كل يوم يمر الجنود على كل ملية تمر حركة، حمل السلاح، أداء التحية، إلخ، ولكن يتفهم المرء القصة التي قفزتها السلطة الحيوية في ذلك الوقت عليه فقط أن يصر لتوازي العارقي بين مرتزقة عبيد الحقول وجند القيصصر فريدريش الثاني المديريين، هؤلاء الأخيرون لا يرون الماء للفتوق إلا بصفوف محاكية ينظمها الخيالة حتى لا يقع التزامم والموضي.

في اللحظة الثالثة تقف الشركات الرأسمالية الخاصة، والتي قامت بإنشاء جهات البوليس الخاص بها في المستعمرات، فلقد كانت المستعمرات وحتى بداية القرن التاسع عشر تقع تحت سيطرة شركات خاصة لا دول، وقامت تلك الشركات بحربها ضد شعوب المستعمرات مسلطة عليهم أقصى أنواع الاستغلال والسيطرة والاستبعاد، ونجد

كيف تسيير الحرب مع نشأة الدول القومية، وكيف يتم تصدير الاشكال غير النظامية للحرب كالتدابع وحق الأراضي إلى المستعمرات، فمع تأسيس جيش نظامي وحجز الجنود في معسكراتهم تم تنظيف جسد المجتمع من آثار الحرب اليومية المسلحة عليه، سواء كانت حرباً خاصة أو دينية، العلاقات الحربية التي كانت تسود المجتمعات في العصور الوسطى اختفت وحل محلها الضبط والتأهيل في الخارج حرب، في الداخل ضبط، هذا هو عنوان عملية رأسملة المجتمعات الحديثة، دعونا نحاول رسم سردية للجنود نحاول إظهار تلك المحاللات - سردية تتكون من ثلاث محلات

عندما توقف حق حمل السلاح عن أن يكون حكرًا على الأمراء والنبل فقط، ظهر في ألمانيا جيش عبيد الحقول، وفي إيطاليا مرتزقة الكوندوتييري، وقد اعتبر كل من ماركس لهم في سيمهم لقوة معلم الحربي صورة مميزة لعمال اليومية، لكن قوة العمل تلك لم تكن منضبطة بعد، عبيد الحقول المحاربون لم يكونوا مستعدين ليهزل أرواحهم في القتال، والأسرى كان يتم عادة استئجارهم لقاء المال، أما الخيفية فكان مستخدم هؤلاء المرتزقة، كالإقطاعيين والملاك وخلافهم، يشاركونهم فيها نظام الإرتزاق أنشأ معه نظاماً اجتماعياً كاملاً في العصور الوسيطة يختلف شاملاً عن نظام الضبط والتأهيل الذي تلاء، فلقد كان المرتزقة يتحركون في أعداد صغيرة، يرافقهم نساؤهم وأطفالهم، بالإضافة إلى كتيبتهم من الطبائخين والخدم المرتزقة والمهرجيين، يترؤن البلاد فيعيشون فيها فساداً، ويوقعون فيها الكثير من النهب والسلب والخراب، كتب ميكافيللي عن الكوندوتييري: «الحاكم الذي يعتمد على المحاربين المرتزقة لا يثق أبداً على أرض راسخة فالمرتزقة سلة، محبون للسلطة، لا مبادئ لهم، خونة وغداون، مستكبرون أمام الأصقاء جبناء أمام الأعداء، لا يخافون الله ولا الحاكم، في وقت السلم ينهبون الأراضي وينهبها في وقت الحرب العدو والسبب في ذلك أنه لا دافع لهم إلى الحرب سوى الرغبة التي يحصلون عليها، والتي لا تكفي لأن يلقوا بأنفسهم إلى التهلكة من أجلها، إنهم جنود مامات الحرب لم تقع، فإذا وقعت تراهم يتأخرون أو يهربون».

أما حروب القرن الثامن عشر التي ألحقت قرارها حكومات الأرستقراطية

الذين يستثمرون

حروب الأرض من كرواتيا

حتى كولومبيا يبيع أسلحتهم

وانظمة مراقبتهم، هؤلاء

يقتبون في الضلل

ولا قولهم النقاش



كتاب
الزواوية

الأذكياء

فراصة معاوية وعمرو بن العاص

ومن المنقول عن معاوية بن أبي سفيان، أخبرنا المدائني، عن ربيعة بن ناهد قال: قيل لمعاوية: ما بلغ من عقلك؟ قال: ما وثقت بأحد قط.

وبلغنا أن رجلاً جاء إلى صاحب مابوية فقال له: قل له
على الباب أخوك لأبيك وأمك، ثم قال له: ما أعرف هذا،
ثم قال: إذن له، فدخل، فقال له: أي الإخوة أنت؟ فقال:
ابن آدم وحواء. فقال يا غلام: أعطه درهماً. فقال: تعطى
أخاك لأبيك وأمك درهماً. فقال: لو أعطيت كل أخ لي من
آدم وحواء ما بلغ إليك هذا.

ومن المنقول عن عمرو بن العاص: أنه لما فتح قيسية سار حتى نزل على غزاة، فبعث إليه عالجها (قائدهم من العجم)، أن أرسل إلى رجلاً من أصحابك أكله، ففكر عمرو، فقال: ما لهذا العالج أحد غيره؟ فقام حتى دخل على العالج، فأكله، فسمع كلاً ما لم يسمع مثله قط، فقال له العالج: حدثني هل من أصحابك أحد مثلك؟ قال: لا تسأل عن هوائي صدمهم إذ يمشون إليك، فلا يدرون ما تصنع بي، قال: فأمر له بجائزة وكسوة، وبعث إلى الباب إذا مر بك فاضرب عنقه وخذ ما معه، فمر برجل من النصارى من غسان يعرفه، فقال يا عمرو: قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج، فرجع، قال له الملك: ما ردك إلينا؟ قال: نظرت فيما أعطيتني فلم أجد ذلك ليسع بني عمي، فأردت أن أتيتك بمشرة منهم تطمئنه هذه العطية. قال: أعجل بهم، وبعث إلى الباب خذ سبيله. فخرج عمرو وهو يلتفت، حتى إذا كان قال: لا عدت لثما أبداً، فلما صالحه عمرو ودخل عليه العالج فقال: له: أنت ههنا قبالاً، علما ما كان من غديرك.

الإنسان. فضاء داخلي تحكمه استراتيجية
تترس القوانين وهي نفس الوقت تعطلها.
مما يعنى في الواقع انصار سياسة
الأحكام العرفية.

[illegible]

إن ضغوطات الحادى عشر من سبتمبر
سجلت بتكوين نظام حكم قائم على
السيطرة على حروب بوليسية. وهكذا
تعتبر استراتيجية الأمن القوى للإدارة
الأمريكية الاستراتيجية الحرب القومية الأمريكية
التي هي حربها ضد الإرهاب. القومية
الأمريكية هي وظيفة البوليس، هي لب السلطة
الحربية حيث يتم وضع ترتيب للأشياء
والصانع والأمميين، أو بمعنى آخر
ضمنان لثلاثين على منسج - ورقة
الاستراتيجية الجديدة هي تحفة في
استخدام منطق البوليس، على كل
صفحات هذه الاستراتيجية التي

يتم التأكيد على العلاقة الشتركة بين
الإرهابية والحركة على الأمل. وأي تربط
وتعطل الحركة العربية على الملأ إلى
الحرب ضد التنظيمات الإرهابية غير
المقبطة بين، والفصلية التي تستند
عليها إلى إنتاج دمار شامل من
قبل الدول المارقة ثم بيعها للتنظيمات
الإرهابية. قبل تلك الورقة، سوف تقوم
بمصارحة التنظيمات الإرهابية سوف
الوسائل القومية والعالية التاحة، وسوف
تشرح عليهم برامج مستمرة حتى تحلهم
وتدمر حراهم، أهدافا الرئيسية هي
أي جماعة تعمل على إطلاق دول، وأي دولة
تقوم بعد يد المساعدة للإرهاب، وأي
محاولو للحصول على أسلحة أو
شامل من أجل أهداف إرهابية، سوف
تقوم بحماية الشعب الخارجي، والصالح
الأمريكية إلى الداخل، والعراق، وذلك عن
طريق اكتشاف الخطر مسبقا ثم تدميره
قبل أن يصل إلى حدود، وإن شئده عن
استخدام ضربات استباقية لحماية إذا
استبعد أي ذلك.

وفي ديسمبر ٢٠٠٢ ناقش الكونجرس الأمريكي الموافقة على استخدام أسلحة نووية في الحرب ضد الدول المارقة إذا ما استخدمت تلك الدول أسلحة دمار شامل ضد أمريكا أو أحد حلفائها. حتى أن دونالد رامسفيلد قام عملياً بتغيير مبادئ استخدام السلاح النووي وذلك بطلبه صاعداً ما يسمى بقنابل نووية صغيرة أو Mini Atom Bomb ■

فصلنامه علمی

(*) الفورية تعني إلى هنري فور، ونسبر أساما إلى طريقة تقسيم العمل عن طريق استخدام العمل المتحرك، وتقسيم العمل في هيكلية العمل ومهندسين ومعالجة ضبط وتنظيم خطوط الإنتاج بعدد أقل رياضية كان الحال في مصانع فور الضخمة (الخطوط السريعة). بعد الفورية في توصيف لشروط العمل في المصانع، حيث تختلف بطرق جدري عن الفورية في حالته وأحواله لدفع العمل في مستاهته، وتواجهه للمسألة الإيجابية في تحسين واقع العمل، واستخدام وسائل التحكم الأوتوماتيكية، بالإضافة إلى مرونة نقل والرسالة إلى استمرارية في المناطق رخيصة العمالة كجوب شرق آسيا.



مصر كلها حاجب كمبيوتر



مستنى إيه؟

انت كمان ممكن تجيب كمبيوتر من
المصرية للاتصالات وكبرى شركات
الكمبيوتر بقسط بسيط على
هاتورة تليفونك.



المصرية للاتصالات
Telecom Egypt

شبكة واحدة .. بتقربنا كلها

هذا العرض سارى لجميع أنحاء الجمهورية

لمزيد من المعلومات اتصل بالرقم المجانى

٠٨٠٠٢٢٢٢٢٢

إبراهيم طه حسين

رئيس جامعة القاهرة



■ حينما نشرت الصحف نبأ وفاة الدكتور مؤسس طه حسين نجل عميد الأدب العربي طه حسين في ٢٧ نوفمبر الماضي بباريس حوَّجَ القراء بأن الابن اليكبر للدكتور طه حسين بلغ عند وفاته هذا العمر المديد ٨٢ عاماً وميعت ذلك أن أخيار مؤسس شامت تماماً عن الإعلام منذ سنوات طويلة وظل في الذاكرة المصرية والعربية ذلك الشاب ابن طه حسين الذي كان يقدم له النصائح باعتباره ممثلاً للحيل الجديد.

وما بين تلك السنوات البعيدة (عقد الستينيات حينما اختار مؤسس طه حسين الإقامة في فرنسا والعمل في الـيونيسكو) وتاريخ الوفاة جرت في التهر مياه كثيرة، فقد توفي عميد الأدب العربي عام ١٩٧٢ وانقلعت أحجار مؤسس عن مصر والعالم العربي وعاش في فرنسا كأحد أنثائها يكتب ويؤلف باللغة الفرنسية ويترقي في الوظائف في قسم لترجمة باليونيسكو ولم يكن بـرور مصر إلا لهماً وكان أحرها في بداية التسمينيات حينما توفيت والدته. كان مؤسس طه حسين أمهناً مع نفسه فهو قد تشرب الثقافة الفرنسية (قال في حديثه الأخير وربما الوحيد لصحيفة عربية هي «الحياة» نشرته بعد وفاته بأيام أنه كان يتحدث في بيت أسرته بالفرنسية منذ الطولية). كما أنه درس باللغة الفرنسية وتثقف بها أيضاً فقد حصل على شهادة الليسانس من جامعة القاهرة في اللغة الفرنسية وحصل في باريس من دار المعلمين العليا على شهادة «الأجريجسيون» في اللغة والأداب الفرنسية ثم عاد إلى القاهرة ليعمل أستاذاً للأدب واللغة الفرنسية بجامعة القاهرة بعد أن حصل على الدكتوراة في الأدب المقارن عن تأثير الأدب الإسلامية في الأدب الفرنسي من باريس أيضاً كل ذلك عمله يختار الفرنسية حديثاً وتالياً بل يختار فرنسا ليتعلم فيها ولا يعيه كثيراً أن يواصل مسيرة والده الرائدة في مصر والعالم العربي، ربما لإدراكه بأن خطه في أملاك ماضية الفرنسية أقوى كثيراً من العربية وربما لإدراكه أن ما حققه والده العظيم لا يمكن له أن يتساوى معه أو حتى يطاونه.

ثم إن مؤسس نفسه لم يكن دائماً يقتنع برأي أبيه عميد الأدب، مفضلاً الحقيقة التي يزمّن هو بها ويدافع عنها، طي مجاملة أحد آخر حتى لو كان أباه، كما حدث عندما كان طه حسين يهتمهم سعد زعزلو، في الوقت الذي كان فيه مؤسس، وأخته أمية، يتناقل باليد سعد زعزلو، ولم يصب طه حسين معترفاً رأي أبيه وانتته، أو كما يتذكر مؤسس «حاضرنا ونحن في تلك السن الصغيرة عن حرب الرأي، قال لنا: إن كل فرد حر في أن يثق وأن يدعو إلى الرأي الذي يراه بشرط

صورة المؤثر مرافقة من «الحياة» المنسية

كان أبي يعلى وقد كان يرفض دائماً أن يعيد قراءتها، أقصد أن تعاد قراءة التجارب (الطبية) على مسعفه، وكان يعهد بذلك إلى من يرى فيه الكتابة، وفى اعتقادي أنه لم يراجع قط سطرًا واحدًا بنفسه، فالدقق الأول فى كتابته كان الأخير دائماً

الزينة والافتاد بوج خاص فريد، إلا أن الصور والأشكال التصويرية التى صورت فى هذه الخبرة لا يمكن أن تنقل إلى المشاهد سر السحر العجيب لتلك العرفة التى كانت ملاذًا للفكر، ولتلك القوة الجاذبة الخلاية، وأعز ذلك صوت أبى، فقد كان صوته هذا يملأ المكتب بموسيقى فريدة، سواء أكان يملأ مكتبه أو مقالة، يجيب عن أسئلته لخصفى أو يسجل حديثًا لكثير الإداى أو يتجادب أطراف الحديث مع زائر أو صديق أو قريب أو تلميذ سابق أو أحد المعجبين. ومن المعروف أن هذا الصوت قد أسهم فى دفع شهرته، فإذا حضر فى المدرجات الجامعية خلب صوته الألباب بحيث يصدق عليه ما يقال عن تعلق الإنسان بشغفه محبته.

وكان أبى يدرك تمامًا حسن صوته، ولم يكن يفتخر أن يزهو به رغم تواضعه، إذ يبدو أننى ورثت منه هذا الصوت، وحدث ذات يوم أن قال لى أحد من الناس بحضر من أبى فى صوتى جميل، فما كان من هذا إلا أن رد بشئ من المكر: «هذا صحيح، ولكن صوته ليس جميلًا جدًا صوتى».

ولذلك فإنى أرجو أن يعكر المسؤلون فى قلوبهم متحف «الرامتان» ببرنامج سمعى بصري يتتبع لبلوار أن يروا ويسموا طه حسين فى مكتبته، فذلك يعود إلى العرفة رئيس أصداء العقل والنسب اللذين طما أولتهما، وتنبعث الانعام العدمية التى اصمداها صاحب المكتب على اللغة العربية، فقد كان أعرف الناس مواردها التى لا تنفذ.

كان يتعلم أبى الموسيقى فشد، ولكنه كان صاحب أدب مرمجة من كاشيد الحساسية بالنسبة لإيقاعات الشعر العربى القديم ورثته، كان يستمتع بالاستماع لطبيخ أهم الأصوات، وكان قادرًا على تذوق الموسيقى الغربى ولا سيما موزر، تمامًا كما كان يقدر الأناشيد المصرية كأغنيات أم كلثوم على سبيل المثال.

وقد كان يهوى الاستماع إلى تلاوة القرآن (هقد كان فى شرفة تومع بالطابق الأول من «الرامتان» مذياع صغير يتتبع له الاستماع إلى القرآن يومياً) وكان يحب ذلك راجعاً بطبيعة الحال إلى حكمة الكتاب الكريم، ولكنه كان يرجع أيضاً إلى جمال موسيقى الأيتان إذ يتلوها أو يصعد بها أحد كبار المقرئين ومن المناسب بطبيعة الحال أن يحتوى هذا

الكروان ولكنته مثلث تجزء عن رؤيته، وكان أبى يحرص على أن يوضع مقعده المصنوع من القصب بالقرب من شجرة مسرو، لها مكانة فى نفسه، فقد رحما الذى منذ انتقالها إلى «رامتان»، أن تعمل على غرسها فى وسط النخيل، وذلك أنه منذ الشجرة، كما قال لا تنمو فى مصر بكثرة، وإن كانت أحد الرموز الدالة على البحر المتوسط، ولكننا نعلم كم كان البحر المتوسط عزيزاً على نفسه، يوسف بحدراً ويوصفه مهد الحضارات القديمة. وكان كثير الدكر للنبوان وروما وإيطاليا وإسبانيا، كلما كان يطيب له أن يذكر بأنه ناضل طفيلة حياته لكى يكون لبلاده بدورها نصيب فى البحر المتوسط. وكان يحدث أحياناً وهو يستمع إلى مؤلف من دقاس الشعراء أو علماء اللغة أو فقهاء الإسلام أن يداعب بيد حالة الأوراق الحادة العطرة التى تتدلى من الشجرة الهفء.

وكان المكتب بطبيعة الحال أعجب شرفة، أو ليشعل أعجب مكان، فى «الرامتان»، وذلك رغم ساطقته، فهو حجره فسحة مربعة تتفتح على الحديقة كما تلت عن طريق جوى حجر، درشه نبات متسلق، وكان ينثر فيه زهوره النرجسية على مدار العام، وكان أغانى الفرقة بسيطاً لا تكلف فيه، فتمتد من خلفه إلى طراز بعينه، ومقعدان وأريكة، وموائد ضخم من النحاس الأحمر، وكان مكتب طه أشبه بالمكتبة الصغيرة فقد امتدت على ثلاثة من جدرانها الأرضية رفوف من الخشب الداكن المقصول، عليها ما يقرب من مئة ألف مجلد، جمعها الكتاب فى مختلف فترات حياته، ومن بينها كثير من المؤلفات ذات القيمة الغريبة، ولم يكن فى الخرفة من رئيسة سوى تشال نصفى المعيد من صنع النحات المصرى عبدالقادر زكى، وصورة (بالاستنسل والصحم) من عمل فنان نسماوى.

وهى تلك العرفة كان أبى مع تقدم العمر به يقضى معظم وقته، ويتكر ويقرأ، أو يحلى ويتسكع أصفاء، وفى ذلك المكان تحدث عدة مرات إلى الإداية والتليفزيون المصرى، وهناك كثير من الوثائق المصورة التى تلتد ذكرى حضوره الحضى فى تلك الغرفة التى خلقت من

■ لم يقض طه حسين فى «الرامتان»، إلا السنوات الست عشرة الأخيرة من حياته الطويلة (هقد توفي فى الرابعة والثلاثين من العمر). ولم يكن أبى من أصحاب الشهور، البؤى بالمكتب، وإنما كان أقرب إلى البؤى الرجل يهوى تخيير مسكنه (هقد كان علينا فيما أذكر أن ننقل من مسكن إلى آخر ما يقرب من اثنتى عشرة مرة فيما بين العشرينيات والخمسينيات) إلا أن أبى أراد عند اقتراب الشيخوخة أن يستقر فى نهاية المطاف، شأنه شأن السفينة التى تتجه، بعد طول إبحار، نحو الميناء الذى ترسو عليه، ولم يكن طه حسين أبى شروة يعتد بها، فهو لم يكن له من الأغنياء، فكان أن اقتنى قطعة متواضعة من الأرض غير بعيدة عن طريق الأهرامات، وتولت والدتى رسم خطة الفيللا بمعونة مهندس معمارى يونانى من أصدقاء العائلة، كما تولت نفسها رسم خطة الحديقة وغرس الأشجار فيها وزرع الزهور.

وكانت هذه الحديقة على درجة كبيرة من الأمية هقد كان طه حسين يفتنى فيها جزءاً كبيراً من وقته طالما كان بصحة جيدة، وكثيراً ما كان يجلس هنالك ليستمتع إلى سكره لوى إذ يقرا عليه الرسائل والصحف والمجلات فضلاً عن كتب الأدب القديم، ولم يكن يحول بينه وبين ذلك إلا المرض أو ويرد الشتاء، أما إذا أراد أن يكتب، فإنه كان يفضل الجلس فى مكتبته الذى يتفتح على الحديقة مباشرة عن طريق فناء صغير من الطوب الأحمر، وفى هذه الحديقة التى حظيت دائماً برعاية زوجه وحباها كان طه حسين يولى انتباهه لأشياء عديمة، يهضى يهمن الإنسان لا يقرا عليه، ولكنه فى الوقت نفسه يستعمل مواهبه الفنية كما كنا عموماً نرى فى كتاباته، فميشع بعض المهراب إلى نوعين من الموسيقى أحبهما أيما حب، هقد كان يأتيه مبرير الهمس الشافس تبتة أشجار (الكورانيات)، المصطفة بحفاظة الأموار إذ تزهوا رياح الصحراء الغربية. كما كان يصله بالقرب من القربى وهو طوب الشفق صبا الكروان ومع السماء، وهو الصباح الذى أجد وصفه فى روايته «دهاء الكروان» صباح ذلك الطائر المهاجر الذى يسبح والى بىرى... ويحضرى بهذه المناسبة قوله ذات يوم وهو الذى كان يدرك أن يهضى إلى أفتة (لأنه استطاع أن يتغلب عليه على نحو مثير للإعجاب) قال، «وهكذا ترى أنه لا فارق بينى وبينك، فأنت تسمع غناء

واحد وهو أن يكون قد فهم حقيقة ومهم هذا الرأى، ويشترط ألا يكون قد اعتقه تقليداً ومسايرةً بغير فهم، ولأنك أن طه حسين قد أحترم احتياطات ابنه، كما أنه أحترم مولده إلى اللغة الفرنسية وفى نفس الوقت قد أن يستمرها لربطه بتاريخه وحضارته فاعتبر عليه أن يكون موسوم بدراسة الدكتوراة عن تأثير الأدب الإسلامى فى الأدب العربى

ولعل طه حسين قد أسدى إلى ابنه مؤنس، النصيحة لدراسة اللغة العربية ولكنه شال كل الفتيان والشباب نمر على نصيحة أبيه وأختار طريقه الذى اقتنع به، تماماً كما أسدى النصيحة لأحفاده من خلال والدهم، حدتى جميعته سوس الزيات قبل مسعها واستقرارها بباريس وأسرتها بيجوار حالها مؤنس قائلت: «إن طه حسين رغم ثقافته الفرنسية، كان مثشياً لأتية العربية ولغتها العربية وتراثها العربى، على سبيل المثال: أذكر أننا بعد عودتنا من الخارج دار حوار أمام جدى وجدتى، كان رأى زوجته سوزان أن نستكمل تعليمنا فى مصر فى مدارس فرنسية، بعد أن كان الأسرة أن نستكمل التعليم فى مدارس إنجليزية خاصة أنها قريبة من البيت، أما جدى طه حسين هقد كان من رايه أن يأتى قاصداً متوجهاً إلى أبنته أمينة التى هى فى نفس الوقت والدتى: «ياشيفه أجدادك مدارس عربية»، وتؤكد حديثه الأخرى، منى الزيات، هاجرت فى الأخرى وأسرتها إلى أمريكا، فى حوار لى أيضاً معها: «رغم أن جدتى سوزان لم تكن تفضل اللغة الإنجليزية كثيراً، فإننى فوجئت بها تحاول الحديث مع جدى طه حسين باللغة العربية رغم ثمكت من الحديث بالفرنسية، وهى لم تكن تتحدث العربية مخافة أن تخطئ أمام الناس».

لقد حاول بعض الأدب العربى ألا يجد المسافة بين أبى طه اللغة العربية ولذلك اختاره لترجمة مسرحية «روميرو وجوليت» لوليام شكسبير ضمن مشروع قامت به الإدارة العامة لجبات الدول العربى وكان يترأسها الدكتور طه حسين، ونشرت دار المعارف هذه الترجمة عام ١٩٦٠. لكى كما سبق القول فإن مؤنس كان قد اختار مسيره وعائلته وتحول إلى فضاء اللغة الغربية فكتب مؤلفاته بهذه اللغة وكذلك مذكراته التى كشفت عنها خلال حديثه للسياة والى علتت ورارة الثقافة المصرية أنها يستد ترحمتها إلى اللغة العربية. وهذه محاولة للاقترب من عالم مؤنس طه حسين من خلال نشر شهادتين نادريتين له عن والده ومروالته من عهد الأدب العربى إلى نجله.

إبراهيم عبد العزيز



التي القيت في مؤتمرات وندوات دولية أن تقدم فكرة دقيقة ووافية عن اتساع نموده طه حسين المفكر وطه حسين المرسى على صعيد العالم. وأخيراً لم يجدوا لو تضمن المتحف واجهة زجاجية تعرض كل درجات الدكتوراة الفخرية التي تلقاها طه حسين من جامعات شرقية وغربية، وذلك مع الشهادات مصحوبة بالصور الفوتوغرافية التي التقطت في تلك المناسبات. صحيح أن أبى كما قلت من قبل لم

ترجم ونشر عشرين لغة تقريباً، وأن أعماله الأساسية قد ترجمت ونشرت باليابانية! ولا يقل عن ذلك أهمية أن تعرض الدراسات العلمية والبحوث الجامعية التي وضعت عن طه حسين بالعربية ويفرغها من اللغات مثل الإنجليزية والفرنسية والإيطالية. فإذا لم يتيسر ذلك فلنعرض على الأقل قائمة بهذه الكتابات. ويبدو لي أن من شأن هذه الدراسات الجامعية والمقالات والأحاديث

العرض الصعير المخصص للذكرى طه حسين على النباشين والأوسمة التي تلقاها (وهي كثيرة العدد وجاءته من أنحاء العالم المختلفة) وإن لم يقرر بها لأنه كان يعلم جيداً أن قيمة الرجل لا تقاس بعدد الأوسمة التي يتلقاها حتى ولو كانت من الذهب) والأأس من ذلك أن يحتوى المعرض على الترجمات العديدة التي وضعت مؤلفاته الرئيسية، وخاصة رواياته. بلغات جد مختلفة. ويكفى هنا أن نذكر أن كتاب الأيام، قد

حوار

بأكثر من واحد، ولكنه قليلاً ما كان يرضى عنهم لأنهم غالباً ما كانوا يقعون في إغصاء لغوية، كان أبى رجلاً مسيحاً متواضعاً، وكان إلى ذلك محباً بنفسه ذا كبرياء، كان يزعم أنه وحيد زمانه في اللغة العربية، ولا يضاميه في ذلك أعضاء الجميع اللغوي في القاهرة أو في دمشق، فهم في نظره. ليسوا على شام الإنقاذ للغة العربية.

س: كيف يضبط منزله بين أبناء عصره؟

ج: لم يكن أصلاً يضبط لنفسه منزلة ما بين أدياء عصره. كان يعد نفسه نسيج وحده، ليس خيراً منهم، ولكنه فرد لا بد له أنه على حدة، تماماً على حدة، لم يكن راضياً أصلاً عن الروايات الخيلية التي كانت تظهر في مصر في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين. وكان يعتقد أنه متشأن الرواية في الأدب العربي، أما الكتاب الشبان الذين جاءوا بعد ذلك فهو الذي أحاط جلدتهم بالمرعية والتأييد.

س: كيف كان طه حسين يرى طه حسين المقاتلي؟

ج: كان يعتقد أنه بالإمكان تماماً الحفاظ على الطابع الخاص والذاتي الثقافية، مع الاستفادة من ثقافات أجنبية كثيرة خاصة منها الثقافات العربية إن هذا الأمر عنده بدهي. وكان يعلن في بساطة فائقة: «إن مصر عربية في جوهرها ولكنها متوسطية كذلك، ولهذا السبب كان يولي دراسة اللغات

يحمل الكتاب في صدره، إنه الخاص الصادق، وكان كل من في البيت يدرك ذلك، فإذا الرجل مره الجوه، داهل عن كل شيء، غالب عن حوله. وكانت أمي تخاطبه قائلة: «الظاهر من أمرك يا طه أنك الآن على أهبة إملاء كتاب جديد،

س: إن استحالة تسجيل القهيدات واستحالة الكتابة الفعلية على الورق واستحالة القراءة تجعل مهمته أشد عسراً بعفته كتاباً، وقد نظمته إلى الاستماعة بغيره، كيف كانت علاقته بالآخرين؟

ج: كان من المأمول أن يصبح أبى مجرد قارئ للقرآن، ولكن سرعان ما أظهر ذكاء فائقاً، وخصلاً ممتازة، وكنا نستطيع أن نخلت من مصيره، ولكن (العقيدة) وحدها لا تكفي. لقد اعانوه أعانه أولاً أخوه الشيخ أحمد الذي كان رفيقه في الأزهر. كان يقرأ له نصوصاً، فيحفظها أبى عن ظهر قلب وقد استمع لها مرة واحدة، ثم اعانته في مدينة «مونبلييه»، وبعدها في مدينة «باريس»، تلك المرأة التي كانت في بداية أمرها تقرأ له، ثم صارت خطيبته وزوجته. ما كانت أمي تحسن اللغة العربية. كانت تستطيع أن تقرأ له نصوصاً بالفرنسية والإنجليزية والإيطالية والإسبانية واليونانية واللاتينية... فكانت لديها ميثابة السكرتيرة التي لا تفارقه ساعة. وقد استعان بعد ذلك بسكرتير مصري يقرأ له باللغة العربية. الحق أنه استعان

أجرى الصحفي والكاتب الفرنسي المهتم بالثقافة العربية والإسلامية فيليب فاردال حواراً مع الدكتور مؤسس طه حسين عن والده بمناسبه مؤبته نشرها في مجلة Arabes، وقد ترجم منجى الشميلي الأستاذ الجامعي التونسي هذا الحوار ونشره في كتاب بعنوان «طه حسين في مرآة العصر، وصدر من المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ٢٠٠٢». وفيما يلي نص الحوار.

س: لقد صرف الجمهور الفرنسي طه حسين من خلال كتابه «الأيام» وأدبته كيف كان ينظر إلى الجانب الروائي من مؤلفاته؟

ج: كان التأليف الروائي بالنسبة إليه ترويضاً عن النفس، ولحظة استراحة في غمرة الإبداع، ولكن اعتقد أنه أدرك بعد ذلك أن هذا القسم «الروائي» من أعماله هو الذي سيبقى، أو على الأصح هو الذي سيكون أطول بقاء.

س: المعلوم أن أبى كان يعمل كتيه وقد كان يرفض دائماً أن يعيد قراءتها. أقصد أن تعاد قراءة التجارب (الطبيعية) على سمعه، وكان يعهد بذلك إلى من يرى فيه الكفاية، وفي استقار أنه لم يراجع قط سطرأ واحداً بنفسه، فالندق الأول في كتابته كان الأخير دائماً.

لكن نصوصه تؤكد - بما هي عليه من إعداد جيد - أنه كان قد فكر طويلاً وملياً قبل إملائها. كان

احترم
ميوله إلى اللغة
الفرنسية
وفي نفس الوقت
قرآن
يستثمرها ليربطه
بتاريخه
وحضارته فاقترح عليه
أن يكون موضوع
دراسته للدكتوراه
عن تأخير
الأدب الإسلامي
في الأدب
الفرنسي



الجانِب من حيّاته لا يعنّي أحدًا. وهكذا أجَدني قَدِ مِلات أَشعر بالندم بعد أن حرّرت هذه الصّحاح.

ولك إنّ يا زائر المكان الذي تَوصي فيه طلعَ حسين أن تتذكّره. وما إذا شئت أن تدعوه وأنت تستعرض هذه الآثار في ذلك البيت المتواضع الذي كان مسكنه. (*)

(*) عن «نهر العبد العباس» لخبيرة من متحف مصر. مطبوعات صندوق التّرميم الثقافي ١٩٩١

فيه سنوات عديدة إلى جانب أبي قبل أن أرحل إلى الخارج بصمة نهائية. غير أنّي أشعر بشيء من الحرج كلما طلب إلى أن أحتدث أو أكتب عن أبي. وذلك لأنّي لا أستطيع أن أحتدث عن الرجل في حياته العامة، أو الكاتِب والأستاذ والجامعي والوزير. وذلك لمبب بسيط وهو أن أناسا غيّرَ ممن هم أكثر كفاة قد تناولوا الموضوع وأوصوه حقّه. كما لا أستطيع. أو أنشي لا أريد. أن أحتدث عن الرجل في حياته الخاصّة. لأنّي اعتقد أن هذا

يكي يعلق كبير أهمية على ما تلقى من أوسمة ودرجات فخريّة. إلا أنه كان شديد الاهتمام بما يلقي من تقدير وتكريم من نظرائه من كبار الجامعيين ومشاهير العلماء ومدراء الجامعات ورؤساء الجامعات العلميّة. وأذكر هنا أن شيئاً لم يسعده قدر سماعته بالذكورة الفخريّة التي حصل عليها من جامعة أكسفورد. وهو أمر مفهوم تماماً لدى الكثير الذي يمكن أن أقول عن هذا المسكن الذي يراد له الآن أن يكون أثرًا تاريخيًا. فقد عشت

ها أنت يا بني تهجر وطنك!

الذكر يوم كنا نعبث في (مدينة) «جرامير». وكنت أحتدث بحديث أكرّته لعرابته وغمراه في الخيال. فأبنت أن تصدقه أو تطلعن إليه، والحمد عليك في ذلك. فلم يزدك إلا الإحراج إلا إغراء في الإبتكار. وخاصمتك حينئذ وأعلّنت إليك أنّي لن أدايعك بعد اليوم. ولئن أحتدث إليك إلا جأء، وأنت صلب الرأي كالميدان لا تشعن للومعد ولا يخيفك النذير. فأعرضت عني وأعرضت منك. وفهّينا في ذلك يومًا ومعه يوم ولم أقل لك شيئاً ولم نقل لي شيئاً. ولكن أختك أقيمت فأبنت أنها بآنك ضيق بأعراسي عندك لا تشعن للمب لأنّي لا أدايعك ولا أعودك باسمك الذي كنا نجب أن ندعوك به. فتوسّعت حينئذ أملك فاصلحت بيننا وأعادت إلى شرك الإبتسام وأعادتك إلى ما كنت تحب من لعب ومرح.

سل أمك يا بني فستبينك بأنّي لم أكن أقل منك شأن بهذا الإغراض. وبأنّي كنت أشكو إليها بينما كنت أشكو أنت إلى أختك. أذكر هذه القصة. إلا أنني تصور ما بينك وبينني من حد قد علمك أن تبيل مني ما كنت أحتدث به إليك بما فيه من خيال وما فيه من أمانة.

أذكر يوم ذهبنا إلى «فونتيبلو» لنزور القصر. وكنت قد اصطحبت بك معها «دمية» على شكل ديد. فلما بلغنا الحديقة تقمعت إليك أمك لي أن تدع مع ما كل معنا من متاع حتى لا تشعن عليك ولا يصرفك من جمال القصر وما فيه. فأضعت كرها ولكنك أظهرت لجلبًا واحتمالًا لهذا الفرق حتى إذ مضينا وبمعنا من المحلة أجهشت بالكاء وأغرقت فيه فلما سألناك عما يبكيك أجبت (أن العبد لي يرى القصر) فمضنا أورايجًا وزا. وأرب أمك هذا الأثر العظيم.

عناية فائقة. لا يقصد اللغة الفرنسيّة فحسب. بل لغات كثيرة أخرى منها الإنجليزيّة طبيعيًا. والإيطاليّة كذلك والإسبانيّة. وغيرها.

أقبل أبي على درس اللغة اليونانيّة واللاتينيّة لأنه كان يرى أن ذلك أساس تكوين ثقافي ضروري. أما من وجهة الحضارة التوسّعية التي كان شديد الإيمان بها فإنّ تعلم اللغات عنده كتب حاسم. وعلى الرغم من أن دعوة طلع حسين إلى هذا المسلك لم تلق تأييدًا مطلقًا فإنه وقرّ على كل حال. أن إنشاء شعبه للدراسات الكلاسيكيّة بجامعة القاهرة. تدرس فيها اللاتينيّة واليونانيّة

س: كيف كانت طابعه وكيف كانت طريقته في إدراك الوجود؟

ج: كان أبي مغرقًا في التّشامخ. وإدراك ذلك سهل يسير. وحسبنا أن نذكر في هذا المقام عامة العمل. لقد وجد المون على تحظى هذه المحنة. ومع ذلك كانت تشابه أطيوار من القنوط وصفها في كتاب «الأيام». لقد حدثت نفسه بالابتحار أحيانًا. وكانت تشابه سورات ديان لا قبل لأحد. بأن يكون له فيها عونًا. ولا حتى زوجته كانت قادرة على ذلك مع ما أوتيت من رفق وحنان.

كان ينظر إلى الأشياء دائمًا نظرة سلبية. هذا من غريب الأمور ولا سيما ونحن نعلم أنه رجل على غاية النشاط. لقد انجز أشياء كثيرة في حياته. لقد بنى في الحقيقة جزءًا من مصر الحديثة. ■

ها أنت قد أضجعتني في سريرك وأحطت بما يسع قلبك الصغير القوي من حب وحنان. ثم أقيمت عليها تشاكرا فيما نحن فيه من عمل وحديث. أتاني راض عن هذه الرحلة. مفتتح بما لقيت فيها من خير وقد نسيت ما احتملت فيها من مشقة. . . سيخسبك الصبي أحداث الطفولة. ويخسبك المرأة أحداث الصبا. وسيلهمك جد الحياة عن عيب التشباب. . . ها أنت يا بني تهجر وطنك ومدينتك. ودارك وتعبير البحر في سنك هذه الصغيرة تطالب العلم وحيدًا في باريس. فدعني أهدى إليك هذا الحديث (عن أيام طلب الوالد العلم في الأوسر) لعلك تتراح إلى بين حين وحين إذا أجهدك درسك. . . هناك ترى لونا ما تعرفه من ألوان الحياة في مصر. وتذكر شخصًا مثلًا ارتاح إلى قريبك منه. وطالما وجد في جددك وهزلت لدة لا تعدلها لدة ومتاعًا لا يبعده متاع.

لقد تعودت ألا أتراني إلا بأسما لك. ولكنك تستمر وتري أن ابتسام الأبناء لأبائهم الصغار كثيرًا ما يخفي اكتئابًا وحزنًا. . . يستعمل أن ما كنت أمحك من الانسجام والرضى. وما كنت أتى معك من ضروب اللعب والمناجاة لم يكن خالصًا كابتسامك والفرح. ولا مصموا كلمك ودعايتك. وإنما كان يخفي من وراءه حزنًا واكتئابًا ما كان لك أن تراهها صبيًا. وما ينبغي أن تجهلهم رجلاً. وما أسعد الأب حين يثق بأن ابنه يحبه حزنًا مظلم النسيم كما يحبه مسرورًا مشرق المصاد (*)

طلع حسين

(*) شهادة طلع حسين نقلًا عن زوج ابنته الدكتور محمد حسن الربوات

كان
من المأمول
أن يصبح
أبي مجرّد
قارئ
للقُرآن.
ولكن
سرعان ما أظهر
ذكاء فائقًا.
وخصالًا
ممتازة.
وكذا استطاع
أن يفلت
من مصيره

التقارير واللوائح والكتابات التي تناولت الموضوع.

سجلت الباحثة ١٤٠ مقابلة في الفترة بين ١٠ نوفمبر ١٩٨٢ إلى ٢ مارس ٢٠٠١، منها ١١٩ مقابلة مسجلة في العامين التاليين مباشرة على الحدث، ومقابلة واحدة مسجلة عام ١٩٨٦. وتوسع عشرة مقابلة في الفترة من ١٩٨٨ إلى ٢٠٠١، أما الدراسة الميدانية فتعتمد على ٤٣٠ استمارة وزّعت على أهل الصحايا و١٠٠ استمارة وزّعت على أهل المفوقين والمخطوفين. وتضم الوثائق سجلات ولوائح بأسماء الضحايا والمفقودين، والمخطوفين من مصادر مختلفة، والفوز الإسرائيلي للبنان، فضلاً عن التقارير الرسمية والصحفية

ستشكل بين يديها على مدى عشرين عاماً تواصل فيها البحث في وقائع الجزيرة، تستمع لشهادات الأهالي، وتبحث في الوثائق، وتنقب وتدقّق وتحصى في محاولة لإحاطة أكثر شمولاً بما حدث في تلك الأيام الثلاثة هي صبرا وشاتيلا.

يقع الكتاب في ٨٠٢ صفحة من القطع الكبير تقدم معرفة موثقة بالمنذبة عبر شهادات الناجين من الموت وأهالي الضحايا والمفقودين، وعبر الدراسة الميدانية، والتنقيب في كافة

الطرسة، هل تشهدنا أننا كنا متحضرين معك؟.

تزامنت واقعة التفشيش إلى انتهت بالسؤال، هل تشهدنا أننا كنا متحضرين معك؟، مع نهاية ٤٣ ساعة أشرف فيها الإسرائيليون على واحد من أبشع مجازر القرن العشرين، واح ضحيتها ما لا يقل عن ٣٥٠٠ شخص، نعان قائلوهم في مختلف أشكال الذبح والتعذيب. لم تجب بيان على سؤال الصابغ الإسرائيلي، وربما لم تفكر لحظتها أن إجابة ما مقبلة وموثقة

١ [] مقدمة كتابها «صبرا وشاتيلا» أيلول ١٩٨٢، تحكي بيان بويهض الحوت، أستاذة التاريخ في الجامعة اللبنانية، عن واقعة اقتحام الجنود الإسرائيليون لبيتها في بروت ظهر يوم السبت ١٨ سبتمبر ١٩٨٢. قُتل الجنود الأربعة البيت، وأسأوا عن زوجها (شقيق الحوت مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في بروت). استمر التفشيش نصف ساعة، ثم، هم يعادرون، التمت إليها قائدهم، سأها بشيء من

صبرا وشاتيلا: أيلول ١٩٨٢ بيان بويهض الحوت
سهرت مؤسسة الدراسات الفلسطينية ٢٠٠٣

صبرا وشاتيلا

الزوجة للسان أحمد فزاد سليم من الممرض الذي أقامه عام ١٩٩٦ في ذكرى المذبحة



٢٧ هـ الفصل الأول من الكتاب
تصع الباحثة، لجرّة في سباقها
العام ١٩٨٨ وما ترتب عليها من الشدات
المسلطتين ووضع اللاجنيس
الفلطينين في لبنان وفي ساقها
الأحص. العزو الإسرائيلي للبنان في
صيف ١٩٨٢

تساول بيان بويهض واقع المخيمات
حيث كان اللاجنون يمشون من ساء
اليوت، حتى دق المسامير كان ممسوعا
أيضا. كما قال أبو القاسم: فإذا دق أحدهم
مساميرا جرد المكتب الثاني
الاستخبارات اللبناني، لمتحقيق. ولو
تساءل أحد: ما؟ فالجواب جاهر يجب
أن يكون صف البيت من التوثية أو ألوح
الريكو (الصفيح) وذلك
لأن السقف المصنوع يمسى

إلى أرقام وبسبب متوحيه: عدد القتلى
من الفلسطينيين واللبنانيين
والمصريين والمصريين. ونسبة كل
من مجموع الضحايا. نسبة الاغتصاب.
نسبة الإناث والدكتور المراحل
العمرية. الخ



وهناك طبيعة الحال الجهد المتصل
والموازي للمرحطين المشار إليهما أعلاه.
وهو إلمام الباحثة بما يتصل بموضوعها
من تحقيقات وتقارير رسمية وأهلية. وما
بشرعته في الكتب والصحف والمجلات.
وما النقطه المصوبون من صور وأفلام
وثائقية. الخ.

الأجنس في الأيام الصعبة الأولى قد
بات من الحرمان (ص ١٤). كان على
الباحثة إجراء المدايل بعيدا عن آعين
المخبيرين. وكان عليها تدبير نقل
الأشرطة على نسخ ثانية. ثم الحفاظ
عليها بتمويهها وتأمينها في بيوت
الأصدقاء. كذلك كان تشريع الأشرطة
بكتابة ما ورد فيها على الألة الكاتبة
محموفا بالخاطر مما دفع إلى نسخها
بخط اليد.

ولم تكن مرحلة التاريخ الشفهي
سوى المرحلة الأولى. إذ أعقبها مرحلة
الدراسة الميدانية بهدف جمع أسماء
الضحايا. وكل ما يمكن جمعه من
معلومات عنهم. ولقد بدأت الباحثة في
ربيع ١٩٨١ بتوزيع الاستمارات على
أهالي الضحايا. ثم ترجمة ما سيهم

والتلمزيونية، والمضالات والكتب التي
تناولت الموضوع.
يؤرخ كتاب بيان بويهض الحوت
لحزرة، وتاريخ المجازر، كما تؤكد الدارسة
في كتابها. يحتفظ عن التاريخ لأى
حدث آخر لأسباب متعددة. أبرزها، أن
المجازر عمليات تصف عادة بالسريرة إلا
في النادر والقليل منها. (ص ٦). فهي
غالبًا بلا وثائق ولا مستندات. كانت
حدود المشروع هي بدايته محاولته
لتوثيق شهادات أهالي صبرا وشاتيلا من
المجررة. والحفاظ عليها. ولم يكن ذلك
بالأمر الهين، إذ فرضت الظروف
السياسية في لبنان في السنوات التالية
مباشرة قيودا قاسية: فالمطعم المنكوبة
كانت مراقبة باستمرار. وكان مجرد ذكر
كلمة مجزرة، بعد انتهاء موسم الإعلام

١٩٨٢.. تاريخ المذبحة





صبر واستمرار

مقاومة واستمراراً لا يتوقفان مع حياة اللجوء، والتي ما هي إلا مرحلة مؤقتة حتى العودة إلى فلسطين، (ص ٤٦). ويصعب أبو علي، مخيم شاتيلا عام ١٩٥٩، وهي سنة قدومه إلى المخيم، شاتيلا كانت عبارة عن خيم، معمر لها من الداخل ٦ أو ٧ مداميك (صفوف مرسومة من الحجارة أو الطوب) ومسوفة فوق بأواخ خشب عليها حجاب. نص سكان شاتيلا التي مثل قادر يحم حجاب جوات الخيمة كان يحث الواح رينكو أو تنك، يعني كان هناك تنك معطف مفاش متقلو بحجاب. ولكن لا كان يقوى هوا والواش كانت الخيمة تنفخ وتصير مثل البالون، وتصير الناس تركض، التي منهم حاطين عمود لخيمة يمسكون العمود، والتي كانوا متجاورين قصة الخيمة، يصيروا يتقلوا على السقف، نحسب أو يطعموا بقدموا على السقف، كان رب البيت يتحمل البيت يصدره حتى ما يطير السقف.

وأما كانت العملية اسهل مع سقوف الزينكو، لأنوا لا كان يبيع هوا الصعب كان ياخذ معه الواح الزينكو مهما يكون عليها مثقالات، وكانت شغلة، يا ما ناس تجروحت وهي لا حقة الواح الزينكو الطارية في الهواء. (شهادة أبو قاسم للمؤلف) ص ٢٨ أبريل ١٩٨٣، ص ٤٦). وبقيت إقامة السقف متنوعة، حتى جاء بعد منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان فأصبح المنوع مسموحاً، (ص ٤٨)

أما حرس ثابت وهو المتأخم للمخيم من جهة الجنوب، وأول المناطق التي طالتها المجزرة فلم يكن معكوكاً حتى عام ١٩٧٢، إذ كان البناء فيه متنوعاً، لم تحول لاحقاً إلى مأوى للعائلات الفلسطينية واللبنانية المقيرة

لقد طالت المجزرة الأحياء الضعيفة في منطقة شاتيلا، لم يدع لها هامون قلب المخيم بل الأحياء المتأخمة له، بئر حسن، رجي المقداد وحتى فحرات منطقة الحرس والأحياء الفاضلة، حي عزال وحي العربي، والدوخي، وشارع شاتيلا الرئيسي، والقسم الجنوبي من منطقة صبرا، وكلها مناطق شعبية سكنها فلسطينيون ولبنانيون وسوريون ومصريون وجنسيات أخرى أيضاً منها عمال من بنجلادش والهند وباكستان.

في أغسطس ١٩٨٢، غادرت المقاومة الفلسطينية لبنان، بعد توقيع الاتفاقية مع البعثة الأمريكية فيليب جيبية، وبعد أن أدت القيادة لند فيها ضمانات بحماية المخيمات والمخيميين الفلسطينيين، لتلقى كل المخالفين الذين لم يكونوا من اللاجئين إلى لبنان منذ عام ١٩٤٨ أمراً بالمغادرة، أما من كانوا من لاجئي ١٩٤٨ فقد خيروا بين البقاء والمغادرة، وسلمت المقاومة سلاحها ومخازن الذخيرة إلى الأحزاب الوطنية اللبنانية، ولجا الشباب إلى دفن سلاحهم العردي في مخاين بعيدة عن المخيم، واضطر البعض لم يملكه هذا السلاح من تهديد لأصحابه وأهاليه المنطقة التي يعيشون فيها، إلى التخلص منه (حتى بتركه في المزابل).

في أثناء القصف المتواصل على بيروت كان أهالي منطقة شاتيلا على غادروها إلى الحمراء والروضة ومناطق أخرى من بيروت، ولم يعودوا إلى بيوتهم إلا بعد توقيع الاتفاقيات وخروج القتاتيين، كانت المنطقة ما زالت بلا ماء ولا كهرباء، وكان من عاد من الأهالي (حوالي ٦٠٪ أو ٧٠٪ منهم) متهمكين في إصلاح بيوتهم التي أصابها القصف، حين حاصر الإسرائيليون صبرا وشاتيلا والأحياء المتأخمة لهما يومى الأربعاء والخميس ١٤ و ١٥ سبتمبر، شغبت المنطقة قصفاً إسرائيلياً عنيفاً، وكان المخيم بلا قيادة وبلا مقاومة، وبلا سلاح، وبلا ماء ولا كهرباء، ولذلك قرر «وجهاء» المخيم، (الأكبر سنًا أو مكانة)، وإيهاء وفد لقوات إسرائيلية لإعلامهم أن المخيم خال من السلاح والمقاتلين، تحرك الوفد في الساعة الثالثة والنصف بعد ظهر الخميس (اختلف الرواة على عدد الوفد، ربما، وهذا ترجيح الكافية، لأن الوفد في بدايته لم يكن هو نفسه

في نهايته) ولكن يبدو أن من وصلوا كانوا أربعة أشخاص: واحد منهم دوي الأربعين، والثلاثة الآخرون فوق الستين، لم يد أي منهم، قتلوا جميعاً، كذلك اتجه وفد من النساء والأطفال من مستنسى عكا، يرافقهم رجال، يحملون اعلاماً بيضاء، فيأودهم الإسرائيليون بإطلاق النار، واحتجزوا النساء والأطفال لمدة ساعة ثم أمرهم بالعودة ركعاً إلى بيوتهم في المخيم، أما الرجال فاحتجوا إلى الأبد (وهما أب وابنه يعملان في محطة الوقود القابلة للمستشفى).

استمرت المجزرة طوال ٤٢ ساعة متصلة من السادسة مساء الخميس إلى الواحدة ظهر الأحد، في منطقة يطوقها الجيش الإسرائيلي وسيطر عليها ويتابع ما يجري فيها، ويمنع الأهالي من محاولة الهروب منها، ويؤمن لشخصها ما يحتاجونه: القصف الشديد الذي دفع الأهالي إلى اللجوء (سيتم ذبحهم في الملاجئ)، القنائف الضوئية التي ستوالي طوال ليلة الخميس فتقول ظلام المخيم إلى ضوء، ساطع (قنفيثان مضئتان كل قنفيثتين من المنطقة ٨٠م طوال الليل)، الميجاتات والأضواء التي تضيء التي يتناولها ممتو الخيمة (يتفق العديد من الشهود على رؤية المجلات والزجاجات العائرة التي تحمل كتابة باللغة العبرية)، كما سيرفر الإسرائيليون الجرافات التي ستهدم البيوت أو تلقى بالبحث في مقابر جماعية.

أما متعود المدحبة فيضمة مئات من الميليشيات: أساساً من ميليشيات حزب الكتائب، وسعد حداد، وحراس الأرز، وبعض «التنوير الأحرار»، وقد شاركهم، يشهدة الشهود، إسرائيليون يرتدون زي الكتائب، كانوا يحجمون من الكلام، سمع البعض في لحظات معينة اللغة العبرية.

استخدمت الميليشيات الرصاص والأسكاكين والبساطات والقتال في قتل الأهالي، ثم قتلهم داخل بيوتهم، وفي الملاجئ والأقراص والطريق العام، هدموا البيوت على الأحياء أو الجرحى أو المقتولين، مثلوا بأحياء، ومثلوا ساجنت (قطعوا الرؤوس والأيدي والأرجل، وشقوا البطون، اغتصبوا نساء، مرقوا أطفالاً، دهنوا أحياء في حفرة وقبرهم بالرمال، وحملوا مئات الشباب تم تقلمهم إلى أماكن غير معلومة (لم يظهر منهم أحد بعد ذلك أبداً)، ذلك فضلاً عن سرقة ما في البيوت أو في جيوب الأهالي، والتسليم البدينية والإهانات، وقبل المغادرة تم تفخيخ العديد من الحث بقنابل والعام.

امتدت المجزرة في يومها الأول من غروب يوم الخميس حتى منتصف الليل، وأقمت اليوم الثاني، يوم الجمعة، وهو أطول أيام المجزرة أيضاً، وشخص ساعة كاملة، في منطقة الأحد، وهو اليوم الأخير فقد اعتد نحو ثلاث عشرة ساعة من الثانية عشرة ليلاً حتى الواحدة ظهراً.

وكانت المنطقة بلا مقاتلين ولا قيادة، فلم تتجاوز عمليات التصدي مقاومة محدودة في أربعة مواقع بها أربع مجموعات صغيرة لا يعلم كل منها بوجود الأخرى، وهنذا للشهادات يمكن تقدير مجموع الذين لقوا بدميات التصدي ضد القوات الإسرائيلية الحاصرة يوم الخميس، في الحارة الأربعة، بنحو ستين شاباً ونحو خمسين من يكن بينهم من المقاتلين الذين سوى عدد محدود جداً، أحد الأكرهين فكانت الشبان المتحمسين الذين تقوى حواسنهم قدرتهم القتالية الفعلية، (ص ١٢٠)

وكان هؤلاء الشباب وهم يتصدون بشكل تلقائي، لا يعلمون بدخول الميليشيات اللبنانية ولا مهاجمتها البيوت وبنح الأهالي، ومقاتل واحد، (تشير له البانحة باسم «الراعي») اتجه بعد ظهر الخميس إلى المنطقة بهدف الاستطلاع، وعلم أن القوات المهاجمة قوات لبنانية، واشتبهت معها، لا كانت قد خبرتة تنفذ «أحد الراعي» ينقل من ملجأ إلى آخر داعياً الناس إلى الخروج بهدوء في اتجاه الشمال، (ص ١٧٢). وأمن فعلا خروج عدد كبير من الناس.

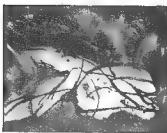
العقد الستون، يناير ٢٠٠٤ م



استمرت المجزرة طوال ٤٢ ساعة

متصلة من السادسة مساء الخميس إلى الواحدة ظهر الأحد، في منطقة يطوقها الجيش الإسرائيلي وسيطر عليها ويتابع ما يجري فيها، ويمنع الأهالي من محاولة الهروب منها، ويؤمن لمنفذها ما يحتاجونه





مستشفى و... مستشفيات...

صبراً لقينا أطفالاً كما نحالهم، يعمى بصرهم، شناسه كان في الأطفال مرمع شى سه وفي ٣ سبب وهي ٤ وهي ولد متبادل مع يتحرر فانيه بالسلطة يمكن قاتلتهم ورايهم هي صبر حتى ما ينفال انهم قتلوا الأطفال المرمى في المستشفى. (ص ٢٤).

ويحكى ابو الرائد عن واقعة القاء قنبلة فوسفورية في يوم الجمعة على ملجأ صغير نسبياً (يتسع لخمس أو ستين شخصاً)، «بعض يا دوب رمو» القنبلة الفوسفورية ع لملجأ لتحت، ولعت الدنيا، ولع اللجأ باللى في وراهم هيه) وسمعنا صرخ، يا الله شو ما الصريح...»

كانوا أربعة من المقاتلين وفناء مقاتلة اسمها فاطمة، بواصل صبر ابو الرائد: «إننا أطلقنا النار، اشتبكنا نحنا ويأهم بعدو عشر دقائق ويكفى اقل طبعاً سمعنا نادوا على بعض يا توني، ويا سعيد، ويا ويرا ويا زويير، وأنا نهائى الحظايات، أنا سمعت عبري، تعديداً بجاري الحظايات التي امرت فيها القبلة الفوسفورية، أنا ظلفت عليهم، أنا سمعت لمة يهود، لمة عبرية... (شهادة ابو الرائد، ص ٢١١)

وفي نفس اليوم سواصل المينيشيات عمليات القتل في البيوت، واستعمل الجرافات في هدم البيوت على من فيها من جثث. كما يستعمل الحف في حفر، سواء حفر جامعة عن قصص الطيرن الإسرائيلية أو حفر جديدة حفرتها الجرافات

في اليوم الثالث، السبت ١٨ سبتمبر سبنا المينيشيات عليها ميكر، هي الرامعة صياحا تبعنا لشهادة البعض لتقحم البيوت وتسوق من فيها إلى ساحة صبرا، واثم تجتمع سكان صبرا وشاتيل في ساحة صبرا، كما يدع في المساعدة صياحا لتقادم في مسيرة قسرية جنوبا باتجاه المسارة الكويتية، ثم يميناً إلى المدينة الرياضية، في هذه المسيرة التي شبهها البعض بيوم الحشر، تم اختطاف اعداد كبيرة من الشبان.



وفي الساعة صياحا من نفس اليوم ايضا يتم الفتحام مستمضى مرة، ولكن هذا المستشفى الأكبر لم يشهد الفتحام مماثلاً

وبين التعذيب والاعتصام والقتل الوحشي. (ص ٢٢٦).

تلقي الجانب أماً بالخروج من المستشفى وهم يرفعون أيديهم، قتل الطبيب الفلسطيني في المستشفى، د. علي عثمان والدكتور سامي الخطيب، وشهد طبيب أنه رأى المسلحون يحرقون المرضى الذين بقوا للعناية بشمانية جرحى وخمسة أطفال موقوف وعدد من الرضخ. وروت ممرضة لبنانية أن زميلتها الفلسطينية، ذهبت للبحث عن أختها التي التجأت إلى بيت قريب من المستشفى فوجدتها عازية مطحمة بالدم... ومقتولة خفا. (ص ٢٢٣) كما يروي طوس أنه شاهد من منزله الجوار للمستشفى واقعة اعتصام الممرضين وقتلهم. وقد شهد شهود عيان بأنهم راوا جثثاً لأربعة رجال بالرداء الطبي الأبيض في مسبح المدينة الرياضية تطفو على سطح المسبح. وزيما كان الطبيب علي عثمان وراسي الخطيب من بينهم أو المصفون الثلاثة (زياد معروف، فزار الصادق وجهاد الحاج) الذين قتلوا وهم في طريق عودتهم من مستشفى غزة حيث أوصلوا أحد الجرحى.

ومن صحايا القسم الطبي والعاملين في مستشفى عكا طبيبان، وممرضتان وثلاثة مسعفين، وموظف وطباخ وحارس، وباقى الضحايا من المرضى وخمسوا الأطفال. (٢٢٧) ويرد في الشهادات أن الأطفال غير متمسكي الجسم قد أخرجوا من الحاضنات، وأن أطفالاً آخرين رضعوا أو في السنوات الأولى من عمرهم وجدوا مقتولين في أماكن أخرى. وتشهد الممرضة زينة

«إننا تأتي يوم لقينا طفل مزموت (ملقى) براً بالجنيحة، وجعنا رحننا على

ملقى سان نويهص، كان التصوير والمصورون والصحافة والمصاحف من الأمور المتنوعة حتى يوم السبت إلى ما بعد خروج القنصل، ولكن... من قال أن عدسة آلة التصوير أكثر صفاً من عير الإنسان. (ص ٢٠٠). سيحكي الناجون من المجزة في هذا الكتاب تفصيلاً عما شاهدهو بعينهم.

«وان أمكن القول أن ليلة الخميس كانت ليلة القضاء على لآلاء الملايخ، لأنهم القول أن يوم الجمعة كان يوم افتتاح مستشفى عكا. (١٩٩).

في هذا اليوم الثاني سيتم افتتاح مستشفى عكا قبل الافتحام فقدت المستشفى اثنين من العاملين فيها. أولهما عراسي وهو مصري يعمل موظفاً في قسم الأشعة خرج عراسي من المستشفى لسبب أو آخر. وما كاد يخرج ويصر من جانب محطة الوقود المجاورة حتى أدركه قنبلة، وفي نفس الوقت خرجت عاملة مصرية بالمستشفى تشتري علبه دخان للطبيب فاصابها رصاصة وسقطت عند باب المستشفى.

الفتحام المسلحون المستشفى في الساعة الحادية عشرة، «كان المقتحمون متوترين وينظرون يميناً ويسرة بحثاً عن مخربين...»

أما في أثناء وجودهم في المستشفى في ذلك النهار فقد كان لديهم الوقت الكافي ليتأملوا على كل المرحوسين في المستشفى، أطباء وعاملين ومرضى، معاملة متعاقبة وفقاً للجسيمة أحياناً، ووفقاً للمزاج في أحيان أخرى، وهي محاولة تراوح بين المعاملة بالعنصرية

صفاً الرجال كلهم على الحيط، ولاحظت أن الرصاص يلعل، ووقعت مرته (وهي جزائرية) وأولاده الثلاثة أمام باب المنزل جثثاً هامدة قبل ما كانوا الجرحى لتلقوا للرجال. هو قال أنو حالا شعر إنهم راوحا، بساعتها عرف من صراخ بنته الصغيرة، عرف إنهم ماتوا... فراح يلوهم على المسلحين قدامو بلا وعى، قوصو، وضلوا يتقوصوا، وهو ضل نايم بالأرض، وهنى (هم) اشتكروا أنو مات، (شهادة أحمد م، ص ١٦٥).

لم يتم مصطفى، ظل مصاباً وبين جثث القتلى إلى أن تمكن من الهرب، وحكى كحايتة

وقائع المجزة من

أقوال الشهود

في الليلة الأولى دخلت المينيشيات المسلحة إلى الأحياء المتاخمة لحيم شاتيل (أحياء فرحات والمقداد والحرث وعرسال ويثر حسن). ثم اقتحام البيوت، والنقصاء على لآلاء المخاض، قتل المشرات في ملجأ أبو ياسر، وهو سورى قتل في المجزة كما قتل كل أفراد عائلته، وأغلب من أحتمى في منزله من الأهل.

يوم الخميس ذاته، اعتلا ملجأ أبو ياسر وهو ملجأ صغير نسبياً وخاص بأبي ياسر، بالآهل وبالييران وجيران الجيران، احتشاماً من القصف الإسرائيلي.

وصلت المينيشيات إلى باب الملجأ الصغير وصاحت بهي من فيه أن يخرج فوراً، طلب من الرجال الوقوف إلى جانب الجدار المقابل للملجأ، واقتيد البعض إلى جراج أبو جمال القريب من شارع شاتيل الرئيسي، وأمر النساء والأطفال ما سبهم في الطريق، الصام لأنهم ساءد نولهم إلى مستشفى عكا. بعد أن ابتعدت النساء، تم إطلاق الرصاص على الرجال الواقفين بجوار الحائط، أما من اقتادوهم إلى جراج أبو جمال ومحطة الوقود فقد تم قتلهم أيضاً على الطريق، أو في الجراج أو عند محطة الوقود.

تعلق بيان نويهص، «جدار الموت القريب من ملجأ أبو ياسر لم يكن جدار الموت الأوحد في مجزة صبرا وشاتيل، ولكن ربما كان الأول في سلسلة عمليات متشابهة امتدت طوال ثلاثة أيام. وينقل أحد الشهود ما حكاك له مصطفى هيراث الذي أطلق عليه النار على حائط من حوائط الموت،

صفاً الرجال كلهم على الحيط، ولاحظت أن الرصاص يلعل، ووقعت مرته (وهي جزائرية) وأولاده الثلاثة أمام باب المنزل جثثاً هامدة قبل ما كانوا الجرحى لتلقوا للرجال. هو قال أنو حالا شعر إنهم راوحا، بساعتها عرف من صراخ بنته الصغيرة، عرف إنهم ماتوا... فراح يلوهم على المسلحين قدامو بلا وعى، قوصو، وضلوا يتقوصوا، وهو ضل نايم بالأرض، وهنى (هم) اشتكروا أنو مات، (شهادة أحمد م، ص ١٦٥).

لم يتم مصطفى، ظل مصاباً وبين جثث القتلى إلى أن تمكن من الهرب، وحكى كحايتة



والقوات الإسرائيلية تعرضت أعداد كبيرة للخطف.
ظهر يوم الأحد ٢٠ سبتمبر دخل الجيش اللبناني المنطقة. وبدأ المسجون في جمع الجثث، ودفن الضحايا.

أرقام وإحصاءات

لا مرجعية مسؤولة بشأن الأعداد على الصعيد اللبناني أو الفلسطيني؛ فها من مرجعية منهما قامت بإحصاء شامل للضحايا والمخطوفين، وأعلنت نتائج إحصاءاتها أمام الله والتاريخ والإنسانية، (ص ١٧) تبعا لتقرير لجنة كاهان الإسرائيلية يقدر عدد الضحايا بين ٧٠٠ و٨٠٠، أما أرقام لجنة الصليب الأحمر الدولي كما وردت في لجنة ماكبرايد فهي ٢٧٥٠ ضحية. تتجاوزها أرقام الصليب الأحمر اللبناني كما وردت في شهادة الكاتب الأمريكي رالف شونمان أمام لجنة أوسلو فتشير «نحن نرفعا ونقيا ٣٠٠٠ ضحية». يشمل هذا العدد النشيط بقوا تحت الانقاض، (ص ٥٦) ودفن شونمان العدد بين ٤٠٠٠ و٥٠٠٠، ودفن كابلوك كاتب كتاب «تحقيق حول مجزرة» (١٩٨٢) بين ٣٠٠٠ و٥٠٠٠، ودفن جاسر عرفات العدد بين ١٠٠٠ و١٠٠٠٠، وبالرجوع إلى لوائح الصليب الأحمر الدولي، ومديرية مجلس الدفاع المدني اللبناني، ومجلس كنائس الشرق الأوسط، ومقبرة روضة الشهيدين والأسماء التي دُفِنَ فيها سلمان خليل الذي كان يصلى على القتلى قبل دفنهم، ومقبرة الشهداء، ودار الفتوى ولجان أهالي المختطفين والمخطوفين وغيرها. استطاعت بيان نوحيش الموت أن تصل إلى تحقيق أسماء ١٣٩٠ ضحية. دفنتها أسماء

لمستشفى عكا إذ كانت وصلته أنباء المجزرة وبعض ما حدث في مستشفى عكا في اليوم السابق. يوم الجمعة اجتمعت جزيرة أرواح مديرية المستشفى بالظالم الطبي العربي وفلايتهم بالمغادرة، وطلبت من الصليب الأحمر لدولي الإشراف على إخلاء المستشفى من الحالات الصعبة والأطفال، وكان من أبرز المشاهد الأخيرة التي شهدتها الأطباء النرويجيين مراقبة السكرتير الأول في سفارتهم للنجاة بأنفسهم، حين جاء ثاني مرة مع بقعة الصليب الأحمر الدولي لإخلاء المستشفى إلا فضلا البقاء مع زملائهم ومع المرضى، (ص ٢٠١).

عند وصول المسجونين إلى المستشفى صباح يوم السبت، اقتادوا الطاقم الطبي الأجنيبي (كان عددهم ١٨ في قول البعض، وأكثر قليل في قول البعض الآخر) وتركوا المتبقين من المرضى (٦ حالات صعبة و٣٢ مريضا في رعاية ممرضتين).

وشهد الأجانب كما شهد غيرهم من لا، أهالي أنهم في المسيرة القسرية باتجاه المدينة الرياضية شاهدوا الخرافات وهي تواصل عملها. كانت عددا من بيوت كثيرة (حتى أن الشارع بدأ أوسع) وشاهدوا بيوت مدمرة وجثث مكدمة في أطراف الأرفقة وعلى جانبي الطريق استقرت المسيرة الإبراهيمية حتى الظهر، تعرض الأهالي للقتل والإجبار على السير في حقل الخمام (زاح بالخمسة مت قتلى وست جثثهم، شهادة الحاج محمود، ص ٢٢٢) كما تعرضوا لأشكال من الإذلال، ربما كان آخرها التنازل المبنيّة. كان عليهم أن يهتموا، فنعيش الكتائب، أو يسقط أبو عمار، أو يصفقوا أو يرقصوا. أرغموا أمراء حبلى على الرقص تحت تهديد السلاح، وكان عليها أن ترقص منوة حتى سقطت من الإزهاق. كما أجبروا روجا على الرقص ثم أطلقوا عليه النار. أم العجور التي تصون أن من يرتدون الزي العسكري فتصرون فاطمتك العنان للضرر على عودتهم وراحت تغني لأبي عمار ضد شرط المسلحون فيها حتى أدبته ثم أطلقوا عليها النار فسقطت قتيلة (شهادة سهام طمس، ص ٣١٧). وهي المدينة الرياضية حيث تم التحقيق مع الأهالي من قبل الموانع اللبنانية

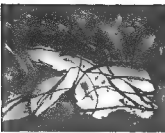
٣] لما كان الكتاب يعتمد بشكل أساسي على تسجيل شهادات الناجين من المجزرة الذين حكوا ما راوه بأعينهم فإن التجربة التي يعيشها قارئ الكتاب تحفل نوعيا عن تجربة قراءة كتاب في التاريخ، إنما أمام مادة حيّة، مؤثرة، موجعة، تحيل بنا أصناف قتلى عديدين، وعذابات من شات لهم الأقدار النجاة من موت محقق، وإن فقلو، أقرب القرائهم أو أصدقاهم وزملاءهم. يحكي هؤلاء الناجون ما خبروه من هول، ونعتت نحن القراء إلى ما لديهم شاملا كما قالوه مالفئة المحكية، بلحاجتهم للمسلطية أو اللبنانية، لهجة الجليل، أو الساحل الفلسطيني، أو الجنوب اللبناني. تقتبس بهان مطولا من هذه الشهادات التي تشكل أساس كتابها وأحد إنجازاتها الأكبر.



وهناك أيضا صوت المؤرخة ذاتها، أو صولاتها، إن أردنا الحقيقة، صوت باحثة تتوارى الذات فيه خلف لغة التحليل وموسيقى الدارس، يقطعهم صوت آخر، صوت إنسان داخل، فربما ماخوذ بما توفر لديه من معارف، تنقل حيا من كلام الشهود، أو تلخص ما حكوه، لتتسبب التفاصيل، لتضاهي وتقرأ وتربط وتستخلص ثم تتوقف لتسأل أو تتحقق، وتتسكك الأسئلة والخلوصات إيقاعا لحكايتها، وأصولها الذي يروى. في الأسئلة مزيج من أسئلة البحث، وأسئلة سياسية وأخرى وجودية، لا مفر منها أمام وقائع المجزرة: كم كان عدد السكاسكان؟ من جنسياتهم؟، وعن المقامرين الذين حاولوا التصدي، من كان هؤلاء الشباب؟ هل كانوا فلسطينيين فقط، أم فلسطينيين ولبنانيين؟ كم كان عددهم؟ كم كان لديهم من سلاح؟ وهل كان لديهم خفّة شاملة للمجابهة؟ وكيف كان يمكن الوصول إليهم لمجرمة ما جرى؟، وعن المهاجرين من كان هؤلاء؟، وكيف دخلوا؟، كيف اقتحموا؟...، عن عدد من الشباب يحمل سلاحه للتصدي، أي حل هو الحل الأمثل، المقاومة أو التسليم...، وفي الأيام اللاحقة عرف الجد وأسرته أن غيرهم في منطلقهم، بتر حسن، قد قُتل فلما لم يقتلهم كسوامهم، الفتى سعيد ابتعد لحظة إطلاق النار، لم يشاهد بعد ذلك أبدا، أملاق منير، ابن

من ضحايا القسمة الطبي
والعالمين في مستشفى عكا
طبيبان، وممرضتان، وثلاثة مسجونين،
وموظف وطباخ وحارس.
وباقى الضحايا من المرضى
وخصوصا الأطفال





أنظر ترجمتي للمقال بالاشتراك مع د. أمينة رشيد، مجلة «المواجهة»، القاهرة، ١٩٨٣). ومنهم أيضاً الكاتب الإسرائيلي أرمون كاييلوف في كتابه المعروف «صبيرا وشائلا»، تحقيق حول محرزة، وقدم الأجانب من الأطباء والممرضين مقالات صحفية وأفلام تسجيلية. ولكن شهاداتهم ونشرت، وشاول المجزرة العديد من الإعلاميين العرب والأجانب في مقالات صحفية وأفلام تسجيلية. ولكن هذا الكتاب، في رأيي، يتميز بميزتين فارتقتين: أولهما أنه الأوفى والأشمل، والأخرى تدقيقاً، ففيه بحث مؤلفه لم يضره كل ما سبقه من دراسات وكتابات، وهو ثانيًا، في اعتماده التاريخ الشفهي، وشهادات مؤلفه وفيه بحث مؤلفه لم يضره في أي بحث سابق في الموضوع، فتقدم هذا الحدث التاريخي المروع من منظور من عاشود

ناختصان هذا كتاب مؤلم وشديد الأهمية، إنه كتاب الحدوث القصص، الشرائع والأهمية والصف في حدده الأصغر، والألم الإنساني في حده الأقصى، ويهد البحث أيضا في حده الأقصى.

أنشأه أنا وأنا على وشك الانتهاء من مراجعة الكتاب، أنني لم أشر لمحقق الصور في نهايته، أعترف أنني حين بدأت في قراءة الكتاب، وطول فترة قراءته، ثم العودة إليه أثناء كتابة هذه المراجعة، خلعت منه الغلاف الخارجي الرقيق الذي يحيط بغلافه الكحلي السميك ووصفته جانبا. لم أقدر على التحديق في الصورة الملونة الكبيرة في صدر الغلاف حيث تلاصق قتلتي، قتلتي، بالكاد خط شاربي، ممدد على الأرض كاملا بلاحي، استقرت رأسي على كتف قاتلتي آخر، واستقرت على فخذة الأمير قدام قاتلتي ثالث، لا يظهر من هذا القتي سوى حذائه الرياضي وساقيه في بطولون «جيبين»، وفي أعلى يسار الصورة، صورة أخرى أصغر لجانان متمح مصعب تبين شيء من ملاصحه. كان التعاضب من تلك الصورة محنة حقيقية. لم أجد طويلا في ملحق الصور، الكتاب بهذا المعنى هو أيضا كتاب الحد الأقصى فيما يثيره في القارئ من مشاعر.

رحم الله الشهداء، وأعز السيدة التي أرتدت بكتابتها القيم أن توفي ببعض ما ندين لهم به. ١١

سبتمبر ٢٠٠٠، ص ١٦٠-١٦١). ولم أجلس أمام أم ربيع ولا أم أكرم، وهما يتحدثان، أم ربيع المرحضة التي أمدت العشرات وتتكلم ببساطة كأنها.. لا تقول إن والدها قتل في كل الزعتر، وإن أمها وأحوا قتلًا في شائلا، (ص ١٧٥). وأم أكرم التي شاهدت مئات الجثث وهي تبحث عن أولادها فجر يوم الجمعة. وتعلق: «يا ربي لو في مقاتلين ما صار فينا التي صار في الغابات، (ص ٦٩).

لكن بيان نوييهض الحوت عايشت ذلك كله طول عشرين عاما، سمعت أحاديث الناجين من المجزرة تفصيلا وسجلتها، وقرعتها على الورق. وكان عليها أن تحقق وتدقق في كل تفاصيلها، وتخطها بقلمها، وتصنع منها كتابا لا يقتصر حديث المجزرة على فاجعة القتل والخطف بل يتجاوزها إلى أمور أخرى فادحة، قد لا يفضلها الكتاب نا، ولكنه لا يغفل أبدا الإشارة لها ضمنا أو بشكل صريح، فيجد القارئ نفسه يسأل لماذا لم ينشر تقرير جرمانيو أبدا، وهو التقرير الرسمي للحكومة اللبنانية (لم ينشر إلا ملخصا في الصحافة الإسرائيلية)؟ لماذا «ضاعت»، لوائح الصليب الأحمر اللبناني فيما يخص أعداد الجثث منذ دخول المنطقة؟ لماذا ترك الأهالي في مواجهة المهاجرين وهم عراة تماما من أي قيادة؟ لماذا سبقت القيادة الفلسطينية، «الضمات»، أمريكية كأنها بلا تاريخ تتعلم منه؟ هناك الجثة التي ألقوا الأثام المروعة، ولكن هناك مسئوليات أخرى فادحة يصعب على الباحث الأمين ألا ينشر إليها.

لقد تناول المجزرة العديد من الكتاب الكبار لعل من أبرزهم وأولهم الكاتب الفرنسي جان جيتيه الذي كتب عن زيارته لشائلا قبل أن يدفن العديد من الجثث

استغرق هذا الوقت، وكل شهادة مفردة من الشهادات المانة والأربعين التي تعتمد عليها الدراسة لها وطأة المركة. ولم تكن الإحصاءات والجداول، كما تقول المؤلفة، بأهل من ذلك، وطأة (اعتزنتي القشمريرة، ولست سوى القارة، وأنا أرمي على أسماء أسر كاملة فلسطينية ولبنانية أبعدت بالكامل. يتكرر اسم القدار وهي عائلة لبنانية ٣٣ مرة، ٣٣ قتيلا من نصر العائلة، كما يتكرر اسم آل محمد، وهم فلسطينيون. ١١ مرة، رجل وزوجته وأولادهم التسعة، كما راح من أسرة البقاص اللبنانية ٨ أفراد هم الأب والأبن والأبنة والصغير والأحباء. وفقدت أسرة الخطيب الفلسطينية ١١ شخصا هم الجدة والأب والأم وأولادهم السبعة. كل أسرة منها مسجل أفرادها بالاسم والسكن، وشملهم ذات المستطيل الأزرق الذي استخدمته الباحثة لتعيين ضحايا العائلة أو الأسرة الواحدة). لم ألتق بمثير الطفل الضامات الذي قضى بيلة نية الجثث ومنها أمه وأخواته، ولم أمش معه في شوارع شائلا بعد لعاشي عشرة سنة من المجزرة وهو يحكي: «انا.. أنا أكثر شي ضايقني مش بس الموت من حولى.. أنا.. كنت مش عارف إدا أمي ماتت أكيد، وإذا لحواتي ماتوا أكيد، كنت عارف إنو معظم الناس من حوالى ماتوا، وصحيح أنا نفسي كنت خايف أموت، لكن أنا ضايقني كثير إنهم (الميليشيات) كانوا يضحكوا ويسكروا ويتسلوا طول الليل، رما علينا بطايات وتركونا للصبح، وكل الليل كنت أسمع أصوات بنات يبكوا ويصرخوا: «منشان الله تركونا يجاتنا، يعني أنا فيني إنكرك فنيش إقتصروا بنات. أنا أصوات البنات من الخوف والوجع، ما يعرفني أين أنا»، (شهادة منيرة في

الثانية عشرة، أصيب ونام بين الأموات في الحراء، وكادت أمه وذوخته قتلوا، ولكن ماذا عن اليوم التالي؟ أيها سيكون أكثر حظا؟ / كيف سيكون الحد أكثر أو أقل قليلا في آتون المجزرة؟ وكيف ستصلنا شهادة مسيد... وهل استشهدت فاطمة؟) فتاة من فتح ذهبت إلى مكتب الجبهة الشعبية وحصلت على سلاح وشاركت في المقاومة المحنودة في المخيم، هي أيضا لم يعثر لها على الر، والمشي التي ألقى قبلة فوسفورية على المهاجرين يوم الخميس وقيل أنه استشهد (كان في الرابعة عشرة من عمره) ما اسمه؟ من هو؟.

تذكرنا الأسفلة في مسار البحث الذي يتحول عبر الشهادات وصوت الكتابة / الراوية إلى سحنا نحن، إذ يحوط عبر القرارة من روى عليهم إلى طرف في الرواية، ورواة يحتملن لها.

أما التعليقات والخلصات المتناثرة بطول الكتاب فتجمع بين الموضوعي والذاتي، فهي ليست مجرد خلصات بحيثية بل تأملات لباحثة / إنسان مروع أمام ما يتعرف عليه ويتفقه.

تتابع مصائر الأهل، نتائج البحث، نتائج النتائج، ولكننا أيضا نتابع هذه السيرة الذاتية لخبثاتها وتناجها طوال عشرين عاما، فيأتي حكيمها محملا ما عاشته طوال تلك الفترة قرب الأموات والأطراف، تقول:

في مرحلة التاريخ الشفهي كان تصويري أن مأسى مقتل العائلات كما رواها الناجون منها، هي من أكثر ما استمعت إليه مبدعة للألم، وكلمًا أعدت قراءة مقابلة معينة، أو أعدت الاستماع إلى شريط معين، بدا لي في كل مرة صورة مأسوسية جديدة، أو لحظة مأسوسية لم أكن أدركها في المرات السابقة، وطالما انتشرت الانتهاء من مرحلة التاريخ الشفهي، تصورا وروما متى بأن مرحلة الدراسة الميدانية أي مرحلة التعامل مع الأرقام، أخف وطأة على النفس من التعامل مع أقوال المعادين وأصواتهم، غير أنني كنت مخننة، (٤٢٢).

يسهل فهم لماذا استغرق هذا العمل من بيان نوييهض الحوت عشرين عاما، صحيح أن ما جمعتها من مادة وما بذلته من جهد لا يتاح إنجازا إلا في سنوات، لكن التعامل مع هذه المادة هو ما

التجربة التي يعيشها قارئ الكتاب تختلف نوعيا عن تجربة قراءة كتاب في التاريخ، إننا أمام مادة حيصة، مؤثرة، موجعة، تحيط بنا أطراف قتلتي صليدين، وعذابات من شاعت لهم الأقدار النجاة من موت مشاقتهم



مواليد الأقباط في مصر

كلوديا وينز



ينظر الأقباط . المسيحيون من أصل مصري . إلى وطنهم مصر باعتبارها بلداً مباركاً بصفة خاصة حيث إنه المكان الوحيد خارج الأرض المقدسة الذي وضع فيه المسيح عيسى قدمه عندما لجأت العائلة المقدسة إلى مصر هرباً من اضطهاد «هيرودس». ويعتبر الأقباط بتاريخ عقيدتهم وكنيستهم والذي يرجع إلى يوم وصول القديس مرقس الرسول إلى الإسكندرية والذي جلب معه مياشاة ودون

Coptic Life in Egypt

(حياة الأقباط في مصر)

Claudia Yvonne Wiens
Auc Press, 2003, 128p L E. 150 00

وساطة القداوس الأصلي الذي أقامه السيد المسيح. وكان سيريل الأول . وهو البطريرك الرابع والعشرون للكنيسة القبطية . قد قام لاحقاً بجمع وترتيب هذا القداوس الذي كان قد ترجم إلى اللغة القبطية فأصبح أول قداوس مسجل . وقد شكلت عقيدة الشهداء الأقباط الأوائل إلهاماً مستمراً للمسيحيين في كل مكان . كما كانت مصر أيضاً المهد الأصلي للنظام الرهباني في المسيحية ترسماً لخطى القديس أنطونيوس في صحراء مصر الشرقية في القرن الرابع للميلاد . كما كانت المدرسة الدينية الشهيرة بالإسكندرية منارة لتطور الفكر وحماية العقيدة عند الكنيسة المسيحية الأولى . وقد

ظل الأقباط المعاصرون ثابتين على إيمانهم وفخوريين بتراليهم الذي كانت له إسهامات جوهرية معروفة في الديانة المسيحية ككل . ويشرح هذا الكتاب بالكلمات والصور حياة الأقباط في مصر من منظور زائر أجنبي: كيف يمارسون شعائر دينهم . وكيف حافظوا على التقاليد القديمة حية . وكيف ينعكس كل ذلك على حياتهم اليومية في صورة المواليد وهي عبارة عن احتفالات بأعياد ميلاد أو استشهاد القديسين يحضرها آلاف الناس من المسيحيين والمسلمين . كما نفذ المصور الفوتوغرافي إلى حياة جامعي القمامة المصريين الذين يطلق عليهم الزبالين ويعملون مسيحيين ومسلمين في نفس المهنة .

كما يصف عملهم وكيف تحسنت حياتهم ومستقبل أبنائهم بدرجة كبيرة نتيجة لتلبية حاجاتهم الأساسية من مساكن ومدارس ورعاية صحية عن طريق البرامج الاجتماعية الحكومية وغير الحكومية .

ويحتفظ قداوسة البابا شنودة الثالث بابا الأقباط بصلة حميمة مع رعاياه من خلال لقاءاته العامة الأسبوعية المنعقدة كل أربعة والتي يحضرها مئات الأقباط . ومن الواضح أن قربه منهم وسهولة الالتقاء به كان لهما أعمق الأثر على طريقة حياة الأقباط وممارستهم لشعائر دينهم .

يسرية لوزة ساويرس





يستمر عشرة أيام، متنزهاً كبيراً أو مدينة ملاه، فالوسيقى عالية والناس يرقصون والباية يبيعون السلع الشايوانية الرخيصة والمسكرات والماكهة وصور القديسين، ولا تخطئ العين محترفي رسم الوشم الذين يشبهون الصليب القبطي على معاصم الأقباط، وهم أيضاً يرسمون بالوشم صوراً أكبر للقديسين على الأذرع والأكتاف، ويقدر عدد الحجيج إلى دير المحرق بحوالى خمسين ألف شخص سنوياً، وبالنسبة للمفقر من الأقباط والذين يشكلون نسبة عالية في مصر الوسطى فإن فترة المولد هي عادة العطلة الوحيدة التي يمكن أن يتحملوا نفقاتها، وهم يصمون خياهم حول الدير لعدة أيام ويقومون بزيارة الكنائس للصلاة والتوسل ويتمسحون بالأضرحة وصور القديسين من أجل تحقيق الشفاء والحصول على البركة، وتقوم الكثير من العائلات بتقديم الأضحية من الأغنام والماعز، ويجرى ذبح تلك الأضحية في سلخانة الدير ثم يباركها قسيس أو راهب وبعد ذلك يجرى توزيعها.



وتعتبر الموالد أيضاً مناسبة طيبة لتعميد المواليد الجدد، ومن المألوف بالنسبة للرهبان القساوسة أن يقوموا بتعميد مئات المواليد أثناء مولد يستغرق

هناك التي تتعلق بالأفراد مثل منح الخصوية للنساء العاقرات وعلاج المرضى العقليين أو العصبيين أو طرد الأرواح الشريرة أو استعادة المفقودات أو السرقات، وهناك الروى مثل دور أو طيف السيدة العذراء في صورة ضوء ساطع مثلما حدث عدة مرات في أغسطس ٢٠٠٠ بكنيسة القديس مرقس بأسويس، وقد صدرت الأضواء من أبراج الكنيسة حتى تجمعت لتشكّل صورة مريم العذراء، ويؤكد العديد من المؤمنين أنهم شاهدوا رؤى يبقاع مقدسة، ويحضر الموالد العديد من المرضى العقليين أو العصبيين والنساء العاقرات والحجيج الآخرين أعلن في الشفاء أو البركة.

ولست معظم الموالد مجرد أحداث جادة فقط بل هي أيضاً مناسبات حافلة باللهو والبهجة، ويشبه المولد السنوى بدير المحرق بمصر الوسطى والذي

لهم الأضرحة والمقابر التي تضم رفاتهم والتي أصبحت موضع تجيل وصلاة، وقد ارتبط كل قديس وكل شهيد بقصص خارقة تتناسب مع ظروف استشهاده، وكان للقديسين والشهداء هوية دينية حقيقية ولمنوسة أكثر من التعاليم المجردة للديانة الرسمية.

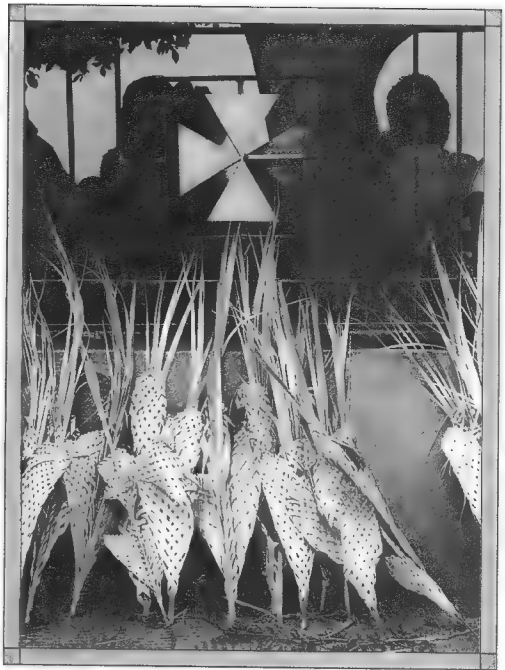


وسرعان ما أصبحت مقابر وأضرحة القديسين مكاناً لإقامة موالد سنوية حدث ذلك في الأديرة والكنائس والبقاع المقدسة الأخرى، وتشكّل الأحداث الخارقة المرتبطة بأحد الموالد جانباً مهماً منه، وتلك الظواهر تاريخ طويل راسخ ويظهر أن تتكرر بانتظام، وهي الدليل الإلهي على قدسية الاحتمال، وتنقسم تلك العجيزات إلى نوعين.

يحتمل كل من المسلمين والأقباط في مصر بموالت (تعيد ميلاد) القديسين والشهداء والأولياء ويحتمل العديد من الناس بالموالد المسيحية في شكل رحلات حج سنوية للأضرحة، وتنتمى الموالد إلى الديانة الشعبية والتي تضم أيضاً العديد من جوانب الحياة الشخصية والاجتماعية، ويختلف السلوك والتقاليد الدينية عند العامة كثيراً عنه في الكنيسة الرسمية رغم وجود بعض التطابق أحياناً، ولعظم طقوس الديانة الشعبية جذورها في التراث الديني لمصر الفرعونية وكان المعتد الدين كما كانت الحياة الأخرى هو دائماً ما يحكم السلوك الديني عند المصريين وهو عامل مساعد دون شك في قبول الديانة المسيحية، فقد آمن الأقباط أن الناس يمشون حياتهم انتظاراً لندخلهم الفردوس، ولذلك كانوا يعتبرون موت قديس أو شهيد كيوم ميلاد، ولم يتطور ذلك إلى مراسم جنازة إلا في القرن الرابع للميلاد، وكان الأقباط حتى العصور الحديثة ينظرون إلى استشهاد قديس كولاية ثانية له في الحياة البرمسية، وواصل العديد من الناس اتباع تقاليد أسلافهم الفراعنة، وجرى استبدال الآلهة الفرعونية بالقديسين والشهداء الذين أصبحوا موضع توفير وتجيل، وبعد وقت قصير أصبح لكل مستعمرة رعاياها الخاصون من القديسين والشهداء الذين شيدت







موالد الأقباط في مصر



المؤمنين القارب الشراعى إلى الضفة الأخرى للنهر. ومن هناك يتحرك الركب إلى قمة جبل كوم ماريا منشدن الأغاني المقدسة البهيجة أثناء مرورهم بالكنايس ويدير أبو حنيس في طريقتهم. ويشتهر جبل كوم ماريا بمنح الخصوبة للنساء الحائضات. ويمكن للمرء بين الحين والآخر أن يلمح امرأة تتجول بالجبل وتصلى من أجل الخصوبة. وتُنصب بأعلى الجبل خيمة لكبار الكهنة والخدم الذين يحيون ذكرى زيارة العائلة المقدسة لتلك المنطقة. ويستمر أحد الطقوس بوضع ساعات يقضى خلالها الأطفال وتلقى الخطب. ويتجمع الآلاف الحجاج

ومن الأسباب الأخرى لرحلات الحج التقليد العريق والدويوب الذى يساند رواية الإنجيل عن فرار العائلة المقدسة إلى مصر (متى ١٣: ١-١٥). وتقام كثير من الاحتفالات في البقاع التي يعتقد أن العائلة المقدسة نزلت بها أثناء فرارها. ويقام أحد تلك الاحتفالات التذكارية كل عام في الأول من يونيو بمنطقة دير أبو حنيس بمصر الوسطى. ويقوم أسقف ماوى في هذا الاحتفال ومعه أسقفان آخران والعديد من كبار الكهنة بمعبور النيل في قارب شراعى بديع الزينة. ويرمز عبور النهر إلى رحلة العائلة المقدسة على سطح النيل. ويتبع الآلاف

الفترة التالية للولادة تعتبر المرة غير طاهرة ولا يسمح لها بالمشاركة في المراسم الدينية مثل تناول أو التعميد. وفي حالة المرض أو خضبة وفاة المولود خلال تلك الفترة يمكن تشخيص آخر غير الأم أن يأخذه للكنيسة. ويعد غمر المولود في الماء ثلاثاً ترسم شارة الصليب اثنتين وثلاثين مرة بالزيت على بشرة المولود دكراً كان أم أنثى. وييجل الأقباط الكثير من الشهداء والملايكة من القديسين. وتقبوا السيدة العذراء الملاكات العليا وتحوز القدر الأكبر من التيجيل. فلها وحدها وعلى شرفها يقام اثنا وثلاثون احتفالاً سنوياً.

أياماً قليلة. والتعميد هو أول الطقوس المسيحية وأهمها على الإطلاق. فيدونه لا يمكن أداء باقي الطقوس الأخرى. فهو شرط أساسي للخلاص ودخول ملكوت الرب طبقاً لكلمات عيسى: «ما من أحد يمكنه أن يدخل ملكوت الله إلا إذا ولد من الماء والروح» (يوحنا ٣: ٥). ويجرى أثناء التعميد تجديد روح المولود من خلال غمره في الماء ثلاثاً باسم الأب والابن والروح القدس وبذلك يكون قد توحد مع المسيح وبمئة الكنيسة. ويجب تعميد المولود في أسرع وقت ممكن بمجرد بلوغهم سن ثمانية يوماً للنبات أو أربعين يوماً للفلان، فخلال تلك



هذا الكتاب..

اهتمت معظم الكتب الفونوغرافية السابقة التي تناولت المسيحيين المصريين بتصوير التراث المبنى والمعماري القبطي فحسب، أما هذا الكتاب فيقوم بالتركيز على التقاليد الدينية والحياة الاجتماعية للناس العاديين من أقباط مصر والذين اعتادوا أن يبرزوا معتقداتهم ويظهروها من خلال الشكايات والرموز المسيحية في الحال والمتاجر، بل وأماكن العمل. وهو يكشف بذلك عن جانب شبه مجهول للدين المعاش في واحد من المجتمعات المسيحية لا يدري بها الكثيرون في العالم العربي.

ينقسم الكتاب الصادر عن الجامعة الأمريكية بالقاهرة إلى سبعة فصول، يبدأ كل منها بمقدمة وجيزة تشرح خلفية الطقوس والتقاليد والعقائد التي جسدها كلوديا وينز في صور فوتوغرافية.

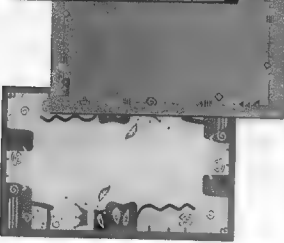
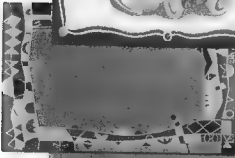
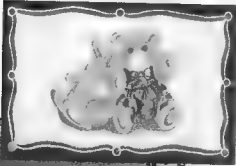
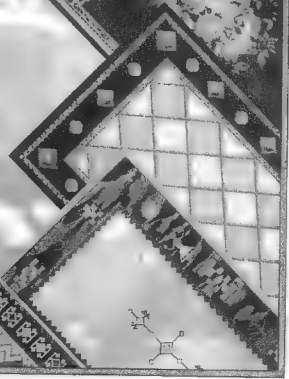
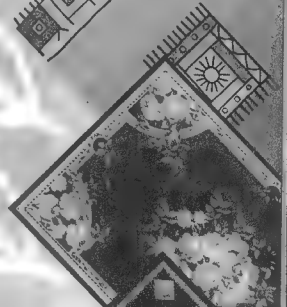
أن عيسى ترك أثر كفه مطبوعاً في ذلك المكان. ويأتي الحجيج من كل مكان قاصودان عبر النيل ويتجمعون في موكب بهيج من الفناء وفقر الطبول.

ويقام عند دير العذراء في مريكة على بعد عشرة كيلومترات من أسيوط في شهر أغسطس من كل عام وليلة خمسة عشر يوماً موئداً آخر شديد الأثر. وتوجد بسفح التل مدينة ملاه ضخمة تصمم أرجوحة دوارة وألعاباً أخرى. وقد اجتنب هذا المولد في أغسطس ٢٠٠١ أكثر من تشريرين ألف شخص نظراً لتهديدات أطياف الضوء في ليال عديدة. وقتها شعر المؤمنون أن الله معهم. ■

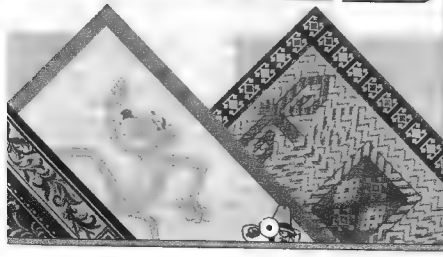
خارج خيمة الاحتفال للمشاركة في إحياء العنكري.



ويقام بكنيسة السيدة مريم العذراء بجبل الطير في مصر الوسطى احتفال آخر على شرف العائلة المقدسة وبخاصة السيدة العذراء. وطبقاً للتقاليد فتلك هي البقعة التي شمرت فيها مريم بالخوف على سلامة عيسى حيث أوشكت صخرة هائلة أن تهوى عليهم. ولكنه بسط يده وأزاح الصخرة بعيداً. ويقال



متواجد في مراكز





ماك

www.maccarpet.com ماك على الإنترنت

سجاد ماك لكل الأغراض.. لكل الأجيال

مشايات

قطع موكيت

مطبوع

دواسات حمام

شرقي

سجاد أطفال

بيع بواقى التصدير المنتشرة في كل أرجاء مصر.



أزمة البحث العلمى فى مصر

نبيل عبد الجيد صالح

على مستوى علمى لا يقل عن قريتنا هم فى العرب ثم بدأ التذبذب فى المستوى العلمى إلى أن انتهت إلى الوضع الحالى، ويكفى أن ننوه هنا إلى أن مصر كانت ضمن مجموعة دول عدم الانحياز والتي كانت تضم فى حينه الهند، وكانت هناك اتفاقيات للتعاون العلمى بين البلدين ولكن للأسف لم تستفد من هذه الاتفاقية. وما هى الهند بدأت تحتل ثمار التخطيط العلمى والطفرة العلمية التى بدأت فى التخطيط لها فى حينه وبدأت حالياً فى التحول إلى دولة منتجة للتكنولوجيات، ومن المؤشرات التى تؤكد هذا أنه تم تسجيل أكثر من ثمانية آلاف براءة اختراع بالهند عام ١٩٩٩ منها ٢٢٤٧ من داخل الهند، بينما كل ما سجل من داخل الهند، بينما كل ما سجل من براءات الاختراع فى مصر لا يتعدى الخمسمائة فى العام نفسه. ومؤشر آخر هو عدد البحوث المنشورة عالمياً، فالهند نشرت ما يوازى ٢٠٪ من الأبحاث المنشورة عالمياً خلال الأعوام ١٩٩١-٢٠٠٠ بينما مصر لم تصل إلى ٠,٥٪.

إن حالة البحث العلمى فى مصر ليست سيئة على إطلاقها فهناك إيجابيات إلى جانب السلبيات وسنورد هنا معاً فيما يلى بالإضافة إلى بعض المقترحات لتطوير التعليم العالى والبحث العلمى فى مصر.

الإيجابيات

القاعدة العلمية: هناك قاعدة علمية عريضة على مستوى علمى رفيع ولكن الحفاظ عليها فى وجود السلبيات سوف يكون صعباً مع مرور الزمن حيث ستحتاجون النسبة الجيدة والمناسبة بالمقارنة بالنسبة غير المنتجة مما يحتم إعادة النظر فى السلبيات (خاصة المرتبطة بالأخلاقيات) والتصدي لها من الآن. ومن التخصصات التى لها قاعدة قوية فى مصر فى الكيمياء والعلوم الصيدية وعلوم البيئة وبعض التخصصات الزراعية وبعض التخصصات الهندسية (بما فيها الرى) إلى جانب بعض التخصصات العلمية.

الإمكانات الأساسية: قاعدة عريضة من حيث الإمكانيات والتجهيزات مثلاً



لقد أن الأوان لأن يلمع البحث العلمى دوراً أساسياً فى اقتصاديات البلد. حتى نتحول إلى دولة منتجة للتكنولوجيات وليس دولة مستخدمة ومستوردة لها فقط. وإذا ما استمرنا على هذا المسبب من مستخدم للتكنولوجيا بدلاً من منتج لها، فسوف ننتهى مثل غالبية الدول النامية التى تزدهر فقراً وجهلاً بدلاً من الخروج من هذه الدائرة المغلقة ولنتعلم مما يحدث فى أوروبا من تطوير لوحدة أوروبية تتطور فيها الدول النامية ودول شرق أوروبا سابقاً ونندمج للوحدة الأوروبية على قدم المساواة بالدول الصناعية وتأخذ طريقها للحاق بقطار التنمية من خلال التخطيط العلمى السليم.

إن الفكر القديم مبنى على التغيير المتتابع ولكن الفكر الجديد فى التنمية مبنى على أساس التغيير المتزامن. ومن هذا المطلق فإن أى تغيير أو تحسين فى الأداء بالنسبة للبحث العلمى لن يأتى ثماره إلا إذا كان مبنى على أساس التغيير المتزامن والمتكامل. وهذا لن يتأتى إلا إذا كان التغيير شاملاً فى كل المجالات الاقتصادية والاجتماعية والبحث العلمى والصناعة والزراعة وحلافه ولتفصيل هذه الخطة لابد من تضاريف كل الأطراف باستخدام أحدث أساليب الإدارة وتجنيد كل الإمكانيات لوضع سياسات طويلة المدى واستراتيجيات خادمة لهذه السياسات واضعين نصب أعيننا إيجابياتنا وسلبياتنا وتعليم الاستفادة من الإمكانيات الحالية وتطويرها

منذ إنشاء جامعة القاهرة فى ١٩٠٨ توالى إنشاء باقي الجامعات ثم المركز القومى للبحوث فى ١٩٥١ وهيئة الطاقة الذرية فى ١٩٥٧ وكانت هناك قاعدة عريضة للعلماء فى العديد من التخصصات حتى أواسط الستينيات

في مصر لا تشارك الصناعة بأي شكل فعال في البحوث والتطوير. ومن الصناعات القليلة التي كان لها بعض الأنشطة في البحوث والتطوير هي صناعة الدواء وبعض الصناعات الهندسية ولكنها لا ترقى إلى المستوى المنشود لسد حاجة هذه الصناعات في هذا العصر التكنولوجي.

١٢

لوصوع الابتكار. وإذا كان القاسم المشترك بين هذه الدول هو وجود سياسات واستراتيجيات، فليس لدى كل هذه الدول وزارة للبحث العلمي. بل مؤسسات تتبع رئيس الدولة (أو رئيس الوزراء حسب الوضع الدستوري). وليس المجال هنا سرد هذه المتحارب بقدر الوصول إلى أحسن الصيغ التي تخدم البحث العلمي في مصر. وأهم نقطة يجب التركيز عليها أن كل الدول المتقدمة لها سياسات واستراتيجيات للعلم والتكنولوجيا. كما يتضح أن مصر قد سبق لها دراسة هذا الموضوع كما ذكرنا سابقاً ولكن لم تر هذه الدراسات الضوء. ولقد ان الأوامر لهذه الدراسات تصبغ أعين واضعي السياسات بالدولة. لأنه بدون سياسات أو استراتيجيات فسيو يقتصر دور البحث العلمي على الجهود الفردية للمادة البحوث وسوف يرضى الكثيرون بعدم بذل مجهود في مجال لم يطلب منهم عمل كجزء من منظومة متكاملة وهو ما يجب أن يكون عليه البحث العلمي كجزء أساسي من منظومة التقدم الاقتصادي والاجتماعي.

وبناء عليه يقترح إعادة النظر في الدراسات السابقة وتحديثها واضعهم في الاعتبار النقاط التالية.

١. إنشاء ألية قائمة ومحايدة وبعيدة بقدر المستطاع عن التأثير السياسي للوزارات المختلفة لوضع وسياسة وتفعيل مسار وتنفيذ سياسة العلم والتكنولوجيا. ٢. تجميع الدراسات السابقة بما فيها النابعة من البجان الخاصة بمجلسي الشعب والشورى ولتحصيلها وعرضها كنقطة بداية قابلة للتعبير والتطوير ٣. دراسة تجارب الدول المتقدمة والتنمية للبحوث ناسب المتحارب التي يمكن تطبيقها تحت الظروف المحلية. ٤. استخدام الطرق الحديثة للاستشراف المستعملي لخلفيات كل قطاع مثل الدلفي (Delphi) والتي تم تطويرها إلى برامج مثل Foresight والمستخدمة في الدول المتقدمة صناعات ٥. مشاركة جميع قطاعات البحث العلمي (جامعات ومراكز بحوث) والجهات المتتبعية الحكومية والحاصة (الصناعية والزراعية والصحة (إلخ) والجهات التنفيذية والتخطيط والتطوير.

وبعض الصناعات الهندسية ولكنها لا ترقى إلى المستوى المنشود لسد حاجة هذه الصناعات في هذا العصر التكنولوجي.



الأخلاقيات. وإذا تحدثنا عن الأخلاقيات في البحث العلمي فهناك شأن. الأول يتعلق بالأخلاقيات العلمية من حيث نوعية الأبحاث وتطبيقاتها وعلاقتها بالمعايير الأخلاقية والدين وما هو مباح وما هو محرم وهذا ليس مجال الحديث هنا. والشق الثاني يتعلق بنوعية الباحث ومدى تمسكه بالقيم والأخلاقيات والتعزلة ما بين الصواب والخطأ. وهذا الشق هو ما سيتم التركيز عليه. فمن السبيليات البكرية والمزلة على البحث العلمي في الجامعات ومراكز البحوث هي ظهور طليقة من المتتبعين من الفجوات في القوانين واللوائح إلى جانب أن الوظيفة أصبحت مضبوطة للعلم بدون محاسبة أو تقييم حقيقي والنتيجة ضحالة المستوى العلمي وعدم المقدرة على مجاراة المستوى العلمي العالمي. كما أصبحت قصص البحوث المسروقة أو المكررة حديث الصحافة ويبدأ ثلث على مدى قبول الباحث المصري في المجتمعات العلمية العربية والعالمية.

من السبيليات أيضاً أن المجالات العلمية المحلية والمحكمة محلياً والكثير منها حتى لا نذكر الأبحاث بما نسبى عنه استسهال النشر بها لعدم رفض البحوث بها ويعكس ما هو متبع في

١٣ جامعة حكومية و٤ جامعات خاصة (واثنين تحت الإنشاء) وأكثر من مائة مركز بحثي. وكثر الكثير من يقضيها للتجهيزات الحديثة الموائمة للعلم التكنولوجي الحديث والقوى البشرية محتاجة إلى التعليم المستمر ورفع مستواها العلمي كما أن هناك نقصاً شديداً في الكوادر العلمية والعامة المساعدة والممة بأحدث التكنولوجيات.

السياسات

سياسات العلم والتكنولوجيا. عدم وجود سياسة للدولة في مجال العلم والتكنولوجيا يعتبر من أهم العوامل السبيلية التي أدت إلى عدم وجود استراتيجيات واضحة للبحث العلمي. وقد جرى في الثمانينيات والتسعينيات عدة محاولات لوضع سياسة للدولة وشارك فيها العديد من الخبراء في مجال البحث العلمي والإدارة والاقتصاد وانتهت بتقرير وتوصيات تم حفظها ولم تر التطبيق بأي شكل من الأشكال. وهناك بعض السياسات القطاعية (مثل الزراعة والرى) ولكن لا ترقى إلى سياسة متكاملة للدولة يمكن أن تستفيد من الإمكانيات خارج هذه القطاعات. كما هو الحال في حالة وجود سياسة عامة للدولة تربط ما بين كل المؤسسات البحثية والتنفيذية

التطوير. لا يزيده الصرف على البحوث والتطوير في مصر من ٠,٣٥ من الدخل القومي. وإذا ما قورنت هذه النسبة بالدول العربية فسوف نجد أنه يمكن تقسيمها إلى أربع فئات: مصر والأردن ٠,٣ ٪ وأكثر والكويت والمغرب واليمن والسودان وموريتانيا ٠,٣ ٪ وسوريا والسعودية والإمارات ونونس ٠,١ ٪. وماقي الدول العربية أقل من ٠,١٩ ٪. وهذه الأرقام ما واقع دراسات اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لعربى آسيا والثالثة لهيئة الأمم المتحدة. وهذه النسب لا تصافي ما تصرفه الدولة المتقدمة علمياً والتي تصل نسبتها إلى ٣ ٪ (ومنها إسرائيل ٢٤,٤ ٪). وفي الدول المتقدمة يتم مشاركة الصناعة بما يوازي ٥٠ ٪ من هذه النسبة أي أن نصيب الدولة لا يقل عن ١٠,٥ ٪. وفي مصر لا تشارك الصناعة بأي شكل فعال في البحوث والتطوير. ومن الصناعات القليلة التي كان لها بعض الأنشطة في البحوث والتطوير هي صناعة الدواء

من السياسات الكبيرة

والمؤثرة على البحث العلمي

في الجامعات ومراكز البحوث ظهور

طبقه من المتتبعين من الفجوات في القوانين

واللوائح إلى جانب أن الوظيفة أصبحت

مضبوطة للعلم بدون محاسبة

أو تقييم حقيقي



من الصرف على التعليم أعلى من العائد على التعليم العالي، فهذا يدفع على حد ذاته للصرف على تطوير التعليم حتى يتم محو أمية ما لا يقل عن ٩٥٪ من الشعب، وهناك بعض الأفكار التي يمكن أن تكون نقطة بداية، ولابد أن هناك أفكاراً أكثر شمولاً في وزارة التعليم ولا يقتصرها إلا التمويل المناسب للتنفيذ، وعلى سبيل المثال .

١. مطلوب تنمية قدرات المعلم والمعلمة والمدرسة من خلال التعليم المستمر سواء من الناحية العلمية لكل تخصص أو من الناحية التربوية، كما يجب أن تستخدم أساليب التعليم الحديثة لتعليم الأطفال كيفية التفكير العلمي السليم وليس مجرد الحفظ مع توفير وتطوير شكل الامتحانات.

٢. إدخال تكنولوجيات المعلوماتية ضمن المقررات، حيث أصبح تغيير (أمر) في الحاسب الإلكتروني (Computer illiterate) نوازى (أمر) بالجهل القديم. وهذا يعني أن القراءة والكتابة لم يعودا المقياس الوحيد للتعليم في عصرنا الحديث.

٣. الاستفادة من فترة تجنيد الأميين (جيش أو شرطة) لتعليمهم خلال السنة الأولى من التجنيد وصحو أميهم حتى يصبحوا مجتدين ثم مواطنين صالحين وقادرين على اكتساب مهنة مفيدة للوطن والأرضهم.

٤. الاستفادة من الشباب العاطل في جميع المحافظات في مقابل مادي مجزٍ لتعليم الأميين، خاصة الإناث وأمهات المستقبل من عمل امتحانات جديدة وليس الصورية التي تمنح حالياً وعظم حاملها لا يمكن وصفهم بالقادرين على القراءة والكتابة.

٥. عدم السماح للأطفال بالعمل قبل انتهاء النشوة الإبداعية على الأقل ثم التدريب على إحدى المهن المفيدة، وظاهرة عصابة الأطفال بدأت في الانتشار ليس في الريف والفقاعات الزراعية فقط، ولكن زادت مؤخراً في الصناعة والبناء والعمالة الرخيصة في الحضر.

التعليم العالي: إذا وضعنا في الحساب كل السلبيات السابق ذكرها، ضوف نجد أن إعادة الهيكلة بالتنسبة لتعليم العالي أصبح من الضروري التي بدونها لن يتصلح حال التعليم العالي وبالتالي البحث العلمي وفيما يلي بعض المقترحات في هذا الشأن:

العلمي مع التعليم العالي أن حجم الوزارتين أصبح عبئاً كبيراً مع الاعتراف بأن وزارتي التعليم العالي والبحث العلمي مشتركتان في الكثير، ولكن التعليم الأولي مشترك أيضاً مع التعليم العالي في الكثير وقد تم فصلهما وقد يكون الحل هو ثلاث وزارات منفصلة: التعليم الأولي والتعليم العالي والبحث العلمي، على أن يضمهم مجلس للتعليم والبحث العلمي يكون مسؤولاً عن السياسات المشتركة والتكامل بين الثلاث وزارات ملحق به مكتب فني يعمل مع الثلاث وزارات. وفي غالبية الدول المتقدمة تضم الثقافة في التعليم والبحث العلمي، ضماناً لتنشيم الثقافة مع التعليم عامة، وهو ما ينقصنا كثيراً في نظم تعليمنا عامة.

مستخرج من

إن إعادة الهيكلة قد تكون عائق الزجاجة بالنسبة لمؤسسات البحث العلمي لتتعلق نحو تنفيذ سياسة الدولة، وهذا سوف يتطلب إعادة النظر في أكثر من نقط على النحو التالي، التعليم: إذا اعترفنا بأن نسبة الأميين قد وصلت إلى حوالي ٧٥٪ من الشعب حسب آخر إحصائيات الأمم المتحدة فهذا سوف يضع العبء على الدولة للإسراع بحمو الأمية بطريقة فعالة وليس مجرد شعارات. وإذا وضعنا في الاعتبار أن دراسات الأمم المتحدة تشير إلى أن العائد

وإناء عليه فقد أن الأوان للتفكير في أن تتولى وزارة البحث العلمي مسؤولية وضع السياسات والاستراتيجيات، بينما يتولى جهاز آخر مسئولية إدارة مراكز المحو إدراياً ومالياً، حتى تفرغ الوزارة للتخطيط على المستوى القومي وهناك عدة حلول يمكن دراستها وصولاً إلى الحل الأمثل وهذا يتطلب تضافر كل الوزارات والجهات المستفيدة في هذا المجهود، ضماناً لوضع سياسة متفق عليها وتطبيقها من خلالها بالتعاون مع باقي الجهات البحثية الحكومية والخاصة.

وقد كان هناك تفكير في إحدى الفئتين أن تخصص للبحث العلمي، وهذا غير وارد أو مقبول ضماناً لعدم تحكم جهات غير حكومية في سياسة الدولة للبحث العلمي، وإذا كان الدافع لهذا التفكير أن حوالي ٧٥٪ من تمويل البحث العلمي في الدول المتقدمة تمويل خاص فيجب أن نفهم أن هذا راجع لأن الصناعة في الدول المتقدمة قطاع خاص والشركات الصناعية العلاقة لديها بإمكانات للبحث والتطوير تفوق في كثير من الأحيان العامل والمراكز الحكومية البحثية هناك. ولكن يمكن الاستفادة من فكرة متخصصة أداء مراكز ومؤسسات البحث الحكومية من خلال الصناديق الخاصة أو الوحدات ذات الطابع الخاص وغيرها من الأفكار للابتداء إلى جانب استخدام سبل الإدارة الحديثة في التسويق ودراسات السوق والجودة ومن سبلات صمم وزارتي البحث

الخارجية، (الح) هي وضع الخطوط المبرمجة لسياسة الدولة للعلم والتكنولوجيا والابتكار.

٦. تشجيع الصناعة على المشاركة في إنشاء وحدات للبحث والتطوير، إلى جانب المشاركة في التمويل (مهما قل في البداية).

وبالنسبة لمشكلة التمويل يجب أن نضع نصب أعيننا أن الاستثمار في البحث العلمي هو ضمان للتنمية المستقبلية قصيرة وبعيدة المدى وأن العائد لا يقدر بثمن، وبناء على الدراسات والمقترحات التي تتبع من المختبر حيث حدد (١٠٤) يتم وضع ميزانية مفصلة للعلم والتكنولوجيا على أن تكون مصادر التمويل كالتالي:

١. الدولة، يتم زيادة المصروف حتى تبلغ ١,٥ ٪ من الدخل القومي في خلال خمس سنوات، على أن يتم التركيز على العلوم الأساسية ورفع مستوى المعرفة أساساً بقاعدة علمية على أعلى مستوى، مع تشجيع ودعم البحوث التطبيقية والابتكار ودرءات الاختراع.

٢. الصناعة، يتم إنشاء صناعات تمويل البحوث التطبيقية والإنتاجية والابتكارات الخاصة بالصناعة على أن تتولى الصناعة بالتعاون مع وزارة البحث العلمي في وضع الأولويات المطلوبة للصناعة من منتجات جديدة وطرق إنتاج جديدة، خاصة المنتجات التي يمكن تسويقها إقليمياً وعالمياً.

٣. التمويل الدولي، هذا التمويل مرتبط بالانلاقات الدولية والبحوث والبرامج المشتركة مع الدول النامية والدول العربية أو الدول المتقدمة صناعياً والتي لها منفعة مشتركة مع مصر. وهناك العديد من الاتفاقيات التي يمكن أن تخدم سياسة وإستراتيجيات الدولة في مجال العلم والتكنولوجيا كما هو مشروح في الجزء الخاص بالتعاون الدولي.

إعادة هيكلة

البحث العلمي

هناك حاجة ماسة إلى إعادة النظر في هيكلة البحث العلمي، ويوجد أكثر من سيناريو يمكن دراستها بطريقة عملية وعلمية وصولاً لأحسن الأشكال التي يمكن أن تخدم الاقتصاد البلد في هذه الفترة. خاصة بعد تطبيق اتفاقية الجات، حيث سيتم تقييم المنتجات الصناعية والزراعية وحلاؤه وليس بعيد أن يتم تقييم مستوى التعليم الجامعي وتنظيمه مقارنة بباقي العالم.



هناك تجربة الكويت الرائدة

في هذا المجال. حيث يتم خصم ٢٪ من صافي أرباح الشركات الصناعية للصرف على البحوث والتطوير لحساب مؤسسة الكويت للتقدم العلمي (وكانت ٥٪ قبل عام ٢٠٠٠) في مواضيع تهم الصناعة المشاكسة في المقام الأول..



إعادة النظر في القوانين واللوائح المنظمة للتعيينات والترقي وهناك عدة نقاط يمكن أن تكون نقاطاً للبداءة: التعيينات، لا يمكن أن يستمر الحال على ما هو عليه أصبح عضو هيئة التدريس ضامناً لوظيفته منذ درجة المعيد حتى يتولاه الله دون أدنى محاسبة بحيث تحول عضو هيئة التدريس بالجامعات وعضو هيئة البحوث بمرامير البحث إلى موظف عام وليس رمزاً قدوة.

وأدنى محاسبة هنا هو الثواب والعقاب فيجب المحاسبة على الإنتاج العلمي دورياً، فإذا لا يكون التعيين يعقد لمدة محددة حسب الدرجة مثل كل الدول المتقدمة ولا يتم التثبيت إلا بعد الوصول إلى درجة علمية على المستوى العالي؛ فإذا لا يكون التعيين عن طريق الإعلان الفتح من مدرسين إلى أستاذ كما هو متبع في جميع دول العالم ومنها العربية والإفريقية بحيث يكون التعيين لأحسن المتقدمين بصرف النظر عن جامعاته الأصلية وهذه التجربة جارية حالياً تنفيذها بالجامعات الخاصة ولكن على استحياء. كما يجب أن يكون هناك على الأقل معكم دولي خارجي لكل مقدم للتعين.



الأستاذ المتصرف: لقد مر قانون الجامعات فيما يخص الأساتذة المتصرفين بعدة مراحل حتى صيغ التعديل الأخير منذ أربعة أعوام ومازال محل مناقشات. وهناك أكثر من اقتراح؛ مثلاً مع خدمة الأستاذة إلى سن السابعة والستين مثل الهيئة القضائية ثم الإحالة إلى المعاش الكامل مثل غالبية العالم أو سن الستين ثم أستاذ متصرف حتى السبعين كما هو متبع حالياً وهناك حلول أخرى يمكن دراستها من خلال قاعدة أعضاء هيئة التدريس وفي إطار عمل لتطوير التعليم العالي وليس على شكل حلول جزئية. وفي جميع الأحوال يجب أن تكون هناك فترة انتقالية قبل تطبيق أي نظام جديد حتى لا يتضرر أحد من الفترة البيئية. هل يعقل أن مديراً لم يترقى إلى درجة الأستاذية أو حتى أستاذ مساعد له الحق عند بلوغه سن التقاعد أن يتم تعيينه أستاذاً متصرفاً حسب التعديل الجديد في قانون الجامعات؟ هذا التمييز على عدم الإنتاج أو التحصيل العلمي مادام قد ضمن الوظيفة والتعيين أستاذاً متصرفاً (وحتى مديراً متصرفاً)!!

الترقيات، يقترح إعادة النظر في الترقيات على النحو التالي: إعادة النظر في المجالات المحلية التي لا يتم فيها أي تحكم واعتماد تلك التي لها معكم خارجي (دولي) Peer reviewed) وسلسلة ضمن المجالات العالمية ولها ملخص. الرجوع إلى نظام التحكيم الخارجي (دولي واحد على الأقل في كل درجة ترقى) في جميع درجات الترقية (خاصة أستاذ مساعد) إلى جانب الأخذ في الاعتبار مدى ذكر البحوث المنشورة كمراجع في البحوث العالمية (Citation index) وبالتالي المستوى العالمي للبحوث المنشورة.

وضع حد أدنى من البحوث المنشورة عند التقدم لأستاذ مساعد أو أستاذ (٦ و ٨ على التوالي) ما هو إلا تقليل من قيمة الأستاذية والتشجيع على أدنى إنتاج علمي، ثم كيف يتم توجيه الإنتاج العلمي بين التخصصات المختلفة؟ فلا يمكن مقارنة العلوم الطبيعية بالعلوم الإنسانية، كما لا يمكن مقارنة الكيمياء بالفيزياء داخل العلوم الطبيعية، فهناك تخصصات فريدة النشر عددياً وأخرى شحيحة العدد. لقد كان النظام القديم للترقية لا يضع حدوداً لعدد البحوث وكان الترقى بعدد ٢٠-٥٠ بحثاً شيقاً طبيعياً، وفي جميع أنحاء العالم لا حدود لعدد البحوث المنشورة عند التقدم للترقية. ومن الساحة القانونية فإن الإنتاج الكامل للباحث هو تعبير عن مستوى عمله وتحديد العدد



لقد وصل بنا الحال محزناً

إلى أن مصر من أقل ثلاث دول

عربية من حيث نسبة طلاب

الثانوية العام الدارسين للعلوم الطبيعية

حيث بلغت نسبتهم ١٨,٢% في عام ١٩٩٩،

تليها المملكة السعودية (١٦,٥%).

ثم اليمن (١١,٣%)



يعطى الخبز ونال البحوث فرصة حبيب ما يراه من بحوث مشكوك فيها. ألم يحس الوقت أن تصاف براءات الاختراع الموافق عليها (وليس المسجلة فقط) من ضمن متطلبات التعيين مثلاً مثل البحث المنشور وفي هذا تشجيع للتوجه للإبتكار وخاصة أن مدى التقدم العلمي للدول النامية يقاس بعدد براءات الاختراع التي تبلغ حوالى العشرين ألفاً كل عام في أقل الدول تقدماً بينما لا يتعدى عددها الخمسمائة في مصر وأكثر من ٩٠% منها من خارج البحث العلمي.

ولابد من إعادة النظر في دور الجامعات، حيث اختلفت وظيفة الجامعة الحديثة، فالتيه تعليم ليس الهدف الأود ولكن إنشاء أجيال جديدة قادرة على العمل والإنتاج بمجرد التخرج. وهذا سوف يتطلب فكراً جديداً في المقررات ونوعية التعليم وتكنولوجيا التعليم واحتياجات السوق من عمالة متخصصة إلى جانب رؤية مستقبلي للجامعات ودورها في خدمة المجتمع. والجامعات في الدول المتقدمة تحولت من جامعات تعليمية إلى جامعات تعليمية/بحثية لخدمة المجتمع في جميع التخصصات المطلوبة بناء على دراسات لاحتياجات السوق المحلية والعالمية (وهذا ينطبق على العلوم الاجتماعية). وفكرة إنشاء جامعات أهلية داخل الجامعات الحكومية فكرة ستؤدي إلى تدنى المستوى أكثر. فكيف يتم استيعاب كل هذه الأعداد الإضافية

بنصر الإمكانات ولتصاع أعضاء هيئة التدريس؟ وكيف نتعامل قانونياً مع نظامين تحت مظلة واحدة لا يميزهم غير الصباح والمساء؟ وهل سيتم معاملة الجامعة الحكومية الخاصة نفس معاملة الجامعات الخاصة؟ إلى يوجد هنا تصارب في المصالح ومن سيكون الحكم؟



الربط بين الصناعة والبحث العلمي.

بداية يجب أن ندرس أين نفتق ثانوية للصناعة في مصر. لقد مر على التكنولوجيا في الدول النامية بعدة مراحل، كانت المرحلة الأولى تسمى نقل التكنولوجيا ثم أصبحت نقل التكنولوجيا المناسبة نفس لنقل التكنولوجيا التي يمكن تحمل تكاليفها حتى وصلنا إلى عصر نقل التكنولوجيا المتكاملة، وهذا ينفع التصدي له بغير البحث وهناك خطر على نقل العديد من التكنولوجيا الاستراتيجية المتقدمة وهذا أن ينفع التصدي له بغير البحث العلمي الجاد والقادر على إنتاج التكنولوجيا المحلية الجيدة. إذا كنا قد بدأنا منذ بداية الثورة في إنشاء قاعدة عريضة للصناعة، فلماذا لم نحافظ على هذه الصناعة بالخاصة والصناعة والتحديث المستمر حتى وصلت معظم الصناعات إلى حال يرثى لها من سوء الإنتاج وأصبحت عبئاً على موارنة الدولة وعلى البيئة وفي كثير من الأحيان أصبح لها تأثير سلبي على صحة العاملين بهذا القطاع لموجود الأمان أو الوفاقية الكافية، وإذا كانت خصخصة الصناعة هي الحل، فنعم للخصخصة ولكن لا لبيعها لشركات الأجنبية. وليس هذا مجال الحديث في هذه التفاصيل ولكن يجب أن نصح في الحساب بأنه لا تقدم لمصر بدون صناعة مصرية وليست الصناعات الأجنبية التي لا تسمح بعمل البحوث والتطوير في مصانعها وعلى أرض مصرية بأي شكل من الأشكال وبالتالي لن تطور أو ننشئ صناعات مصرية جديدة، ولكن تعمل على حل للربط بين الصناعة المصرية والبحث العلمي فهناك الحلول التي يمكن أن نبدا بها.

بداية يقترح إعادة النظر في فصل وزارة قطاع الأعمال عن وزارة الصناعة. إلى جانب إيجاد

العلماء والتكنولوجيين المصريين العاملين في الخارج. ولقد اتجه لصر الاستفادة من علمائنا المغتربين من خلال مشروع بدأت هيئة اليونيدو تحت مسمى «نقل المعرفة» من خلال المصريين المختربين» (Tokten) وكان الهدف هو الاستفادة من معرفة وعلم هذه الطاقة البشرية في خطط التنمية المحلية على أن تنتقل أعمال المشروع تدريجياً إلى الدولة وقد تولت أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا هذه المسؤولية بعد انتهاء دور اليونيدو وللأسف تحول المشروع إلى جهاراستضافة لعلمائنا بالخارج دون تحديد دورهم في الخطط التنموية والاقتصادية للدولة.

والسبب الأساسي هو غياب خطة أو سياسة واضحة للبحث العلمي وعدم توزيع الأدوار أو الاستفادة من هذه الطاقة البشرية والتي عندها استعداد تام للعمل في أي عمل جاد وبنفعة للدولة. وقد عاصر هذا المشروع تطبيقه أيضاً من خلال اليونيدو في كل من الهند وتركيا والهند من الدول النامية، لكن العديد من تركيا استعادوا إلى أقصى درجة من هذا المشروع واستكملته بحيث أصبح أحد الأعمدة الأساسية لاستضافة من جبرأت علمائنا المختربين بالخارج حتى تاريخه. المحور الثاني هو التعاون الإقليمي، وقد أثبتت التجربة نجاح سياسيات في تجربتنا مع الدول العربية والإفريقية في مجال البحث العلمي. وليس المجال هنا تحليل أو دراسة هذه السياسات، ولكن أن نعبد ترتيب أوزانها وأن نبني على الإيجابيات مع محاولة إصلاح السلبيات في أمكن. فعلى المستوى العربي هناك منظمة أليكو (منظمة جامعة الدول العربية للتعليم والثقافة والعلوم) ومقرها تونس، كما أنشئت حديثاً المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا في أبريل من عام ٢٠٠٠ ومقرها جامعة الشارقة بالإمارات كما أن هناك اتفاقيات ثنائية بين مصر والعديد من الدول العربية والإفريقية ومنظمة أليكو تحاول جاهدة ولكن بدون فاعلية مؤثرة لعدم جدية الدول الأعضاء.

أما المحور الثالث فهو التعاون الدولي على مستوى أوسع، والاستفادة من الإمكانيات المتاحة بالدول النامية الصديقة. وهناك العديد من الهيئات الحكومية والخاصة التي تقدم المنح والقروض ولكن لم تستفد منها الاستفادة القصوى. وإذا درسنا الأنماط الموجودة في إدارة البحوث والتطوير فيمكننا استنباط التجارب والأنماط المفيدة وتكييفها لتلائم الظروف المحلية. ١١١

وجود طلب لها. والطلب هو التبسيط والتخفيف للعلوم عامة والرياضيات خاصة والأهم وضع نظام لتشجيع الطلاب على الإقبال على العلوم التطبيقية وبالتالي البحث العلمي في المدى البعيد. وهذا إن بنأى إلا من خلال منظومة متكاملة كما أشرنا في مواقع أخرى، إلى جانب تبسيط العلوم في المدارس وربطها بحياتنا اليومية إلى جانب إنشاء متاحف ومعارض للعلوم على مستوى تكنولوجي رفيع. وفي حالة وجود سياسات للعلم والتكنولوجيا، وبالتالي استراتيجيات تنبع منها خطط عمل وفرص عمل، فسوف نجد أن هناك سوقاً للعلماء العلمية والصنية تشجع الطلاب على تحصيل العلوم الطبيعية.

التعاون الدولي

إن التمسق والتكامل في البحث العلمي يعتبر عاملاً جوهرياً لتعظيم الاستفادة من الإمكانيات وضمان عدم التكرارية ووضع كل الطاقات البشرية في خدمة خطة وسياسات الدولة. وهذا من ضمن الدروس المستفادة من الدول المتقدمة صناعياً والدول النامية الواعية. وإذا كان للبحث العلمي أن يلعب دوره الأساسي في الاقتصاديات الدولة فقد أن الأول أن نستفيد من كل الطاقات البشرية المتاحة محلياً ودولياً. وهذا يتطلب التنسيق والتخطيط والتكامل على عدة محاور.

المحور الأول هو الاستفادة من

التوحيد القياسي لمنتجاتنا وهذا يتطلب إلى جانب النفاذ التي تم سردها تحت التعليم والتعليم العالي والبحث العلمي إلى وجوب إيجاد نظام للتعليم والتدريب المستمر على جميع المستويات والقطاعات كما سيطلب الاستفادة من العلماء المصريين بالخارج كأحد المصادر المهمة للتعليم ونقل المعرفة من خلال المشاريع والبرامج المشتركة. إن العلماء والمهندسين المصريين قوة لا يمكن تجاهلها. وصعوبة خطة قومية للاستفادة منهم في إطار السياسات والاستراتيجيات المقترحة سائلاً، وازدواج الجنسية لا يعني أن نستفيد من المصري المخترب وهناك العديد من الأمثلة الناجحة التي خدمت مصر في أكثر من موقع.



لقد وصل بنا الحال مؤخراً إلى أن مصر من أقل ثلاث دول عربية من حيث نسبة طلاب الثانوية العامة الدارسين للعلوم الطبيعية حيث بلغت نسبتهم ١٨,٢٪ في عام ١٩٩٩، تليها المملكة العربية السعودية (١٩,٥٪)، ثم اليمن (٢١,٣٪). ويجب علينا أن نحدد سبب عزوف الطلاب عن دراسة مواد العلوم الطبيعية والتي أدت إلى عزوف الطلاب عن التقدم لتكليات العلوم والزراعة هذا العام في مكتب تنسيق الجامعات. وإذا كان الأمر عرضاً وطنياً، فهذا أكبر دليل على تدهور الحال في سوق العمالة العلمية لعدم

رابط قوى بين الوزارتين وزارة الإنتاج الحربي ووزارة البيئة. وقد يكون الحل هو مجلس أعلى للصناعة يضم الوزارات الأربع إلى جانب ممثلي رجال الأعمال والقطاع الصناعي الخاص. لوضع السياسات والاستراتيجيات العمومية للصناعة.

➤ التمويل المشترك: وهذا يحتاج مهم في الربط بينهما من خلال مناديق خاصة للبحوث يشارك الجانبان فيها مع دعم حكومي ويشاركان في الخصخصة في حالة الابتكارات وتطبيق نتائج البحوث. وهناك تجربة الكويت الرائدة في هذا المجال. حيث يتم خصم ٢٪ من صافي أرباح الشركات الخاصة لتصرف على البحوث والتطوير لحساب مؤسسة الكويت للتقدم العلمي (وكانت ٥٪ قبل عام ٢٠٠٠) في مواضع تهم الصناعة المشاركة في المقام الأول.

➤ دراسة تبادل الكوادر العلمية. فهي الدول المتقدمة يمكنها لكسبار التكنولوجيا والتدريب والتدريس بالجامعات أو لاساتذة الجامعات تعيين في الصناعة مما نتج عنه نقل المعرفة في الاتجاهين وتوثيق التعاون بين الجهتين.

➤ التركيز على البحوث التطبيقية والابتكار للربط بين الصناعة والبحث العلمي. ➤ التدريب والتعليم المستمر وإعادة التأهيل على مستوى الباحثين والتكنولوجيين والكوادر الفنية. ➤ تحديث البنية الأساسية من المعامل البحثية بأحدث التجهيزات ووحدات الصيانة المدرية والوحدات نصف الصناعية متعددة الاستخدامات.

➤ تكوين الكوادر القادرة على إدارة البحوث والتطوير وتدريبها في الكليات العملية وعدم تقويض القيادة العلمية بدون التدريب على هذا النمط من الإدارة.

التنمية البشرية

التنمية البشرية من أهم الأعمدة التي تعتمد عليها أي دولة تقدمية في البحث العلمي ومعمود التنمية البشرية ينطبق على جميع المستويات بداية من طالب المدرسة والجامعة والخريج والباحث في المعمل والمصنع والكوادر الإدارية والكوادر الفنية وانتهاء بالمعامل. وأي تدريب سوف يرفع من مستوى العمل والأمان داخل المعامل والمصانع وبالتالي من نوعية ومستوى الإنتاج ليكون قادراً على المنافسة العالمية من خلال



في الدول المتقدمة يمكن
كبار التكنولوجيين التعيين
والتدريس بالجامعات أو لاساتذة الجامعات
التعيين في الصناعة مما نتج عنه نقل
المعرفة في الاتجاهين وتوثيق
التعاون بين الجهتين



أكلة لحوم البشر.. حقيقة أم خرافة؟!



المحترم مارفن هاريس في كتابه «أكلة البشر والبشر المألول» (١٩٩١) إن أكل لحوم البشر بين قبائل الأونك المسيكية كان طريقة للحصول على البروتين الذي كانوا بحاجة شديدة إليه.

بالنسبة للجمهور بصفة عامة، من ذا الذي يشك في أنه كان هناك، وربما لا يزال، صائدو بشر شرسون يأكلون فريستهم؟ فما زال أكل لحوم البشر يظهر في الروايات وأفلام السينما، في الكارتون الذي يمرض أشخاصاً يسلبون أحياء في قدر ضخم. ويظهر كذلك في الشكايات الخشنة، هل سمعتم عن أكل لحوم البشر الذي اختلط معه ابن عمه؟ أو أكل لحوم البشر الذي اعترف أن زوجته كانت كباب الحلة العظيم الذي أكله، وأنه سوف يتفدها؟ أو أكل لحوم البشر الكاثوليكي الذي كان يأكل الصيادين فقط يوم الجمعة؟ أو طبيب الأسنان الذي كان يشو أسنان أكل لحوم البشر بينما كان أكل لحوم البشر يأكله؟ أو أكل لحوم البشر الذي أبلغ للعلاج النفسي أنه سئم أكل البشر الوحيين سئل عن رأيه في العلاج النفسي قال «لنذبح»، ويجب ألا ننسى أكل لحوم البشر الذي كان يسير في الغابة ورم على حماته.

من بين القصائد الخماسية الشكاكية العديدة التي قرأته، أحب هذه القصيدة مجهولة المؤلف:

أحد أكلة لحوم البشر الشجعان من بنزانس/أكل عما واثنين من عماته/ وبقرة وإبنيه/ ولورا ونصفاً/ ولأن لا يمكنه زب بظلوله.



وكلمة أكل لحوم البشر cannibal مشتقة من Carib، وهو اسم شعب محلي في جزر الهند الغربية وأمريكا الجنوبية التقى به كولمبس. وصف كولمبس في يومياته الكاريب بأنهم أكلة لحوم بشر. لماذا؟ لأن هذا ما قاله له جيرانهم في قبيلة الأرواوا. كيف عرفت مارجريت ميد أن المتصور هو في غيبتي الجديدة أكلة لحوم بشر؟ قال لها ذلك «الأراضي العظيمة».

يوفق أرينز مئات الأمثلة المشابهة التي تنتم فيها إحدى الثقافات ثقافة أخرى بأكل لحوم البشر. فقد كان الصينيون القدماء يظنون أن الكوريين أكلة لحوم بشر. وكان الكوريين يظنون الشيء نفسه بالنسبة للصينيين. ولهم الأونك فرائهم الأسبان يأكل لحوم البشر. وكان الفاتحون، الذين كتبوا كل الكتب، هم بالتحديد مصدر الاعتقاد بأن الأونك

غيرها. وهو يؤكد أنه ما من عالم أنثروبولوجيا جدير بالاحترام، أو أي شخص آخر موثوق به، قد شاهد مباشرة وليمة لأكل لحوم البشر. وهو مقتنع بأن الخرافة نشأت من اتهامات غير مؤيدة ساقطتها إحدى الثقافات ضد ثقافة مجاورة مكروهة لديها. وكذلك الميشرين الذين يسلم خداعهم والأنثروبولوجيون السنخ الذين كانوا يتكلمون كل حكاية يروونها لهم السكان المحليين الودودين. لكن أية مراجعة عشوائية لكتب الأنثروبولوجيا المدرسية تبين أن معظم مؤلميها لا يسلمون فقط بأن أكل لحوم البشر كان واسع الانتشار في الماضي، بل إنه مازال قائماً بين القبائل البدائية في أفريقيا، وأمريكا الجنوبية، وعلى جزر أوشيانا. ويقول عالم الأنثروبولوجيا

بعد الانتصار العسكري، إما من باب الانتقام أو من قبيل الاعتقاد في أن من يأكلونه سوف يتكسبون قوة العدو. كما أنه ما من أحد يتكبر وجود السحابين المرص، حتى في الثقافات المتقدمة، الذين يرتكبون جرائم قتل ويأكلون صحابهم.



السؤال المهم هو: هل كان أكل لحوم البشر عادة شائعة في يوم من الأيام؟ الرأي المستقل الذي يعلنه أرينز هو أن هذا النوع من أكل لحوم البشر فولكلور محض. وقد اصطلحته رغبة إحدى الثقافات في أن تكون متفوقة على

يختلف علماء الأنثروبولوجيا الثقافية حول أشياء كثيرة. ولا يزال البعض منهم متمسكاً بالتقليد الذي يعارض إصدار أحكام قيمية على أية ثقافة. فهو على سبيل المثال يمنع عالم الأنثروبولوجيا من إدانة معاداة السامية الشارعية أو العنصرية الأمريكية، لأن كلاً منهما كان في يوم من الأيام مكوناً أساسياً من مكونات الثقافة. كما يمنع إدانة الممارسة المنتشرة حالياً في أفريقيا وغيرها الخاصة بختان البنات. وبينما يجد معظم علماء الأنثروبولوجيا المستنيرين أنه من المستحيل الدفاع عن هذه النسيبة، يؤمن بعضهم، كأنا رحلة مارجريت ميد، إيماناً قوياً بالقوى الخسارفة التي يرتكز عليها دارسو حوارق الشعور والخيالات، بينما تعتبر الفالسية العظمى من زملاتهم هذا كلاماً فارغاً.

تدور أحدث المناقشات، وربما أكثرها مرارة، بين الأنثروبولوجيين حول أكل لحوم البشر. فما زال أغلبهم مقتنعين بأن أكل لحوم البشر كان منتشرًا في الماضي وما زال قائماً في جيوب مستندة من العالم. وهم يتدافعون على أن الاعتقاد في مئات الأبحاث وفي كتب واسعة الانتشار مثل كتاب إيلي ساجان «أكل لحوم البشر» (١٩٧٤) وكتاب جاري هوج «أكل لحوم البشر والضحية البشرية» (١٩٧٣).

لكنني ألقية من الأنثروبولوجيين رأياً عكس ذلك. فهم مقتنعون بأنه لا توجد الآن، ولا فيما مضى، ثقافة تأكل موتاهها بشكل روتيني، أو تقتل أعداءها وتأكلهم. وكان النقاش يجري بعده حتى عام ١٩٧٠ إلى أن فخره ويليام أرينز عالم الأنثروبولوجيا بجامعة نيويورك في ستوني بروك. وكانت أداة التفجير هي كتابه «خرافة أكل البشر: الأنثروبولوجيا وأكل لحوم البشر». وقد نشرته لأول مرة مطبعة جامعة أوكسفورد في عام ١٩٧٩.

لا يتكرر أحد خلال طوائف الحياة والموت، مثل الجوع الشديد عقب غرق السفن أو سقوط الطائرات، أو أثناء المجاعات بالغة الشدة، قد يفضل الأفراد أكل جثث البشر على الموت. وليس هناك من يتكرر أن الشعوب البدائية كانت في بعض الأحيان تأكل جثة قائد الأعداء، الذي كانوا يخشونه في يوم من الأيام.

ظللت قضية «أكلة لحوم البشر» عصية على الفهم الإنساني فكيف تواتر إنسان الجارة على أكل لحم إنسان آخر حيناً كان أم ميثاقاً واختلف علماء الأنثروبولوجيا حول هذه المسألة التي اعتبرها البعض خرافة بينما أكد آخرون أنها ثقافة مرتبطة بمناطق معينة في العالم.

وقد تمجرت القضية مجدداً الشهر الماضي مع محاكمة خير كمبيوتو ألمانى اعترف بأنه أكل لحم أحد زملائه بادعاء أنه كان يرغب في ذلك.

هذا المقال يقدم تحليلاً ثقافياً عن هذه المسألة والجدل الدائر بشأنها.

«وجهات نظر»



عن مجلة: Skeptical Inquirer

ترجمة: أحمد محمود



2 من

بعد عامين من العمل في غيتا الجديدة، في العثور على دليل على أكل لحوم البشر

رغم وجود معارضي أريسر فقد اكتسب شكه الاحترام ببطء، وينقل أوزبورن في مقاله المشهور في مجلة «ليتنس» هراسكا، أن موسوعة الأنثروبولوجيا في طبيعتها لعام 1996 تنتهي في مادة أكل لحوم البشر إلى ما يلي «أكلة لحوم البشر، إلى حد كبير، شيء من اختراعنا، ويكتب بول فيل في موسوعة كامبردج للتطور البشري (1992): «أكل لحوم البشر العائلي أو المعتاد نادراً ولا يوجد له فليس هناك شهود عدول رأوا تلك الممارسة بأعينهم، وتعتمد كل التقارير تقريباً على الشائعات، وقد أثنى عالم الأنثروبولوجيا المرموق أثناسيوس موتشاجو، الذي طامسك في روايات أكلة لحوم البشر، على كتاب أرينز لثناء عظيم

وفي السنوات الأخيرة زعم علماء الآثار أنهم عثروا على أدلة على أكل لحوم البشر في شطاطا العظام البشرية الموجودة بين هياكل نياندرتال وفي مواقع الدفن في الثقافات القديمة الأخرى، ويعرض عالم الآثار تيموثي وايت من جامعة كاليفورنيا في باركلي في كتابه «أكلة لحوم البشر في مادييس فيما قبل التاريخ» (1991) أسباب افتقاده شطاطا العظام البشرية في ثلاث مدافن بوبيلو الهندية في ماتوكس كاليفورنيا وكولورادو

قال على أن هنود الأناساكي كثيراً ما كانوا يأكلون لحم البشر، وقد شبه أرينز بعض يؤسسون بأن الأرض مسطحة ويكرز كرويتا ليست تميمات وبست مقولة بين كل البحارة، وهم يحدون مسيرات غير أكل البشر فيما يتعلق بظروفهم ما يزيد على الألفين من شطاطا العظام التي عثر عليها، فربما تشير الشطاطا إلى ممارسات دني أو أن الحيوانات البرية أكلتها. وحتى إذا كانت تلك أدلة على أكل لحوم البشر، فمن الممكن أن تكون حسبت أجداثا منعدرة كانت وراءها المجاعة

وبما أنني لست عالم أنثروبولوجيا هائي أتردد في تيسر أحد الجاهليين في هذا الجدل شديد الحدة، وإن كنت متعاطفاً في الوقت الراهن مع أريسر، وربما كانت الحقيقة في مكان ما بين هذا وذاك، وقد يكون أكل لحوم البشر المعتاد أمر كثيراً ما يعتقد الأنثروبولوجيون الذين لهم مصلحة في تعزيز أدلةهم السابقة، ومن المحتمل ألا يكون أكل لحوم البشر خرافة كما يصرح أريسر. وقد يحين وقت لحل هذه المسألة

أكلة لحوم البشر. وحين كان أرينز هي طريقه إلى العمل الميداني في تنزانيا، أكد له السكان المحليون أن الأوربيين أكلة لحوم بشر، وهو يقول إنه ما من ثقافة في العالم ادعت أن أكل لحوم البشر من سماتها، فنادماً ثقافة أخرى هي المثمة.



تعود الإشارات الكلاسيكية الخاصة بأكل لحوم البشر إلى الأساطير اليونانية القديمة وعائلة «أوديسا» هوميروس دوى العين الواحدة، وقدم هيرودوت رواية سمعها من قبيلة من طوقوس، وساد اعتقاد «الندرواجي»، وفي المصور الوسطى أكل الكاثوليك اليهود بأكل الأطفال المسيحيين في طوقوسهم، وساد اعتقاد بأن الساحرات كذلك يقتلن الأطفال ويأكلنهم، والشيء الذي لا يصدق هو أن هذا الاعتقاد مارال قائماً حتى يومنا هذا بين بعض المتشددون الجبهة الدين تسيطر عليهم فكرة أن الطوقوس الشيطانية، ومن بينها أكل الأطفال، تحدث في أنحاء الولايات المتحدة!

وقد وصم المبشرون البيض الأوائل الهنود الحمر، وخاصة قبائل الإيروكوا في نيويورك بأنهم أكلة لحوم بشر، حيث كانوا يرون أنهم مترحشون قسرة لا عقل. وتقول الطمعة الحادية عشرة من الموسوعة البريطانية إن الموهوك، وهو اسم إحدى قبائل الإيروكوا، ربما يعني «أكلة البشر»، وليست هناك شذرة من الأدلة المؤقتة على أن الإيروكوا، أو أية ثقافة أمريكية محلية، كانت تمارس أكل لحم البشر العائلي.

كما كتب أنثروبولوجيون كثيرون عن أكل لحوم البشر بين سكان أستراليا ونيوزيلندا الأصليين. ففي بحث بعنوان «أكل لحوم البشر بين السكان الأصليين»، أجراه قسم الأنثروبولوجيا بالجامعة الوطنية الأسترالية، واكتمل في عام 1980، انتهت الدراسة لفضنية للأدلة إلى أنه لم يكن هناك وجود قط لأكلة لحوم البشر من السكان الأصليين.

وغالباً ما تتخلل أوصاف أكل لحوم البشر خيالاً غير قابل للتصديق، ويحك أرينز نقلنا عن مصدر ما، قوله عن أحد الأنثروبولوجيين أن أكلة لحوم البشر في أحد الشعوب هم جيمي نساء يمكنهن تحويل أنفسهن إلى طيور حين يريدن ذلك!

الشيء الغريب بشأن الأدبيات الكثيرة جداً عن أكل لحوم البشر هو غياب الروايات المباشرة. فلم ير الأنثروبولوجيون في الواقع طقساً من

مقوس أكل لحوم البشر. ولا وجود لصور فوتوغرافية لهذه الممارسة. ويقول أرينز إن أكلة لحوم البشر معناها دائماً، ولكن من حسن الحظ أنهم يتجاوزون إمكانية الملاحظة المباشرة فحسب



يلخص لورانس أوزبورن الجدل الساخن، بين الأنثروبولوجيين الذين يتفقون مع أرينز وأهلاً الذين يرفضون كتابه باعتباره لا قيمة له في مقال بعنوان: «هل يأكل الإنسان الإنسان؟»

كانت نتيجة هذه الضجة أزمة في قلب العلم، حيث أصدرت مدارس مختلفة من الأنثروبولوجيا، الثقافية والفيزيائية والأثرية، أحكاماً مختلفة اختلافاً جذرياً عما إذا كان الناس الآن، أو فيما مضى، أكلة لحوم بشر. ويكفي هذا لجعل البعض يتساءل إذا كان مكتوباً على تصالعات القائمة بين محالات الأنثروبولوجيا الفرعية أن تهازل تماماً رد أنثروبولوجيا الاتجاه العام على

كتاب أرينز ينسب القدر من العصب الذي أبدوه تجاه كتاب ديريك فريدمان يكف عن سداجة ميد في أخداه الخرافات التي رواها لها مخادعو ساموا، ويكيل الأنثروبولوجيون المعتات لأرينز في اجتماعاته، ووصف أصحاب عروض الكتب كتابه بأنه، خطير، وحاقد، وقد شكلت الجمعية الأنثروبولوجية الأمريكية لجنة خاصة لأكل لحوم البشر ونشرت الجمعية هجومها على أرينز في كتاب «أكل لحوم البشر»، الذي حرره باولا براون وودالو توريتش

وزعم دي كارلتون جادجوسيك الطبيب الحائز على جائزة نوبل لأبحاثه الخاصة بمرض هيروسي في غيبسا الجديدة، يعرف باسم «كوزو»، أن المرض نقله أكلة لحوم البشر في قبيلة فورت حين كانوا يتعاملون الجثث، واعتقاداً بأن الأدلة تنمّل أكلة لحوم البشر في غيبسا الجديدة، قال إن الرد على أرينز، أقل من قدرى وكلائتي، ومن ناحية أخرى، فشل ليل ستيديمان من جامعة ولاية أريزونا.

هل سمعتم عن أكل لحوم البشر الذي اختلف معه ابن عمه؟ أو أكل لحوم البشر الذي اعترف أن زوجته كانت كياب الجله العظيم الذي أكله، وأنه سوف يقتبدها؟ أو أكل لحوم البشر الكاثوليكي الذي كان يأكل الصيادين فقط يوم الجمعة؟



❏ قبل أن نتطرق إلى المطر في أفلام نجيب محفوظ، من داخلها للكشف عن أهميتها في تشكيل السينما المصرية يمكن اتخاذ الوقائع التالية بمثابة إشارات أولية دالة. نوعاً ما، على الحجم الكبير للعلاقة الطائفة التي تربط بين نجيب محفوظ والسينما، ومدى تشعبها

أو لا: نجيب محفوظ أول أديب عربي يكتب للسينما، كتب فيلمه الأول «معمرات عثرت وعيلة»، عام ١٩٤٥، وإن تأخر ظهوره لأسباب إنتاجية حتى عام ١٩٤٨، وظاهر قبله فيلمه «المتقم»، عام ١٩٤٧

ثانياً، هو أكثر الأدباء المصريين (والعرب عامة) إعمالاً في السينما وأكثرهم تنوعاً في إسهاماته. بلغ عدد أفلامه ٣٠ فيلماً، أخرجها حتى الآن سبعة أمير ١٩٩٢، منها ٢٥ فيلماً بين سيناريو أو قصة سينمائية مباشرة أو قصة وسيناريو معاً أو إعداد سينمائي، وبقية الأفلام إما مأخوذة عن قصة أو رواية من أعماله الأدبية

ثالثاً، تحتل أعماله في السينما مكانة فريدة، مكانة خاصة في تاريخ السينما المصرية (والعربية عامة). عندما حضر الناقد «سعد الدين توفيق»، أهم مائة فيلم في السينما المصرية ذكر منها ١٧ فيلماً تحمل اسم نجيب محفوظ^١.

بعد حوالي ربع قرن من هذا الإحصاء ارتفعت نسبة الأفلام التي تحمل اسم نجيب محفوظ ضمن أهم مائة فيلم في تاريخ السينما المصرية، ووصلت إلى ٣٣ أي ما يقرب من ربع أفلامنا المهمة وفقاً لما جاء في الاستفتاء الواسع بين النقاد والسينمائيين الذي أجرته إدارة مهرجان القاهرة السينمائي الدولي العنصري ونشره الاستفتاء في الكتاب التذكاري الذي أصدره المهرجان بمناسبة الاحتفال بـ ١٠٠ سنة لولادة نجيب محفوظ^٢.

رابعاً: نجيب محفوظ الأديب الوحيد الذي ارتبطت وفيلته الرسمية (لمدة طويلة) ارتباطاً مباشراً بالسينما. بدأت هذه العلاقة عام ١٩٥٩، واستمرت حتى إحاقته إلى التقاعد ١٩٧١، عمل خلال هذه الفترة مديرًا لفرقة ثم مديرًا لمؤسسة دهم السينما، ورئيسًا لمجلس إدارتها، ثم رئيسًا لمؤسسة السينما، ثم مستشارًا لوزير الثقافة لشئون السينما. وقد أتاح له ذلك أن يترك أثرًا قويًا في هذا الحقل. وإن كان الأثر الأثني والأهم يأتي عن طريق الأفلام موضوع دراستنا

السيد البهية:

في حديث خاص مع نجيب محفوظ يمكن عن بداية علاقته بالعمل السينمائي فيقول: عرضني صديقي المرحوم الدكتور هؤاد فؤاد بصالح ادو سيف، وطلب مني أن أشاركهما في كتابة سيناريو فيلم للسينما أخبرنا له فيما بعد اسم «معمرات عثرت وعيلة»، كان

صالح أبو سيف هو صاحب فكرة الفيلم وقد شجعتي للعمل معه أنه قرأ لي روايته «عثت الأفطار»، أوخمني بأن كتابة السيناريو لا تختلف عن كتابة عندما سألته عن ماهية هذا السيناريو الذي لم أكن أعرفه، والحقيقة تعلمت كتابة السيناريو على يد صلاح أبو سيف. كان يشترط لي في كل مرحلة من مراحل كتابته ما هو المطلوب مني بالتحديد. وبعد أن أعدته عرضه للمناقشة التي كان يشاركها فيها الدكتور هؤاد فؤاد فؤاد ومعه عبد العزيز سلام كاتب الحوار والأغاني^٣.

وأسأل الأستاذ نجيب^٤، هل كنت تكتمني بتوجيهات صلاح في كتابة السيناريو أم لجأت لوسائل أخرى لتطوير إمكاناتك في الكتابة للسينما؟ نجيب الأستاذ: أمدني بعد ذلك صلاح أبو سيف بعدد من الكتب عن السينما كما أنني اشتريت ما كان متاحاً منها وقتها. وأسأله: هل كان لك اهتمام خاص بالسينما قبل العمل بها؟ نجيب الأستاذ: كنت مجرد متفرج وتابع الأفلام لانتعج بمشاهدتها وخاصة الأفلام البوليسية والكوميدي

علاقة متطورة:

إذا ما تأملنا أعمال نجيب محفوظ السينمائية نجد أنها مرت بأربع مراحل متمايزة وإن تداخلت أحياناً. المرحلة الأولى: مرحلة الكتابة للسينما، وتتمتع ما بين كتابة القصص للسينما أو السيناريو أو كليهما معاً. أو الكتابة عن أعمال أدبية لغيره تبدأ هذه المرحلة بفيلم «معمرات عثرت وعيلة»، ١٩٤٥ السابق الذكر، وتنتهي لمدة ١٥ سنة إلى فيلم «جميلة الحزينة»، ١٩٥٩. وإن كانت نوعية إسهام نجيب محفوظ في هذه المرحلة قد امتدت إلى أعمال أخرى متناثرة بعد ذلك إلا أنه خلال هذه المرحلة ظل إسهامه متصوفاً عليها. ولم يحاول من جانبته تحويل عمل من أعماله الأدبية إلى عمل سينمائي، الأمر الذي حافظ عليه على حياته. كما لم تقترب السينما من أعماله الأدبية إلا فيما بعد.

أسأل الأستاذ: قامت السينما المصرية بمحاولات عديدة في تحويل الروايات إلى أفلام بداية من فيلم «زيت»، الصامت ١٣٠٠ الذي أعيد إنتاجه ناطقاً ١٩٥٢، قدمت أفلاماً لأعمال أدبية لعدد كبير نسبياً من الأدباء أمثال توفيق الحكيم وطلح حسين ويوسف السباعي وأحسان عبد القدوس ومحمد عبد الحليم عبد الله وغيرهم وشاركت أنت بنفسك بتحويل روايتي أحسان عبد القدوس «الطريق السود»، وأنا حرة، إلى فيلمين عامي ٥٩ على التوالي. لذا لم تفكر بداية في كتابة سيناريو عن رواياتك في هذه المرحلة التي أحرقت فيها كتابتي السيناريو؟

أجاب الأستاذ: أنا أرفض مبدأ أن

أقوم بكتابة سيناريو لأي عمل من أعمال الأدبية. استغرقني في كتابة العمل الأدبي وحرصني عليه بحرصني حرية التصرف التي يتحلى بها الوسيط الحديدي. وقد يؤدي ذلك إلى إفساده. فتركته هذه المهمة للعبر.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة الرواية، وفيها تميّزت السينما المصرية إلى الإفادة من أعمال محفوظ الروائية في تقديم مجموعة من أفلامها. ويمثل فيلم: «بداية وفيلته»، ١٩٦٠ بداية هذه المرحلة التي امتدت بمدة متصلة لمدة ١٤ سنة حتى فيلم «السكرة»، ١٩٧٣، شملت ١٣ فيلماً عن روايات محفوظ. وإن امتدت هذه النوعية من الأفلام في المرحلتين التاليتين في أفلام متناثرة لا تشكل كثافة غالبة

وأسأل الأستاذ: من الملاحظ أن السينما المصرية لم تحرر على الاقتراب من أعمالك الأدبية إلا متأخراً عام ١٩٦٠ رغم وجود هذه الأعمال قبل ذلك بكثير من ٢٠ سنة. كما كان للسينما المصرية محاولات ناجحة في تحويل أعمال أدبية أخرى إلى أفلام كما سبق ذكره، لماذا تفسر هذا التأخير في الاستفادة من أعمالك الأدبية في السينما المصرية؟

أجاب الأستاذ ببساطة شديدة: كان السينمائيون ينظرون إلى أعمالنا الأدبية باعتبارها أدباً لا تصلح للسينما

واستدرك بقوله: ولعلكم عندما جاني المنتج لشراء حق تحويل رواية «بداية وفيلته» إلى فيلم لم يكن قد قرأ الرواية وإنما طلبها عقب استماعه لسلسلة إذاعي كان مأخوذاً عنها أعده أحمد عباس صالح.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة مختلطة تدخلت فيها المرحلتان السابقتان، كما تظهر فيها ملامح المرحلة الرابعة التي تعتمد على قصص محفوظ القصيرة. تبدأ بأول فيلم مأخوذ من قصة قصيرة «صور»، ١٩٧٢ وتنتهي بـ ٧ سنوات فقط حتى فيلم «البحر»، ١٩٧٨ لتشمل ٩ أفلام تنوعت فيها إسهامات محفوظ من بين الكتابة للسينما أو الرواية أو النص القصيرة.

أما المرحلة الرابعة: فهي مرحلة الاعتماد الكثيف على قصص محفوظ الأدبية القصيرة المنشورة، تبدأ بفيلم «الشرقية»، ١٩٨٠، ويعتمد تقديراً الأفلام مأخوذة عن القصص القصيرة وحدها بشكل مطلق أو يكاد، حيث يتم إنتاج ١٥ فيلماً منها خلال ٩ أعوام فقط، آخرها فيلم «أصدقاء الشيطان»، ١٩٨٨.

لقد اكتملت هذه المراحل التي امتدت حتى حصول محفوظ على جائزة نوبل ١٩٨٨. بعد حصوله عليها ظهرت ٤ أفلام فقط اعتمد أثنان منها على الرواية هما «قلب الليل»، ١٩٨٩، و«ليل وحوش»، ١٩٩٠، واعتمد الفيلمان الآخران على القصة القصيرة «ثور العيون»، ١٩٩١ و«سمارة الأمير»، ١٩٩٢.

نجيب محفوظ في السينما المصرية

هاشم النحاس

من العرض السابق للمراحل المختلفة التي مرت بها إسهامات محفوظ هي إبداع الأفلام الروائية المصرية. نجد أن هذه الإسهامات تتمركز حول ثلاثة محاور محددة، أولها الأفلام التي انضمت على كتاباته المباشرة للسينما (القصة/ السيناريو/ الإهداء السينمائي). وشملت هذه الأفلام المرحلة الأولى تماماً مع امتدادها بعد ذلك في أعمال متفرقة وثانيها: ما اعتمد على رواياته وشملها أفلام المرحلة الثانية، وامتداداتها المتفرقة فيما بعد. وثالثها، ما اعتمد على قصصه القصيرة المنشورة التي شملت المرحلة الرابعة أساساً وإن بدأت قبلها. ويمكننا التعرف على أفلام كل محور منها وتقويمها، تحميذاً لدور محفوظ الإبداعي في هذا المجال. على النحو التالي:

أعمال كتبها لسينما

أبرز أفلام هذا المحور مجموعة الأفلام التي أخرجها صلاح أبو سيف وحقق بها نقلة نوعية بالنسبة إلى ما سبق من أعماله، وفيها تميزت شخصيته الفنية التي حافظ عليها فيما بعد مع منحه دوره الريادي في السينما المصرية ومن ثم إذا كان صلاح أبو سيف قد علم تحييد محفوظ العنيفة، على نحو ما سبق ذكره، فقد منحه نجيب محفوظ الشخصية والأفلام المقصودة هي الأفلام الستة التالية:

أولها: فيلم «لقد يوم يا ظالم»، ١٩٥١، قصة الفيلم مقتبسة عن رواية «ثورير راكان» للكاتب الفرنسي إميل زولا. بين يدي محفوظ فُتحت القصة بملاحم الأجنبي تماماً وأصبحت مصرية لهما ودماً من خلال الشخصيات، والحارة والحمام الشعبي، حيث تدور أجزاء كبيرة من الأحداث التي تهكي لنا عن محاولة ثورير الاستيلاء على زوجة صديقه وأمواله بعد قتله.

أما فيلم «ريا وسكينة»، ١٩٥٣، فقد كتب له محفوظ القصة والسيناريو عن حادثة واقعية لأمرأتين نشرتا الرعب يوماً بالإسكندرية، حيث كانتا تستدرجان النساء إلى بيتهما لقتلهن والاستيلاء على حليهن. وكانت المحاولة الأولى في السينما المصرية، أن يستمد الفيلم موضوعه من حادثة واقعية، ثم كررها محفوظ بعد ذلك أكثر من مرة. وكان بهذا رائداً في السينما المصرية

وكما استمد محفوظ قصة فيلمه «ريا وسكينة» من حادثة واقعية بالإسكندرية، استمد قصة فيلمه التالي «الوحش»، ١٩٥٤، من حادثة واقعية بالصعيد، وكتب لها السيناريو عن السفاح الصعيدى الذى عرف باسم (الخطا)، وقد روح



الصعيد بجرائمه وهرس إرادته على الناس وأهلك الشرطة قبل أن يقع في يدها. عرض الفيلم في مهرجان كان ١٩٥٤. ونال شهادة تقدير من لجنة التحكيم.

واعتمد فيلم «العروة» أيضاً على قصة واقعية، هي قصة «زيمان» ملك سوق النخسر، الذي احتكر السوق واستاعل على تحقيق اطماعه بالمش والرشوة واستعاض بالفساد. شارك محمود في كتابة السيناريو الذي كان من أنصع أعماله مع صلاح في هذه المجموعة إن لم يكن انضمامه بالمش. تميز بشدة تماسكه الحكمة بين الأحداث وحدة الصراع وقوة بناء الشخصيات ذلك فضلاً عن نهائيه الجديدة المستغرة في السينما المصرية. حيث يتكرر في نهايته الفيلم نفس مشهد البداية، مما يوحي أن دور الأحداث وعوامل الفساد ستظل قائمة طالما ظل البناء الاجتماعي/ الاقتصادي الذي يقرضها قائماً. وقد عرض الفيلم في مهرجان برلين ١٩٥٧. واشترك في أسبوع الفيلم العربي في الاتحاد السوفيتي ١٩٥٨.

وشارك محمود في كتابة سيناريو فيلم شباب امارة، ١٩٥٥. الفيلم دراسة نفسية واجتماعية لامرأة من الطبقة الشعبية على مشارف خريف العمر تتشوق شاباً ريفياً جاء للدراسة في القاهرة. الشخصية الاجتماعية للامرأة (إيت لبلد) هي تعبيرها عن رغباتها الجنسية كما قدمها الفيلم جاءت على صورة غير معهودة في السينما المصرية التي كانت تسودها صورة المرأة السلوب أو المرأة المستتبكة بالمش. أو بتظاهرها لخلق مكرها.

وكان اخرهده المجموعة تجربة فريدة من نوعها في تاريخ السينما المصرية. هي تجربة فيلم «بين السماء والأرض» ١٩٥٨ حيث تجرى معظم أحداث الفيلم داخل مصنع، تعطل نهر فيه من منتصف الساعة بين دروبى مثلث التحريم من الناحية التجارية وقت انتاجها ولدا لم تنكر. بينما قوبلت بتقدير من النقاد والجمهور عندما عرض الفيلم هي التلميزيون بعد أكثر من عقد. وقد مثلنا الفيلم في أسبوع في يوغوسلافيا. ١٩٦٠. كتب محمود لهذا الفيلم القصة السينمائية فقط. ومحمود أول من كتب القصة السينمائية في مصر. فبيل لم يقنع هناك اعتراف بوجود القصة السينمائية باعتبارها عملاً فنياً مستقلاً. كانت تأتي ضمن السينيودون ادراك لأهمية استقلالها. ومن ثم كانت كتابته للقصة السينمائية عملاً رائداً في هذا المجال. وقد منحها بجمله القيمة المسجلة لها.

وقد أصبحت هذه الأفلام الستة التي أخرجها صلاح أبو سيف وشارك محمود في كتابتها من كلاسيكيات السينما المصرية.

والى جانب هذه المجموعة من الأفلام نجد مجموعة أخرى من ستة أفلام أنشأ



**قبله لم يكن
هناك اعتراف بوجود
القصة السينمائية
باعتبارها عملاً فنياً
مستقلاً. كانت تأتي
ضمن السينيودون
ادراك لأهمية استقلالها.
ومن ثم كانت كتابته
للقصة السينمائية
عملاً رائداً في
هذا المجال**



مما شارك محفوظ في كتاباتها وتحمل بصمته. وإن جاءت بدرجات متفاوتة. وقد أخرجها آخرون غير صلاح أبو سيف. ثلاثة منها أخرجها عاطف سالم وهي: «جلوني مجرماً» ١٩٥٤، «النمرود» ١٩٥٦، و«الحاوية» ١٩٥٩.

تتفق الأفلام الثلاثة في أنها تتناول شخصيات تنفع بها طرفوها الاجتماعية إلى الانحراف. وكتب محفوظ القصة والسيناريو لفيلم «هتوات الحسينية» ١٩٥٤. أخرجها نيازى مصطفى. الفيلم يقدم صورة لأهل هذا الحي الشعبي في عصر القنات. ونوع القيم التي تحكم العلاقات فيما بينهم. وكما سبق أن كتب محفوظ الأولى «النمرود» على أنه كوميدى، كتب أيضاً قصة وسيناريو فيلم «درب المهابيل» ١٩٥٥ ليكون فيلماً كوميدياً. البطل في هذا الفيلم هو الدرب نفسه بما يعج به من شخصيات. تنعرج عليها من خلال حادثة طريق لورقة لا تصيب بشرايين عامل شاب أملاً في أن تحل أزمتهم ويتزوج من طبيبتهم. لكن الورقة لتسقط بفعل الصائفة إلى المنيوب في الدرب. ويحدث أن تريح الورقة. فيكاد الشاب أن يعقد صوابه، وأهل الدرب يحيطون المجنوب بالاهتمام. وكل منهم يحاول أن يستولى منه على الورقة. وأخيراً يلتهم قطعة الماعز الأرواق المالية التي حصل عليها المجنوب طرفة الجافزة. وكان خلفه حجاب مهتز.

وكان فيلمه «الهزاية» ١٩٥٨ إخراج حسن زكى. عودة إلى غلبة الأحداث الميلودرامية وإن انتهى نهاية سعيدة تجمع بين البطل والبطلة. والبطلة تهرب من قريتها حتى لا يزوجوها من ابن عمها الذي لا تحبه. لكن الطبيب الذي يوليها في القاعة يتحدى عليها يوماً ما ثم يذهب للدراسة في الخارج فتتجلبأ للعمل لتربى طفلها. ولكن الطبيب يعود في النهاية ويبحث عنها حتى يجدها ويتزوجها.



ومن الأفلام المتميزة التي ترتبط بهذا المحور وإن جاءت متأخرة في المراحل التالية فيلم «الذئبون» ١٩٦٧ إخراج سعيد مرزوق. كتب له محفوظ القصة السينمائية. الفيلم يقدم صورة نقدية حادة لما وصل إليه المجتمع في السبعينيات مع الانفتاح الاستهلاكي من تقنى الرشوة والاستغلال والتكاليف على الثراء السريع والحصول على التهمة والمظاهرة. وذلك من خلال مجامعات كبيرة من الشخصيات تمثل قطاعات مختلفة من المجتمع يجري معهم التحقيق لتواجههم في الحفل الذي أقامته المثلة ليلى مقلتي.

ويدخل ضمن هذا المحور أيضاً من أعمال محفوظ السينمائية في مرحلتها الأولى كتابة السيناريو لفيلمين عن

روايات للكاتب إحسان عبد القدوس هما «الطريق المسدود» ١٩٥٨. وأنا حرة، ١٩٥٩. غير أن لا للتح مع العاملين السمات الشعبية الغالبة على أعمال محفوظ الأخرى في نفس المرحلة التي يدور معظمها في الحارة ويلعب الأدوار الرئيسية فيها أبناء البلد. وأسأل محفوظ عن اعتقاد المتفرج للفيلم المحفوظية في هذين العمليين. فيجب، مع روايات إحسان تحول نجيب محفوظ إلى البرجوازي الذي يعيش مع إحسان في شارع واحد. ثم إن أعماله ليست كلها في الحارة. واره، كان ذلك فيما بعد أي ما بعد الثلاثية. يعترض محفوظ: وماذا عن رواياتي الأولى عن الفترة المروغونية. هل كانت تدور في الحارة؟ (يضحك)

أواصل السؤال: كيف كنت تختار موضوعات أفلامك في هذه المرحلة بالذات؟ فيجاني بصراحته المعهودة: الآخرين هم الذين كانوا يختارون الموضوع. والسيناريو الذي أتفق عليه أكتبته كنت أعلم في كتابة السيناريو كمحترف يؤدي حرفة.

أفلام عن رواياته،

بدأت السينما المصرية في الاستعانة بروايات محفوظ منذ عام ١٩٦٠. وكان فيلم «بداية ونهاية» الذي يحمل نفس عنوان الرواية. كتب سيناريو الفيلم صلاح عز الدين وأخرجها صلاح أبو سيف. وعن الأفلام التي أعدت عن أعمال أدبية فهو محفوظ، «من حسن حسبي أن جميع الأفلام التي أخذت عن كتبي أحرزت نجاحاً كبيراً. وقد استجبت لها رغم كل ما قبل عنها. ليس هناك انقطع من قبل عن فيلمي قصر الشوق وبين القصرين. ومع ذلك سعدت بهما جداً وأنا راض عنهما تماماً». وما زالت شخصيات مثل السيد أحمد عبد الجواد، وأمينه، مضرب الأمثال بشأن العلاقة بين الزوج والزوجة في الأسرة المصرية. خلال عقد الستينيات تم عرض ١١ فيلماً اعتمدت على روايات محفوظ. وسملت عناوينها فيما عدا واحد منها فقط هو «القاهرة ٢٠» عن رواية القاهرة الجديدة. من بين أفلام هذا العقد توجد تجربتان رائدتان كتماذج على الأمانة في ترجمة النص الأدبي والحفاظ على روح الرواية المحفوظية. وهما «بداية ونهاية» و«الحاوية».

وفي نفس هذا العقد كان لصلاح أبو سيف تجربة أخرى لها أهميتها مع رواية أخرى أحصوها هي رواية القاهرة الجديدة التي حولها إلى فيلم القاهرة ٢٠. عام ١٩٦٦. اكتفى الفيلم بتقديم شخصية واحدة من الشخصيات الرئيسية الثلاث التي تدأولتها الرواية. استقط تماماً شخصية اليمينى المتدين وقصص دور شخصية الوطنى اليسارى وركز على شخصية «محبوب» الانتهازية

إبراز ما وصل إليه المجتمع المصري من نهضة وفقر وفوارق طبقة شاسعة في الستينيات.

ومن الأفلام التي تستحق التتويه هي هذا العقد فيلمان من إخراج كمال الشيخ وعما والكس والكلاب، ١٩٦٣، وميرامار، ١٩٦٩، تميز الفيلمان بقصد النظام القائم ورسوره. الأول منهما يستير أولى المحاولات السينمائية المصرية في هذا الاتجاه. وفيه يكشف عن الانتهازي مدعى الاشتراكية الذي يدفع اللص الصغير إلى ارتكاب جرائمه باسم العدالة، ثم يتخلى عنه بعد أن أصبح رمز المجتمع. ويحاول استغلال نفوذه لتحرير المجتمع ضده. لكن الفيلم الثاني، ميرامار، وإن احتفظ بإدانة الرواية لشخصية الانتهازي عضو الحزب الوحيد الحاكم، وقد حقق ذلك بجدارة. إلا أنه نرا بعض الشخصيات التي أضافها الرواية وبشئ بعض الرموز الاجتماعية السياسية لجمع ما قبل الثورة. ومع قدوم السبعينيات كان هناك تغيير ملحوظ في التعامل مع أعمال محفوظ الأدبية. فقد أصبحت، في عمومها، أكثر نضجاً من ناحية المستوى السينمائي والافتقار من روح النص. أما من الناحية الكمية فقد أخذ الاعتماد على الرواية يتسارع ليصل لمحلته تدريجياً الاعتماد على القصة، حيث بلغ عدد الأفلام المأخوذة من أعمال محفوظ الأدبية ١١ فيلماً اعتمد منها على رواياته ٦ أفلام والباقي اعتمد على قصصه.

من بين هذه الأفلام، يمثل كل من «الحب تحت المطر»، ١٩٧٥، والكرنك، ١٩٧٥، نجاحاً من أرقى مستويات النجاح السينمائية لروايات محفوظ. الأول كتبه محمود الحيثي، والثاني شارك في كتابته مع صلاح جاهين.

«الحب تحت المطر»، إخراج حسين كمال يكشف عمق في لغة سينمائية رفيعة من معاناة الشباب وما أصابه من الهيار بوقوع لكسة ١٩٦٧. ويتميز الفيلم عن كل ما عداه من افلام تناولت مواضيع مماثلة بميزتين، الأولى أنه تجنّب استخدام مشاهد الإشارة الجنسية المعهودة رغم أنها كانت متاحة، هجر عنها ولم يبتذلها. والميزة الثانية والأهم أن الشباب رغم سقوطهم تحت ظروف الروح الاقتصادي الساحق وهبوط الروح المعنوية بسبب الازمة والهباء مثل وفقدان القدرة لم يصعب الحزب. فهو يرهب السقوط وبيدته ويقاومه دون خطابة، ويكتشف بنفسه طريقه للخلاص.

وعن معاناة الشباب أيضاً في مرحلة سبق، يجسد، إخراج علي بدرخان ما جاء في الرواية من تلميق للثمن وتعذيب بشع وتحطيم للكرامة الإنسانية في نفوس الشباب، باسم الحفاظ على الأمن والحفاظ على الثورة. الفيلم، كما الرواية، نقد حاد للسلط والدكتاتورية والبوليسية حير تتحكم في مصائر الناس.

العدد الستون. يناير ٢٠٠٤ م

ورغم أن عدد الأعمال المنسوبة إلى محفوظ بلغت ثروتها في الثمانينيات حيث وصلت ١٨ فيلماً. إلا أن الأفلام المأخوذة عن رواياته تراجعت إلى حددا الأدنى حيث بلغت ثلاثة أفلام فقط هي عصر الحب، وعصمه عار، في العام نفسه ١٩٨٦، وقلب الليل، ١٩٨٨. ويمكن أن ننضيف إلى هذه المجموعة، ليل وخونة، الذي ظهر ١٩٨٠. وكان آخر الأفلام المأخوذة عن روايات محفوظ حتى الآن، من بين هذه الأفلام الأربعة أخرج اشرف فهمي فيلمص هما ووصمة عار، وليل وخونة، قدم من خلالهما تجربتين جديدتين لا ينقصهما الجراءة في تناول روايات محفوظ، كان كل فيلم منهما محاولة لتقديم ترجمة جديدة مختلفة لرواية سبق تحويلها إلى فيلم يحمل نفس عنوانها. فالفيلم الأول، ووصمة عار، عن رواية الطريق التي سبق أن أخرجها حسام الدين مصطفى نسيل العنوان عام ١٩٦٤، والفيلم الثاني، ليل وخونة، عن رواية اللص والكلاب، التي سبق أن أخرجها كمال الشيخ عام ١٩٦٣. ويمثل فيلم قلب الليل، إخراج عاطف الطيب إحدى المحاولات السينمائية المصرية الجريئة في تناول رواية ذات طابع فلسفي حيث يصعب ترجمة تأملات الشخصية الرئيسية وصراعاتها الداخلية إلى صور وأفلام الشخصية الرئيسية تمثل في ثروتها خلاصة تطور الإنسان من الخرافة إلى المنطق العقلاني مروراً بالأسطورة والدين.

أفلام عن القصص القصيرة

كان علينا أن ننتظر حتى أوائل السبعينيات يظهر أول الأفلام المأخوذة عن قصة قصيرة من قصص محفوظ وهو فيلم صورة، إخراج مكرم نabil من قصة بنفس العنوان من مجموعة، خمارة القط الأسود، يستغرق الفيلم ٦٠ دقيقة ويمثل الجزء الثالث من فيلم «صورة ممنوعة» ١٩٧٢. وفي نفس العقد ظهر الفيلم الاستعراضى «أميرة حبي أنا» ١٩٧٢ إخراج حسن الإمام عن قصة من مجموعة المراهي.

ويعتبر عقد الثمانينيات هو عقد الغزوة في عدد الأفلام المأخوذة عن قصص محفوظ (١٥ فيلماً). واستكمالاً لأفلام هذا المحور يمكن أن ننضيف فيلمان، دنور العيون، ١٩٩١، وكروان حسين كمال، وسمارة الأمير، ١٩٩٢ إخراج أحمد يحيى، باعتبارهما آخر ما تحول من قصص محفوظ إلى أفلام سينمائية حتى الآن.

سنة أفلام من بين هذه المجموعة مأخوذة عن حكايات المرحم الفارسي، وحدها. الأفلام هي «شهد الملكة»، ١٩٨٥، «الطارد»، ١٩٨٥، «الثوب والتوبة»، ١٩٨٦، «الحرافيش»، ١٩٨٦، «الجوع»، ١٩٨٦، و«أصدقاء الشيطان» ١٩٨٨) يضاف إلى



**من حسن حظي أن
جميع الأفلام التي
أخذت عن كتبي أحرزت
نجاحاً كبيراً. وقد
استجبت لها رغم
كل ما قيل عنها.**

**ليس هناك أضع مما
قيل عن فيلمي قصر
الشوق وبين القصرين.
ومع ذلك سعدت بهما جداً
وأنا راضٍ عنهما تماماً**



هذه الافلام الستة أربعة أفلام أخرى مأخوذة عن قصص في مجموعات أخرى غير مجموعته الحرافيش لكن أحداها تدور في عصر الفتوات والحرافيش لتصبح ١٠ أفلام يجمع بينها نفس الشخصيات والقيم السائدة. وهذه الأفلام الأربعة هي «فتوات بولاق» ١٩٨١، «الشيطان يعظه» ١٩٨١، «وكالة الملح» ١٩٨٣، «دنور العيون» ١٩٩١.

معظم هذه الافلام انتمت (مدرجات متساوية) عن مغزى القصة. أو جاء صعباً في تنفيذها من حيثها في رأيي. فيلمان هما «الشيطان يعظه» إخراج اشرف فهمي، و«الجوع» إخراج بدرخان

خارج نطاق افلام الحرافيش والفتوات التي سادت عقد الثمانينيات. نجد، من الافلام المأخوذة عن قصص محفوظ افلاماً تدور أحداثها في نفس زمن إنتاجها أو قريباً منه. وتناقش بعض مشاكلنا المعاصرة. ثلاثة منها جديرة بالانتباه هي على التوالي، «أهل القمة» ١٩٨١، «أوبوب» ١٩٨٤، و«الحب فوق هضبة الهرم» ١٩٨٦.

«أهل القمة» إخراج علي بدرخان يمثل المحاولة الأولى لنفس مخرج «الجوع» في الحفاظ على المتنى مع القدرة على توسيع العمل بزيادة من التفاصيل والتأثيرات الدرامية. بالإضافة والتفسير في الشخصيات والأحداث والأماكن. وما يدعهم الحسى. ربما. أكثر من الأصل الا انهم نفس ويتميز فيلم «أوبوب» إخراج هاني لاشين بتعبير سينمائي سلس الترم بالأمانة في ترجمة أحداث القصة ومضمونها

أما «الحب فوق هضبة الهرم» إخراج عطف الطيب فيقدم مناقشة جريئة بالصورة وأحوال لشكلة الحب والرواج عند الشباب في عصر التسخيم والانفتاح. استمد الفيلم من القصة كل متطلباته تقريباً: الحدث الرئيسي والحبكة العنصرية والحوار في ذواته الهمة والخاصة، وحافظ الفيلم على القصة مبنى ومعنى

بصمة محفوظ

رغم اختلاف مخرجى الافلام التي شارك محفوظ في ابداعها. ورغم اختلاف نوعية مشاركته فيها. إلا أن الافلام انتمت في مجملها والجيد منها على وجه الخصوص، سمات مميزة. أضفت عليها بصمة خاصة. وإن كانت تلتشر فيها بدرجات متفاوتة. ولم تكن هذه الصمة جامدة. وإنما تطورت بتطور مشاركات محفوظ وتوسعا. وتماثلت. إلى حد كبير. المراحل التي مرت بها بصمة السينمائي مع تطورات كتاباته الأدبية. وتكثفت سمات صمته عن نفسها في كل من

الزمان والمكان والشخصيات

واسلوب المعالجة على نحو ما يتبين لنا فيما يلي.

١. الزمان

كما بدأ نجيب محفوظ أعماله الأدبية بروايات تاريخية تدور أحداثها في الماضي البعيد، أحبس، وراوي، وسيس، وبعث الأقدار، كان أول فيلمين كتب لهما السيناريو تدور أحداثهما في عصر تاريخية سابقة وهما فيلمًا «الانتميم، ١٩٤٧، ومغامرات عنتر وعبيدة، ١٩٤٨. وكما انتقل محفوظ في أعماله الأدبية التالية إلى معالجة موضوعات تدور أحداثها في النصف الأول من القرن العشرين، كذلك كانت أفلامه التالية التي تتناول أحداثًا تدور في القرن العشرين، ومنها ما استمد مادته من وقائع معينها حدثت في هذا العهد مثل، «ريا وسكينة، والوشح، والفتوة»، وأحدثا التلامذة، يستلكن من ذلك فيلمًا «الطريق المسود، ١٩٥٨، وأثناءه، ١٩٥٩، اللذان أعدهما من روايتي أحسان عبدالقدوس، حيث يتألفان قصصا معاصرة لفترة إنتاجهما وإن كان لهما جذورهما الممتدة فيما سبق. وتتعلق بإشكاليات القيم ووضع المرأة في المجتمع، والعلمان يشيران بقيم جديدة تتواءم واتجاهات المجتمع الجديدة في عهد الثورة

ومع توقف محفوظ عن الكتابة للسينما تقريباً وتحول السينما إلى الاعتماد على رواياته الأدبية في المرحلة التالية للاحظ من الأفلام ما اعتمد على روايات محفوظ التي كتبها في مرحلة أدبية سابقة وتدور أحداثها في نفس زمن الأفلام السابقة أي ما قبل الثورة. وشمل هذه الأفلام مواصفات الأفلام السابقة. ويمكن اعتبارها امتداداً لها مثل أفلام «بداية ونهاية، ١٩٦٠، رفاق الحق، ١٩٦٣، دين القصرين، ١٩٦٤، خان الخليلي، ١٩٦٥، القاهرة، ١٩٦٦، وقصر الشوق، ١٩٦٧

لكن السينما المصرية أقدمت أيضاً في نفس الوقت على تحويل روايات محفوظ، الأحدث، وحقت بها فلفة نوعية بانتقالها إلى معالجة الفلاس المعاصر لها وبمعالجة أفلام «الصح والكتل، ١٩٦٣، والطرشق، ١٩٦٤، والسمان والخريف، ١٩٦٨، ومبرامار، ١٩٦٩، والضحك، ١٩٦٣، والكركند، ١٩٧٥، والحب تحت المطر، ١٩٧٥.

وإذا كانت الأفلام المسلوخة عس الروايات دارت حول فترتين ومشتتين متباينتين هما: زمن ما قبل الثورة وزمن ما بعدها، فالأفلام المأخوذة فيما بعد من القصص دارت أيضاً، في معظمها، حول فترتين ومتشبتين ولكن بينهما فجوة زمنية واسعة. حيث تدور أحداث إحداهما في زمن الثورات بينما تدور أحداث الأخرى في الزمن المعاصر. ومن ثم تعتبر هذه الأفلام الأخيرة امتداداً للأفلام الروايات التي تدور في نفس الزمن وقد



مع قدوم

السينمات

كان هناك تغيير ملحوظ في التعامل مع أعمال محفوظ

الأدبية. فقد أصبحت في عمومها أكثر نضجاً من ناحيتي المستوى السينمائي والاقتراب من روح النص

٢. المكان

سبق أن ذكرنا من أهم أفلام المتوات والحرافيش في هذه المرحلة فيلمي «الشيطان يعظه، ١٩٨١، والجوع، ١٩٨٦. وكان من أهم الأفلام المستمدة على قصص تتناول الزمن المعاصر إنتاجها، أهل القمة، ١٩٨١، وأيوب، ١٩٨٤، والحب فوق هضبة الهرم، ١٩٨٦. من هنا الاستعراض نجد أن أفلام محفوظ عالجت عدة فترات زمنية متصلة قبل وبعد الثورة. وهي الأغلب والأهم، وأخرى منفصلة تدور في أزمان سابقة متوالية، وتمثل في زمن الثورات في مصر أو ما هو أقدم منها ويتصل بالتاريخ العربي القديم كما في فيلمي الأولين: «لا إله إلا الله» وخلاف الأفلام التي ظلت الأفلام في مجملها على صلة وثيقة بالزمن المعاصر وقت إنتاجها وما يثار فيه من قضايا. وهو ما كان يجري مناقشته مباشرة أو بإسقاط الماضي على ما يجري في الحاضر، مما أضفى على هذه الأفلام حيوية، وجعلها في الوقت نفسه بمثابة وثائق تاريخية (فنية) شاهدة على العصر.

٣. الشخصيات

معظم أفلام المرحلة الأولى تدور داخل الحواري والألفة الشعبية، والمكان في هذه الأفلام ليس مجرد مساحة من الفراغ تتحرك داخلها الشخصيات، وإنما هو شخصية حية بما له من تاريخ وتقاليد تترك أثرها على الأحداث والشخصيات، فضلاً عن أنه يحدد الجو العام للفيلم. وكما نجد في روايات محفوظ الأولى ما يحمل أسماء المكان الذي تدور فيه أحداث الرواية، ومنها الروايات التي تحولت إلى أفلام فيما بعد. نجد أيضاً من عتاشين هذه الأفلام ما يحمل أسماء المكان، وهو ما يجعل هذه الأفلام امتداداً لسابقتها. ومنها «رفاق الحق، ١٩٦٣، وبين القصرين، ١٩٦٤، وغان الخليلي، ١٩٦٦، وقصر الشوق، ١٩٦٧، أهل الغمام، ١٩٦٨، والصح والكتل، ١٩٦٣، والسمان والخريف، ١٩٦٨، ومبرامار، ١٩٦٩، وشرشرة فوق السنبيل، ١٩٧١، والضحك، ١٩٧٣، المأخوذ في روايات محفوظ بنسب العتاشين، فقد انتقلت من الحارة إلى زواجر المدينة حيث يسكن أبناء الطبقة المتوسطة الجديدة.

وهكذا نجد أن أفلام محفوظ تعوم في حواري المدينة وشوارعها باستثناء فيلم «الوشح، ١٩٥٤، الذي دارت أحداثه في القرية، والمدينة القصوى هـا هي القاهرة خاصة فيهاها، فيلمي السمان والخريف، ومبرامار، حيث دارت أحداثهما في الإسكندرية. وعندما انتقلت السينما المصرية إلى الاستعانة بقصص محفوظ القصرية في المرحلة التالية ظلت داخل نطاق القاهرة أيضاً، وإن أخذت الحواري في مجموعة أفلام الفتوات والحرافيش شكلاً مختلفاً إلى حد ما عن الحواري السابقة حيث

ترتد بها إلى عصر الفتوات مما يصفى عليها طابعاً خاصاً سواء في العمارة أو التقاليد والقيم التي تحكمها.

٣. الشخصيات

ساد في المرحلة الأولى شخصيات ابن البلد من الطبقة المتوسطة الدنيا، بما فيها من الحرفيين وأصحاب الأملاك أو الأعمال الصغيرة والباعة والتلامذة والحرمن. والشخصيات مطبوعة جامعة للمال كما في «النمرود، وجائعة للجنس كما في «شباب امرأة»، تجد نفسها مضغوطة إلى الجبرية كما في «أحنا التلامذة، و«جعلوني محرماً». أو ساعدتها الظروف على احترام الجريمة كما في «ريا وسكينة، والوشح، وهي شخصيات محدودة الوعى تخطئ الطريق. غالباً، في بحثها عن الحل لأزماتها كما في «الفتوة»، وأحنا التلامذة.

تمثل شخصية المجرم أو المنحرف مكانة بارزة في هذه الأفلام التي تعالجها من زوايا مختلفة. بحيث يمكن أن تعطينا صورة واضحة لطبيعة الجريمة أو الانحراف وطبيعة المجرم أو المنحرف في ملاسبات اجتماعية مصرية معينة تكشف عن أسباب تواجده هذه الجريمة أو الانحراف كما في أفلام: «لك يوم يا طالم، «ريا وسكينة، والوشح»، «جعلوني محرماً»، فتوات السينية، «النمرود، وأحنا التلامذة.

وفي المرحلة التالية مع الاستعانة بروايات محفوظ امتدت نفس النوع الشخصيات في أفلام الحارة، وإن ظهرت بينها فئات جديدة مثل فئة صغار الموظفين في «بداية ونهاية»، و«خان الخليلي». وأصبحت في أحيان أخرى أكثر ثراء عميرة عن الطبقة المتوسطة الأعلى من كبار التجار كما في الثلاثية (بين القصرين، قصر الشوق، والسكرية). وخارج نطاق الحارة قدمت أفلام محفوظ شخصيات ابن المدينة من الطبقة المتوسطة الدنيا من صغار الموظفين كما في «الحب فوق هضبة الهرم، ومن الطبقة المتوسطة العليا من كبار الموظفين وأصحاب المهن المختلفة (الصحفي، المحامي، المعلم، والكاتب) وأصحاب الأملاك، كما في: «السمان والخريف، ومبرامار، وشرشرة فوق النيل، والضحك.

ومع إقدام السينما على الاستعانة بقصص محفوظ الأدبية القصيرة قدمت الأفلام تسليحاً أخرى من الشخصيات، لكنها ظلت جميعاً في نطاق أبناء الطبقة المتوسطة في المدينة على مختلف مستوياتها وجميع فئاتها بما فيهم من أسوياء ومتحرطين. وقد أخذ الانحراف أشكالاً جديدة بما يتفق ومتغيرات العصر كما يتضح على وجه الخصوص في غيلان عصر الانفتاح في «أهل القمة، وأيوب.

من خلال كتاباته لها وما خلال أدبه فيما بعد. فرض محفوظ على السينما المصرية نهج الواقعية، إذا ما اعتبرنا الواقعية في أبسط تعريفاتها، كل فن يحاول أن يمثل الأشياء بأقرب صورة لها في العالم الخارجي، فهو يتوحي الواقع في تناول الشخصيات ومعالجة الأحداث ولبنا السردى في أفلامه، كما في أدبه ولما كان هذا الواقع متغيرا، فهو كذلك في أفلامه وأدبه، حيث ترتبط الأحداث والشخصيات والقضايا المثارة بمراحلها التاريخية، ومن هذه الناحية اكتسبت مصداقيتها

ولم يقتصر محفوظ على تمثيل الأشياء بأقرب صورة لها في الواقع المصري بل اشتق من الواقع المباشر أحيانا أفكاره القصصية لسينما كما فعل في الأفلام، ومن أفلامه التي اعتمدت على أحداث وقعت بالفعل «زينا وسكينة»، «الوحش»، «الفقوة»، ومن رواياته أيضا التي ارتبطت بمباشرة بأحداث شغلت الرأي العام، «النص والكلاب»، التي تحولت مرتين إلى سينما. وكان في ذلك رائدا في السينما المصرية كما كان رائدا في الأدب العربي.

ولا تتوقف واقعية محفوظ، فبعادها استحداثات جديدة. عند حد تشميل الواقع وإنما تتجاوز ذلك إلى ما يعنيه بريخت من الواقعية باعتبارها، اكتشاف تركيبات العلل والعلاقات في المجتمع، وهو ما يؤكد ارتباط الأفلام بالواقع، بالإضافة إلى ما يضفي عليها من قيمة اجتماعية، يكتسب أن نظيره مثلا على ذلك من أفلام المرحلة الأولى فيلم «الوحش»، الذي يكشف عن آليات تواجد مجرم جريمة معينة في مجتمع معين، ومن أفلام مرحلة الرواية فيلم «بداية ونهاية»، الذي يكشف عن آليات انهيار أسرة في مجتمع معين رغم قوة الإرادة الفردية. ومن أفلام مرحلة القصة الأدبية فيلم «أهل القعة»، الذي يكشف عن آليات صعود المصنوع إلى قمة المجتمع في ظروف اجتماعية معينة وأثر ذلك على القيم وسلوك الناس.

كما تتسم الواقعية بملفوظ بنزعة نقدية حتى نكاد لا نجد فيها بين أفلامه ما يخلو من نقد اجتماعي، ونحن مع من يذهب إلى اعتبار الواقعية لونا من ألوان النقد الثقافي، ويعتبر فيلم «الفقوة»، من مقدمة أفلام الواقعية النقدية التي كتبها للسينما. ورغم أن الفيلم ينتمي للمرحلة الأولى من إسهاماته إلا أنه مازال يحتفظ بليته الفنية، والنقدية على الأخص، حيث ينتقد السوق الحرة حين يحكمها الاحتكار وتتمشى فيها الرشوة واستغلال النفوذ. وكان فيلم «ميرامار»، أول عمل سينمائي يدين النظام من خلال إرادته لعضو الحزب الحاكم وقتها. كما أن أفلام السابيل الرأى غير المشروعة في فيلم

«أبوب»، وكشف عن معاناة الشباب في عصر الانفتاح وسخر من الأوضاع الاجتماعية والظرفية والاقتصادية المروسة في «الحب فوق حضبة الهرم». غير أن بعض أفلام محفوظ كانتا مساحة ميلودرامية يبالغ عليها، مما جعله في التعبر عن المأسى والسماح للصدفة دور أساسي في الأحداث، فلحم هذه السمة في المرحلة الأولى، وعلى وجه الخصوص في «لك يوم في ظالم» و«الهجرة»، وجعلوني مجرما. لكن أفلامه تخفف منها تدريجيا فيما بعد خاصة فيما ذكرناه من أعماله السينمائية الأهم التي حققت قدرا أكبر من الفصح تعتبر هذه الواقعية التي انتجت بها أعمال محفوظ، السينمائية على نحو ما

بيناد من أهم سمات بصمته على السينما المصرية إن لم تكن أهمها. فالسينما المصرية قبل محفوظ كانت أقرب إلى سينما غربية. لم تكن هي شاذية بل إضافة تليق بالواقع وإنما تنوحي كل ما هو غريب وشاذ أو خاص من أحداث وتصرفات. بقصد إثارة المتفرج وتسليته والهالة من الواقع. وذلك غلب عليها أفلام الميلودراما الزائفة والفساد والأفلام التاريخية أو شبه التاريخية وأفلام الأغانى والرومانسية المرققة. ومع قدم محفوظ الذي وضع يدور الواقعية خلق في السينما اتجاهات جديدة أخذ يتنامى في أعماله وأعمال غيره. وهنا تجدر الإشارة إلى أهمية دور المخرجين لهذه الأفلام الذين توافقت أفكارهم واتجاهاتهم مع اتجاهات محفوظ الواقعية. وكان لهم الفضل في تحقيق أفكاره في الأفلام التي شارك فيها، وفي أفلام أخرى ساروا على نهجها، واستماتوا أن يخلقوا مدرستهم الخاصة بسينما الواقعية المصرية.

حصار السنين

لاشك أن هذا العدد الضخم من الأفلام، وما حققه من انتشار جماهيري (وهو الأهم) على مدى هذه السنين الطويلة، قدم، إلى جانب الثقافة، القيمة الفنية للمنتصر العربي على مختلف مستوياته في مصر وخارج مصر. وكان بمثابة العصر الهائل الذي يصاغ به على مهل الوجدان العربي، والمكر، والأخلاق، والوعي بالذات

كم من الأفكار، وكم من الشخصيات، وكم من الأحداث قمعتها هذه الأفلام، وكلها محاولات لفهم الحياة وفهم الإنسان في مجتمعنا. تفرع لنا، نقاش قسائنا. تتألم لنا، وتفرح معنا، تقدم النقد، ولتلك بالأمل، وتسدنا غالباً على مختلف مستوياتنا.

من يريد أن يعرف القاهرة، أحيائها القديمة، وقلب المدينة الحديثة، وناس المدينة خاصة الفقراء من أبناء البلد والأقندية وخارجي الجامعة، مشاكلهم ومعاناتهم، وتفرجاتهم، وما يدور في



نaguib Mahfouz

أفلام محفوظ تفحص

في حواري المدينة

وشوارعها باستثناء فيلم

«الوحش» ١٩٥٤، الذي

دارت أحداثه في القرية،

والمدينة المقصودة هنا

هي القاهرة خاصة

فيما عدا فيلما «السمان

والخريف»، و«ميرامار»

حيث دارت أحداثهما

في الإسكندرية

١٩٥٤

أدبائهم، أجيال القاهرة من الحرب العالمية الأولى حتى الآن، وتاريخ المدينة الاجتماعية المعاصرة. كل ذلك بمحور متحيز إلى أدب نجيب محفوظ، كما تجدد حساسا في أفلامه، بعض النظر عن المستوى يلبها

وإذا كان وضع الأدب العربي أصبح محتسنا بما أصافه محفوظ كذلك أصبح وضع السينما محتسنا ما أحدثه في محفوظ سواء بكتابتها المباشرة لها أو بما اعتدته من أعماله الأدبية على نحو ما بيناد

وإذا كان محفوظ قد أحرر حجرة بول للأدب العربي، فما أحرزته علامه من تقدير أدبي وقبول شعبي رفع من قيمته في التعليم في بلدنا لقد أحرزنا للصيلم الاحترام بعهده غير قليل من الأفلام، كما حقق الانتشار لعل ما حمل اسمه من أفلام

ولكن لعل أهم ما حققه لسينما هو اسهامه الواضح في انتساب هذه السينما هويتها من خلال توعية القضايا التي تناقشها، وتوعية الشخصيات وصراعاتها في زمان معين وفي مكان معين مع توشى أسلوب خاص في معالجة أحداثها، وهذا هو أهم ما ميز أفلامه كما ميز أدبه وإن حققت أفلامه التأثير الأقوى والانتشار اتساعا في الأدب في مجتمعنا، ولا ينكر محفوظ ما كان للسينما من اثر واضح في انتشار أعماله الأدبية، الامر الذي يكره الاعتراف به في أكثر من مناسبة

وسأل الأستاذ (خاتما لما سبق)، ما أهم الأفلام، في رأيك، التي حصلت أسك؟

نجيب: الأفلام المهمة كثيرة، وأنا لم أتابع كل الأفلام

أسأل: ما آخر فيلم شاهدته منها؟

نجيب: فيلم «التيطان يعط». ويعده لم يعد في إمكاني الرؤية

أسأل: من هم أفضل المخرجين، في رأيك، الذين قدموا أعمالا؟

نجيب: كثيرون كلمهم... الحقيقة أن أفضل المخرجين المصريين هم الذين أخرجوا أفلاما،

أصيف: مثل صلاح يوسف، وكمال الشيخ وخسين كمال وعاطف سالم...

مفادط: وحسن الإمام، كان حسن الإمام يركز على أجزاء معينة من الرواية، وهي الأجزاء التي أحيها (يضحك) أنت تعلم ما أعنى بالطبع

الهوامش

- (١) قصة السبعا في مصر سعد الدين بوفيق كتاب الهلال ١٩٦٩
- (٢) مصر مائة سنة سينما إعداد وتقديم أحمد راجه نبحث مطبوعات مهرجان القاهرة السينمائي الدولي ١٩٩٦
- (٣) لاجوب محفوظ على الناشئة القصة السابعة ١٩٩٠، هاشم الحسان، الهيئة العامة للكتاب
- (٤) كتاب خاص من الأستاذ نجيب يوم الجمعة ٢٠٠٦/٦/١

✻ في يوم ١٣ أكتوبر ١٩٧٣، توفي مالك بن نبي المكنى بالجزائري الذي شغل الساحة الفكرية، وقتاً ما، في الجزائر عقب الحرب العالمية الثانية، وهي خارج الجزائر، بعد اندلاع ثورة نوفمبر ١٩٥٤، إذ أقام فترة بالقرنالة هناك بنى نظريته عن العالم الأفروآسيوي انطلاقاً من مادلونج، وهو يحسب أن عملية البناء الحقيقي في العالم الإسلامي انطلقت من مصر عام ١٩٥٢، ثم من الجزائر عام ١٩٥٤، كما أعجب بالتجربة اليابانية منذ دراسته الجامعية، يدل على ذلك الكتاب الذي وضعه عن «الإسلام واليابان والمجموعة الآسيوية» عام ١٩٤٠، لكن من هو مالك بن نبي؟



هو من مواليد ١٩٠٥، عرف الثورة في مدينة تيسة بالقصبي الجزائري، وهي مدينة رومانية قديمة، كانت محطة مهمة من محطات الإمبراطورية الرومانية في أفريقيا، وظلت محفظة بكناتها في العهد البيزنطي، وبما أنها مستقى قبائل عديدة فقد أولاهها لفرنسيون أهمية خاصة. نظراً إلى أن أهم قبيلة في المنطقة، وهي قبيلة التمامسة، اشتهرت بشدة المراس، وقد كثرت جيوش الاحتلال بنائها في القرن التاسع عشر عندما حاض أبناء المنطقة حروب المقاومة تحت راية الأمير عبد القادر.

زاول دراسته الثانوية في مدينة قسنطينة، (ومن ثم إقامته باللغتين العربية والفرنسية) ثم التحق بباريس حيث درس الهندسة، ورغم أنه كان مهتماً فقد كانت انشغالاته فكرية أساساً.

أدخل السجن في أغسطس ١٩٤٤ بمدينة شارتر، غربي باريس، إثر اتهامه بالتعاون مع الألمان، ولعل الذين وجهوا إليه تلك التهمة اعتمدوا على الاتصالات التي كان يجريها مع ممثلي المسلمين في فرنسا، نظراً لاهتمامه بالثأر الإسلامي، حيناً وجد المسلمون، علماً ما هنر كان قد وجه دعايته نحو الشعوب الإسلامية الخاضعة للاستعمار البريطاني والاستعمار الفرنسي، ويعرف سكان الشرق الجزائري، ومنطقة مدينة تيسة على الخصوص التي كان ينتمي إليها مالك بن نبي، أن الألمان زرعوا بالطلارات كميات كبيرة من الأسلحة بواسطة لخطلات، على أمل أن يستعملها لجزائريون ضد الفرنسيين، فيسجلون مهمة احتلاله لتونس، ويصنعون الفرنسيين

هذا ما جعل الإدارة الفرنسية انداك، ١٩٤٢، توهم لأحد أبناء المدينة بتلقيق تهمة ضد الشيخ العربي التبسي، أحد الرعامات السياسية والدينية بالمنطقة والذي كانت كلمته مسموعة من السكان، سواء من قبيلة التمامسة التي ينتمي إليها أو من القبائل الأخرى التي هي أقل

مالك بن نبي

وفلسفة

الفروع

من التحلف

محمد الميلي



عدداً، لأن الشيخ العربي استعمل نقوده منذ بداية الثلاثينيات في حماية تلك القبائل الصغيرة، وقملاً زعم الشخص المكلف بتوجيه التهمة أنه كان ينقل رسائل من الشيخ العربي إلى الألمان (لأن مدينة تيسة كانت متاخمة للحدود التونسية) وياتيه برسائل من الألمان، وأدخل الشيخ إلى أهم سجون الجزائر، وهو سجن لامبازة Lambese قرب مدينة باتنة، وحكم الإعدام هو الجزء في حالة كهد.

لكن أصدقائه، خاصة المرحوم أحمد بوشمال، جنودا مجموعة من المحين، جزائريين وفرنسيين بالإضافة إلى أن الشيخ عندما قدم للمحاكمة طلب مقابله مع الشخص الذي اتهمه، عندما وقف هذا أمام الشيخ وكان مهيباً، استحلله أن يقول الحقيقة، فما كان منه إلا أن أجش بالبكاء واعتبر بتلقيق التهمة.

وتجدر الإشارة إلى أن أخا الشيخ العربي، الذي اسمه «البشير» كان من مؤسس المنظمة السرية، التي تدعو إلى الفلاح المسلح إثر أحداث مايو ١٩٤٥، وتوفي عام ١٩٤٨ متأثراً بالتعذيب الذي سلط عليه في السجن.

تعمداً هذا الاستعداد للتدليل على أن تهمة الاتصال مع الألمان لم تكن مستثناة، وعلى أن منطقة تيسة كانت من المناطق التي ظهر فيها التنظيم المسلح في زمن مبكر.

وقد يكون تردد مالك بن نبي على سفارة اليابان في باريس قد عزز تلك التهمة، إذ كان معروفاً عنه اهتمامه الكبير بالتجربة اليابانية، بالإضافة إلى كتاب عن اليابان والمجموعة الإسلامية سلمه إلى السفارة اليابانية بباريس عام ١٩٤٠، أي قبل دخول اليابان في الحرب، (إلا أن مالك بن نبي عندما قدم للمحاكمة في أبريل ١٩٤٥ تأكدت براءته من التهمة وأطلق سراحه.

خلال إقامته بالسجن سجل أهم أفكاره حول «الظاهرة القرآنية»، «أدب الحداثة» Phenomenon Coranique الذي يصدر منشوراً في باكورة إنتاجه، ولم يصدر منشوراً في كتاب (إلا أن بعض من ترجموا له، يقولون أنه كتب كذلك «الشكل اليهودي»، الذي ضاع مخطوطة كما وضع منذ ١٩٤٠ كتاباً عنوانه «الإسلام واليابان والمجموعة الآسيوية»، سلمه في نفس السنة إلى السفارة اليابانية في باريس، فهل يوجد في أرشيف السفارة اليابانية بباريس؟ لا أحد يعرفه. وقد أهدى كتابه «الظاهرة القرآنية»، إلى شخص اسمه Georges Merlin لأنه أنقذ كتابه إذ أخرجته زوجته من السجن قبل إطلاق سراح مالك.



وقد تولى ركن هذا المخطوط شخص يهودي في مدينة تيسة عام ١٩٤٧ ونشرته دار النهضة (١) التي هي أول دار نشر

جزائرية عصرية، أسسها المرحوم عبد القادر ميموني. أحد الوجود البارزة في الحركة الوطنية الجزائرية. وإذا كان هذا الأخير جامعياً فقد رفض أن يشتغل في التجارة التقليدية كما كان يرغب أموه وعمه اللذان رفضا تمويل مشروعه للثغر، فكان شركة مساهمة، بدأت تعمل دون مقر، وما لبثت أن أصبحت دار نشر مهمة وصارت ملتقى المثقفين بالعربية والعربية، وهذه هي نفس الدار التي نشرت عام ١٩١٩ كتابه «شروط النهضة الجزائرية»، لكن الكتاب الذي أكسبه الشهرة في الأوساط الفرنسية هو «Vocation De L'islam» الذي نشرته دار «لوسوي» الباريسية عام ١٩٤٤.

تجديد الفكر الإصلاحي:

تكتسب أفكار مالك بن نسي أهمية خاصة لاعتبارات عديدة. فقد ظهرت كتاباته في أعقاب الحرب العالمية الثانية. أي في فترة عرفت فيه حركة الإصلاح الديني طرغاً بفعل غياب صيد الحميد بن باديس، الذي كان مفكراً سياسياً يؤمن بالدين، كما كان مفكراً سياسياً يؤمن بضرورة الكفاح المسلح، وإن كان يعتبر أنه لا بد من التمسك باللكة بتوعية سياسية وثقافية وعامة للسلطان. يؤكد بعض ذلك ما كتبه الأستاذ مصطفى الأشراف، الوجه البارز في الحركة الوطنية، فقد عمل في صفوف حزب الشعب منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية، وهو في الوقت نفسه مفكر معروف بشده الذي يسميه بعضهم طغراً، فقد كتب دراسات مهمة عن تاريخ الفكر وعصر الفكر الوطني، ونقاط القوة والضعف في الحركة الوطنية الجزائرية، وفي مسار الكفاح المسلح الذي فحرت فيه التحرير الوطني. كانت تحليلاته صارمة تنسجم بنزاهة فكرية وأخلاقية عالية.

قد تعرض في إحدى الدراسات التي نشرها في كتابه القيم «أسس Algerie Nation Et Societe»، (الجزائر اسمة وصفتها) إلى الظروف السياسية والعسكرية التي شهدت انتشار الوعي الوطني لدى الجماهير الشعبية، وقد سجل في هذا السياق ظهور حركتين مهمتين هما حركة حزب الشعب الجزائري سليل «جبهة شمال إفريقيا» الذي طرح منذ ١٩٢٧ مبدأ الاستقلال التام، وحركة الإصلاح الديني التي تصدت لمحاولات الفرنسية والإدماج والحق الجزائر بمرسما. وهو إذ يلاحظ التطرف الذي كان يشم به حزب الشعب، يسجل أن مثل ذلك التطرف يمكن العمل الوطني بالجزائر من تحقيق قفزة مهمة إلى الأمام، إلا أن هذا التطرف إذا كانت له إيجابياته فإنه له سلبياته التي انعكست على الثقافة السياسية ووحدة العمل السياسي، ذلك أنه يعتبر أن كلاً من حزب

الشعب الذي يتزعمه مصالي الحاج، وحركة الإصلاح الديني التي يتزعمها ابن باديس يمثلان تيارين متضاربين يكمل أحدهما الآخر لأن أيديولوجية كل منهما تشترك في نقطة واحدة، وكل ما كان مطلوباً هو أن تدخل كل منهما تعديلات على مواقفهما تضمن وحدة العمل السياسي والثقافي، وهو يحمل مصالي الحاج مسؤولية عدم تحقيق هذا الطلب، عندما يقول: «فمصالي الحاج المتعصب الذي يجعله أو يحسره كل إمكانيات البناء الفكري الوطني للحركة التي يقودها، دخل في حرب لا هوادة فيها ضد ابن باديس الذي كان آنذاك هو الفكر الوحيد المستنير المنظر لوطنية تاريخية وثقافية عصرية، تصمدية نسبياً».

هذا الطرح يلتقي في مالك بن نسي مع مصطلح الأشراف، فقد كان مؤلف «وجهة الإسلام» سلمي مخلوطاً له لإبداء الرأي فيه. هو عبارة عن ذكرياته منذ أن كان بباريس، وفيه يتنقذ بشدة أفكار مصالي الحاج الذي حضر أحد الاجتماعات التي عقدها بفرنسا، (كان عنوان المخلوط، لم تكن الخشنة النادرة، مذكرات شاذة على المصغر أو على القرد).

والذي يهيم في الأمر أن ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية تختلف عن ظروف الثلاثينيات، في حيث التضاربات التي كانت مطروحة قبل ١٩٣٩، مثل التجنيس، والموقف من المواطنة الفرنسية، من جهة، ومن جهة أخرى غياب ابن باديس الذي توفي يوم ١٦ أبريل ١٩٤٠، وكذلك مبارك الميلي الذي توفي يوم ٩ فبراير ١٩٤٥، الذي كان قد زوّد الحركة الإصلاحية بوثقتين مهمتين: «تاريخ الجزائر في القديم والحديث» و«رسالة الشترك والمطهر»، فالأول مراهقة تاريخية ترد على الأطروحات الاستعمارية التي عدم وجود الجزائر تاريخياً، والثاني يهين القوى الأوروبية بعض الزوايا الطرقية التي وظفها الاستعمار لخدمة مصالحه، لذلك كان وملاؤه يسمونه «الميلوف» على أساس أنه كان منظرًا لتيار الإصلاح الديني في ميدانين مهمين من ميادين انشغلهما



في هذا الإطار تبوء النظريات التي طرحها مالك بن نسي حداثاً مهماً في حد ذاته، وتشمل طرحاً يمكن إدراجه في خط الإصلاح الديني المستنير، في نفس الوقت الذي يتجاوز إذ يتناول مشاكل التخلف والاستعمار من زاوية أوسع، يقدم مشروعاً للمستقبل، لذلك كان مالك بن نسي يعتبر نفسه صاحب رسالة، وهو لم يكتب ما نشره من كتب بعد ١٩٤٥ وقبل ١٩٤٤، إذ كان يكتب في صحف جرائرية مثل «الجمهورية الجزائرية» التي كانت ناطقة باسم حزب «الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري»، الذي يتزعمه فرحات عباس، وفي صحيفته

«الشباب المسلم» التي كانت تعبر عن أفكار جمعة العلماء، وكلاهما تصدران بالفرنسية.

وكلاهما «الشباب المسلم» تتميز بمحاولة إيجاد خلف مستنير لتزعيز لاول من رجال الإصلاح الديني يحاطط المرصنين من الجزائر كما يحاطط القدميين المرصنين

فيلسوف الخبز

من التخلف:

إن التميز الذي تصعبه أفكار مالك بن نسي، هو بطبيعته الإسلامية ولا تعالفاً، في الوقت نفسه، فقد ألف عام ١٩٥٦ كتابه عن الفكر الإفريقي الآسيوي الذي صدر إثر مؤتمر بانويج، وعام ١٩٥٨ ظهر كتابه عن «كوسولت إسلامي».

وبعد استقلال الجزائر في ١٩٦٢، واصل نشاطه الفكري، فزيادة على توليه إدارة جامعة الجزائر، ليعض الوقت كان يواظب علىلقاء محاضرات بالفرنسية تنوجه إلى «الخبنة المثقفة» حول مشاكل الثقافة والحضارة والديبلوماسية. وفي سنة ١٩٧٢ أصدر في بيروت كتاباً بالعربية عنوانه «المسرح في عالم الاقتصاد» ترجم بعد ذلك إلى الفرنسية بالإضافة إلى كتاباته كان يحرص على مخاطبة مجموع من الشباب والطلّاب الجامعيين خلال حلقات تجمع حوله بانتظام ينشر فيها، مشاهداً، في إضافة إلى أساس أن الخطاب المباشر أبليغ في التأثير على المستمع، من تأثير الحكمة المكتوبة التي يعالها الفاني في الكلية أو كتاب لدل يعتبر مصمم، إن مالك بن نسي ساهم في مدراك الإسلام السياسي بالجزائر.

ومعاً كان تقييم المثقفين له هادئ لاشك فيه أنه قدم عطاء فكرياً لم يكتف فيه برة العمل ضد بعض الأطروحات لتت كانت موضوع اهتمام الناس في مجالات الاقتصاد والتاريخ، بل جاء بأسهامات معتبرة

يضاف إلى ذلك أن إنتاجه، إذ ظهر بالفرنسية، يمثل خطاً مقصدياً في الكتابات الجزائرية التي كانت تستعصم الفرنسية، فالكتاب الدين شغلو، أساح الجزائرية مستعدين على اللغة الفرنسية، كان معظمهم ادباء من طراز ممتاز، لكن لم يمسوا، إلا عروضا، بعض القضايا الكبرى مثل مستقبل الثقافة في الجزائر، مثل حاج إلى وكاتب يسكن ومولد معمر ومالك حداد، لكن معظمهم فعل ذلك بعد نوفمبر ١٩٥٤، فزاد عن أن كلاً منهم، لم يقدم بشاء متكامل، ولعل الفكر الوحيد الذي تنسجم كتاباته ودراساته بانتظامها في خط متسق وشهوية علمية، هو الأستاذ مصطفى الأشراف، فجميع ما كتبه من دراسات وأبحاث ومقالات يتنظمه خيط واحد، ويكمل





مهما كان
تقديم المفقدين
مالك بن نبي،
فالذي لاشك
فيه أنه قدم
عطاء هكرياً لم
يكتف فيه برد
لفعل ضد بعض
الأنطروحات التي
بانت موضوع اهتمام
الناس في
جالات الاقتصاد
والتاريخ.
بل جاء بإسهامات
مهيمنة

ستحمل الأشعة الأولى للنهار

لقد أقاموا الحفلات والمنشآت من أجل المشعورين واليهلوانات، حتى يغطي سيجهم على نبرات حنايتي... وقد وقفوا الصامع للخاعة، حتى يجيبوا بها النهار القبل. ويلغوا شيحك بالقتام في السهل على تسيير.

لقد رينا الوش لكى يحضروا الصكرة، ولكن الكوكب المائى يواصل سيره الذى لا يتنى، وهو لا محالة سيضئى قريباً انصار الفكرة وذلك الأرشان. كما تم ذلك الأسمن... هى الكعبة.

لحضارة ليست هي

إن الفكرة الأساسية التي تضمنها
تقنيات بن توبى هي أن الإسلام، هو القادر
على تحسين الشعوب بعد مخاطر
الضغاع، لكن خطابه ليس سلبياً ولا
مناوئياً ولا وعظياً. فهو يربط الإسلام
بقيم وأخلاق واجتهاد، ويطلب
التصميم من خلال الروافد الغربية من
نوع آخر، إلا أنه لا يسجل أهمية
الجوء إلى الفكر الغربي، يعمد إلى
تحليل دقيق للقواعد المتبعة في البلدان
المتخلفة التي تكونت في حضن
الجامعات الغربية، فهو يلاحظ أن
الطوائف التي يتوجه للدراسة في أوروبا

۱۰۰

العدد الستون - ص ٢٠٠٤ م

على عمله متندمجاً في الأرض التي هي خلاصة كل حضارة... وهو أن يستخلص العبرة من جنود بعض العظماء مثل Polissy الذي أحرق آخر ما لديه من الثا وأرضية منزله الخشبية ليستخرج من ذلك، «الماء»، أو «الطلاء الخنزري»، ويصطه عامة إلى الطالب المسلم لم يجرب أوروبا، اكتفى بقراءتها أي أنه تعلم يدل أن يفهم

نتيجة لذلك يصور مالك بن نبي، في محاضراتها بالعاصمة الجزائرية عام ١٩٦٤، ما يترتب على نظرة الطلاب المسلمين إلى ظاهرة الحضارة الأوروبية، فيسجل أن الرأى الأوروبي وكذلك البوق والظهور والهايف والمصاراة، اقتحم شتى بلدان العالم الإسلامي بصورة مفاجئة منذ خمسين سنة، ولكن مشاكل التخلف ظلت راسخة القدم داخل هذه البلدان، فقد أردنا بدل الاصطلاح بتشبيد الحضارة أن نقوم بتكديس منجزاتها، ولم يكن عمل النهضة الإسلامية طوال السنوات الأخيرة، يمثل تشبيداً ولكن تكديساً للعتاد

وإذا كان يعتبر ابن عسيلة البساء لحقيق في العالم الإسلامي ابتدأت سنة ١٩٥٢ في مصر وعام ١٩٥٤ بالجزائر، فإنه يلاحظ أن روح التكديس متأثرلاً مستمرة البقاء، وهي قد تتخذ مظهرها يبعث على السخرية، مثل وجود أروعة أجهزة تكيف هوائي في مقصورة أحد رؤساء الصالح، أو خمسة أجهزة هاتفية على مكتبه، وهو إذ يضرب المثل باليابان يسجل أن مشكلة التكيف مرتبطة بفضية الإنسان وبالأفكار كما يلاحظ أن اليابان بنى ذاته على قاعدة حضارية، وليس على قاعدة منجزاتها، وهذا ما يفسر نجاح اليابان في الوقت الذي لم يحقق فيه العالم الإسلامي نصراً حاسماً إلا أن التخلف لأن شاملة طبق في عالم الأشياء، والمنجزات يدل أن يطبق ضمن الشئ البشرى ولسق الأفكار، وبمجارة أخرى أن بلدان العالم الإسلامي، ظلت على اعتدال من الزمان تطرح سؤالاً: كيف نصنع منجزات الحضارة بدل أن نسال، كيف نصنع الحضارة.



وقبل أن نفلح خطوات التصنيع الثقيل في الجزالريبات نمارش وأصافات نبرم مع جهات أجنبية تنص على تسليمنا العمل، «المفتاح في اليد، أي جاهز للإنتاج، دون تمكيننا من التقنيات التي نسمح لنا بأن نقول الإنتاج بعد أن تكون قد فهمنا كيفيات صنع الحضارة، على أن فهم الحضارة الغربية لا يكفي بالنسبة للبلدان المتخلفة في قدر مالك بن نبي، لأن أوروبا إذا كانت قد امتلكت التكنولوجيا وطوعت العلم فقد أضعأت الخلق كما سجل ذلك في أكثر من موضع في كتابه «وجهة الإسلام»، فهو يولي أهمية كبيرة للإبداع لا يعتبر أن الأمر بالنسبة للعالم الإسلامي

لا يتعلق بالفصل بين الضيم، ولكن بالجمع بين العلم والصميم، بين الخلق والتكنيك، وبين الفيزياء وما وراء الطبيعة من أجل إقامة عالم حسب قوانين السببية ومطبيقاتها العلمية وقد حاول مالك بن نبي أن يغسر جمود الفكر الإسلامي في الغرب العربي رغم جواره للعالم المسيحي واحتكاكه به، بأن هذا الحوار قد تم في النطاق الاستعماري الذي أدى إلى تزييف معنى الفكر المسيحي في نظر المسلمين، في الإسلام في المجال المتوسطي لم يستمد من الفكر المسيحي، كما أن الفكر المسيحي لم يجبر إسان ما بعد العهد الموحد في تغيير نسمة

على هذا الأساس يبدو الإسلام في مجال البحر الأبيض المتوسط، ورأياً من خلال الباشا وسيد السلطان العثماني، كما يبدو قليباً يدوياً على مستوى الأمير العربي، البيروني، ويبدو نوعاً ما متلفاً تحت سلطة شيخ الزاوية، وهذا ما يدفع مالك بن نبي إلى أن يتوجه إلى المجال الآسيوي للاستعلام، في جاكارتا وبانكستان والهند واليابان.

وتجدر الإشارة إلى أن العمود الفقري في تفكير ابن نبي هو الآية الكريمة «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»

ويستخلص ابن نبي من كتاباته بدأ بعشروط النهضة الجزائرية، إلى المحاضرات التي ألقاها بعد الاستقلال، أن خلاص العالم الإسلامي يتمثل في تطويع تكنيك الغرب لروح الإسلام، وقد ساعد مالك بن نبي على التوجه إلى المجال الآسيوي ظهور كتابات وأفكار تشبهاً بأفول حضارة الغرب، مثل الفيلسوف شينغز الأثافي، والشاعر هو فائري الفرنسي، والأديب والقاصي رومان رولان، زيادة أن كتابات محمد إقبال ورومانزات طاغور

وقد بدأ مالك بن نبي ينشر أفكاره تلك في أعقاب الحرب العالمية الثانية من خلال كتبه، وقد فكر في تأسيس مجلة فكرية تقوّل تعميم دعوته، يتولى تحريرها مع ابن ساهي مفكر جزائري غير معروف، ترجم الفلسفة الألمانية وعازر ساتر.

وهو في جميع كتاباته سواء منها التي ظهرت في الأرمينييات أو في الستينيات أو في السبعينيات، يولي أهمية خاصة للثقافة، لذلك كان دائم الإحراج عن الحضارة التي تعتمد منجزاتها، وليست المنجزات هي التي تصنع الحضارة.

عدم فهم هذه الحقيقة هو الذي جعل بلداننا تتوقف عن أن تكون سائرة في طريق النمو، كما كان يطلق عليها في عصور افول التحضر وديابات في الانعقاد في مرحلة الأولى، لتتطوّر عليها، في مرحلة لا تلتها، صفاء البلدان السائرة في طريق التخلف، أو نحو مزيد من التخلف.

بدل أن تعالج البلدان المستقلة حديثاً معادلة التقدم والتخلف بطريق معادلة



يذهب الطالب المسلم إلى أوروبا وأضعا على عينيه حجائباً يمنعه من أن يتأمل الحضارة.

فلما يبصر منها إلا الجانب المجرّد أو التافه

حسب استعداداته الخاصة للجد وهو لا يبصر المرأة الكادحة بل يرى تلك التي تصنع أظافرها وشعرها وتدخلن السيجار في المقاهي



جبرية، (نسبة تعلم الحبر)، عاجلتها بطريقة حسابية، الأولى تسمح بصياغة حل أو مشروع حملي قابل للتطبيق على مستوى المجتمع كله، والثانية تعالج كل حالة على حدة، وتكتسب منسجبات الحضارة دون أن تتمثل العوامل التي أبدعتها

يترتب على ذلك غلبة الحكام في البلدان الإسلامية من حقيقة جورورية، وهي أن العناصر الثلاث للحضارة، وهي الإنسان والشراب والزمن، لا تمارس معقولاً ضمن حالات شتية، أي ضمن محطوط اقتصادي يجعل مسيرة التنمية مرتبطة بمعالجة كل حالة على حدة. لأن اكتساب الحضارة يتطلب تحصيل هذه العناصر الثلاثة ضمن تركيب متآلف

على أساس هذه القاعدة يرى مالك بن نبي أن جميع الوال اختراعات التي تمثل مظاهر حضارة، لا يمكن تصورها إلا ضمن الشروط العامة لحضارة معينة، وليس ضمن أبعاد عقبرية إنسان مفرد، أو حتى بضع مئات من العبارة لأن أمثال، جاليليو وليوناردو فينشي، ومايك أنجلو، وداونتي، ليسوا هم الدين صنعوا النهضة، ولكن شروط النهضة، التي تفررت هي التي صنعتها،

قابلية الاستعمار

كان فكر بن نبي مرشحا لأن يؤدي دوراً معتبراً في الجزائر بعد الاستقلال. لكن نظريته حول قابلية الاستعمار، لم تفهم كما يجب، فالباشا الذي ظل سالداً، منذ حروب الاحتلال، هو تحصيل لكل المسؤولية للاستعمار، من حين أن نظرية قابلية الاستعمار التي ينأى بها بن نبي، تمثل رؤية تاريخية تنطلق من تحليل دقيق لدورات التاريخ، وحركاته، والجزيرة، عندما تتوقف حركة الماء، أو مجهود الإبداع، عند شعب ما، لسبب أو بآخر، يصبح قابلاً للاستعمار لأنه إذ يتوقف عن التقدم ويخلف إلى الجحود، يتسبب في وجود فراغ يسهل انعدام الإبداع وحركة الإبداع، والإنسانية مثل الطبيعة لا تتحمل الفراغ ولعل أحد المقلات الذين فهموا فكرة بن نبي هو الحبيب موزايقية الذي لا يسهل كل ما يخص المسؤولية للاستعمار، وهو بذلك ينقص من قيمة انتصار الاستعمار، وليس من المبالغة القول إن سياسة المراحل التي كان يعمل لها بوزيقية هي الترجمة العملية للمصعب البورقيبي الذي يأخذ بطريقة قابلية الاستعمار، التي يتطوّل تخلف منها تدريجاً في الوعي وتدرجاً في المسؤولية

إن نظرية قابلية الاستعمار إذ تعجل مسئولية البلد المتخلف في العصر ما بعد المعهودي، حسب مصطلح بن نبي من شأنها



أن تدفعه نحو اكتساب التقنيات التي مكنت البلد الأجنبي من استعمارنا. بذلك يكون البلد المستعمر (مفتوح اليم) يتحمل مسئولية الخروج من التخلف، كما يتحمل قسراً من السولية عندما جلب على نفسه الاستعمار بفعل الشرع الحضاري

بهذه النظرية نحل العقد من الاستعمار المؤلدة من اعتماده شرأ كله لا خير فيه.

إلا أن فكرة مالك بن نبي هذه لم تسمح به الجزائر، وبذلك أدت إلى تحجيم فكره وتهميش عطائه، فقد فعلت على أنها تبرير للاستعمار. ولا شك أن الفكر الماركسي، الذي كان موصفاً شائعة في الستينيات، قد أدى دوراً أساسياً في محاربة فكر بن نبي. وتعتبر جبل ما بعد الاستقلال منه، كما أنه لا يخرج من أن الصراع الذي كان قائماً على أشده بين المعسكر الرأسمالي العربي والمعسكر الاشتراكي الشيوعي شدي الاتحاد نحو تهميش مؤلف «وجهة الإسلام»، والفاطحة القبرانية، إذ أن المعسكر الاشتراكي يستفيد من تجريم العرب الاستعماري وتحصيله مسئولية كل الصلابة التي أخذت بمساقط البلدان التي استعمرت.

يصاف لذلك أن طبيعة الظروف التي حفت باستقلال الجزائر ساعدت على خلط الأوراق وعززت فكرة تهميش فكر مالك بن نبي. كما هتمت كل مجهود الفكرى ببدل من أجل مواجهة التحديات التي تفرقت على طرأت بعد وقف إطلاق النار. وتحديد المهام العاجلة المطلوب النهوض بها حتى تجنب الجزائر النكاسة خطيرة.



لقد انتهت جبهة التحرير التي فجرت الكفاح المسلح وقادته خلال سنوات صعبة في بدايات الحركة، كتنظيم سياسي منذ أن اندمجت في الحكومة المؤقتة التي أعلنت في سبتمبر ١٩٥٨.

وإذا كانت الحكومة المؤقتة قد أصبحت عملياً في القيادة العليا لجبهة التحرير منذ ذلك التاريخ، فإن الصراع بين رجالاتها، بالإضافة إلى الظروف التي تسبب فيها إنشاء الخطوط المكونة على الحدود الشرقية والغربية جعل سيطرة الحكومة المؤقتة تتلاشى تدريجياً على القوايا المحلية داخل ولايات الكفاح في الداخل، وما لبثت نفس الظروف مصابة إلى ملايات أخرى أن أدركت قيادة أركان جيش التحرير التي كانت يرأسها هو رى بومدين كثرة ساعدة سرعان ما احتلت الميدان السياسي، وخسعت الصراع في ١٩٦٦ على حساب الحكومة المؤقتة. انطلاقاً من ذلك حدث «نزاع» عرقلاني بين المؤسسات النظرية وواقع الحقيقة لحرار وجبت لظاهرة محرومة من سلطة سياسية تشمل الجميع، حسب تعبير الأستاذ مصطفى

مسائل بن نبي



بلدان العالم الإسلامي، ظلت على امتداد قرن من الزمان تطرح سؤالاً، كيف نصنع منتجات الحضارة؟ بدل أن نسل، كيف نصنع الحضارة؟

١٩٥٨

الأشرف لأن «الحكومة المؤقتة التي عجزت عن حل مشاكلها الخطيرة في الخارج، بصورت أن الفرح الفاعلة التي تهر الحماهير مع الإفراج الرسمي للاستقلال سوف تجعل تلك المشاكل التي استصعبت على الحل شهراً وسنوات، تحل بفترة قارر».

ويقدم مالك بن نبي تصويراً لهذا الوضع بما يجعل تحليله يلتقي في عدد من النقاط مع تحليل الأستاذ الأشرف.

مالك بن نبي في تحليله لقصور الحكومة المؤقتة عن صياغة أيديولوجية في مستوى الكفاح الذي خاضه الشعب، يشرح رايه في هذا السياق مؤكداً أن الميرين الجزائريين لم يكونوا، خلال حرب التحرير، في مستوى الأيديولوجية التي يلورها الشعب بنفسه، فالشعب الجزائري إذ اعتمد في كفاحه على قيمه الأخلاقية، أسبق على التقاليد طابعاً مقدساً، لكن هذا التقدير أخذ يتدهور تدريجياً بفعل ممارسات السوطين عن قيادة الكفاح المسلح وخاصة عندما استقاموا لرفع الحياء في الخارج، فحال ذلك دون أن يتعمقوا للنتائج العمرة التي تترتب على ذلك الانحطاط الذي ساد الجو الأخلاقي، لذا يقول مالك بن نبي في سياق تقرير هذه الفكرة، «إن مسيرتنا الذين لم يكونوا بالمتقنين للثقافة في أي مشكلة من مشاكل الثورة، لا يمكنهم من باب أولى أن يعرفوا، في المشاكل العامة التي تستلزم ثقافة في الجزائر عقب الثورة. وبالتالي فهم أمد ما يكونون عن الانشغال بوضع مشكلة مفهومية، ما بعد الثورة».

ثم يلاحظ أن انقضاء الفاشية التي كانت تحجب عن عيون الشعب، المشاكل التي كانت موجودة خلال حرب التحرير، من شأنه أن يدفع الناس إلى تسمية الأشياء والناس بأسمائهم، يجب أن يسمى المقط قطعاً، بحيث لا يحور أن يوجد، «متشعرون زايغرون»، وأبطال مصطنعون ومشاكل مفتعلة، إذ يجب البدء أولاً بتصفيية مشاكل الاستقلال الطوباوي أي الخيالي التي تركت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سلطة فاعلة وتتوقف على بعض الألمان في بلادها، حتى لقد أصبحنا نلاحظ في أيماننا وجود علام قائمة قلياً وقالباً للتخاذل والتراخي في بلادنا كما لو كان يتعين على الاستقلال أن يحل جميع مشاكلنا العمومية والخصوصية بطريقة آلية، بينما يجب علينا أن نفهم أن قطاعنا العمومي بالخصوص لا يزال يحيا على ما تركته لنا المستعمر بعد رجيله، وعندما يستفد هذا الراسمال، فما علينا لنصنع إذ كانت الضاربال لا تدخل الخريفة وإذا أهمل الموظف أو المستخدم واجبة^(١)

ونستطيع أن نتصور مدى خيبة الأمل التي كان بن نبي يعانها على الثورة الجزائرية التي يعتبرها بداية البناء الحقيقي في العالم الإسلامي، ثم

تسبقها في ذلك ثورة إلا ثورة ٢٣ يوليو، ويقدّر ما كانت خيبة أصله في ثورة الجزائر الكبيرة، بقدر ما كان قاسياً في الحكم على رجالها.

فهو يحمل قادة الثورة المسلحة مسئولية عودة «الروح الفريسة، من جديد ابتداء من وقف إطلاق النار، بعد أن خاض الشعب معركته بروح تصاممية وإيثار لم يسبق أن عرفته البلاد فهو يسجل ظهور سياق مسرور على الاستيلاء على الأملاك، والانقضاء على الوظائف التي تدر دخلاً دولياً كبير عمل، لأن أعضاء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية هم الدين أعطوا، المثل، وكادوا «القدوة، التي اعتداها الناس في هذا السياق الهنك المتلاف.

بل إنه يتهمهم بأنهم تهاطلوا ميثاق طرابلس الذي صادقوا عليه بعد وقف إطلاق النار، وأحوا يرتبون شئونهم الشخصية، ويرفضون أي قرية بومرياس، للاستيلاء على ما يتدهور عليه من سلطة دولة لم يكن مولدها سوى مجرة احتمال، أو هي ما تزال في المهد لا تخرج بعد من قضاها، دون أي اكتراث، بما قد يؤدي إليه هذا السلوك من خلق «الوليد الغضبي من مهد، بعض الذين كانوا يرتبون لباس المحررين، انتشروا عندما شؤوا» والحة الوليعة أو الزردة غافران مراكز الحماوة في الأذغال وأجبال ليفتصبوا مثل «الذباب، ما يقدمون عليه، إن أولئك «المحررين، الذين هبوا للاستيلاء على الفضول لم تكن تشغل رؤوسهم سوى فكرة واحدة وهي «احتلال الجزائر من جديد، بقدر ما تنسحب القوات الفرنسية، وذلك حتى لا تتاح للشعب الجزائري أية إمكانية لحاسبتهم على تسيرهم للبلاد، عندما كانوا في القاهرة أو في تونس، لم تكن تشغلهم مشكلة الثورة، لتثار في حدود التحرير ولكن في حدود احتلال جديد..



بل إن جيش التحرير الوطني نفسه، قد «انتابه هذا الكمال المعك من طرف الحكومة المؤقتة التي كان كل عصب فيها يريد أن يضمن لنفسه ثلة من هذا الجيش لاستخدامها في اجتياح إقطاعية خاصة، لا شك أن الظواهر التي يصورها مالك بن نبي، ترجع أيضاً إلى اندماج الثقافة الفريسة، إن لم نقل إنها ترجع إلى اندماج الثقافة، فانتمتع لا يعني الثقافة والمدرسة وحدها لا تكفي لتزويد المتعلم بالثقافة العامة حتى لو كان مستخرجاً من أرقى المعاهد المتخصصة، والخلاصة أن المرور، ولو بسرعة، على كتابات مالك بن نبي يكشف عن وجود خيط ناظم ومنطق متماسك للخروج من التخلف، بحيث يشكل مجموعها منهجاً كاملاً، وتجديداً معتبراً، وهي تقدم

كتاب الزاوية

الأذكياء

سلوك ذكي

رؤى عن العباس بن عبد المطلب أنه سئل: أيما أكبر أنت أم رسول الله ﷺ؟ قال: رسول الله ﷺ أكبر وأنا ولدُنت قلبه.

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه قال لبعض أهل المدينة: أنا أسن منك أم أنت؟ فقال له: لا أذكر ليلة زفت أمك المباركة على أهلك الطيب، وهذا الاحتراز مليح لأنه لم يقل أمك الطيبة.

وحكى لى محمد الضبي أنه حفظ ابن المعتز وهو يؤديه سورة (النازعات) وقال له: إذا سألك أمير المؤمنين بولك فى أى شيء أنت؟ فقل له: فى السورة التى تلى "عيسى" ولا تقل: أنا فى (النازعات). قال: فسأله أبوه: فى أى شيء أنت؟ قال: فى السورة التى تلى عيسى. فقال: من علمك هذا؟ قال: مؤدبى. فأمر له بعشرة آلاف درهم.

وحدثنا عبد الواحد بن نصر الخزومى قال: أخبرنى من أثق به أنه خرج فى طريق الشام مسافراً يعيش وعليه مرقعة، وهو فى جماعة نحو الثلاثين رجلاً كلهم على هذه الصفة، فصحبنا فى بعض الطريق رجل شيخ حسن الهيئة ومعه حمار فاره يركبه. فخرج علينا نحو ثلاثين فارساً، فتفرقتنا عليهم، فقال الشيخ: لا تفعلوا، هتركناهم، ونزل. فجلس وبين يديه سقرته، ففرشها وجلس ياكل، وأظلمت لنا الليل، فلما رأوا الطعام دعاهم إليه، فجلسوا ياكلون، ثم حل رحلته، وأخرج منه حولى كثيرة، وتركها بين يدى الأعراب، فلما أكلوا ولبسوا جمعدت أيديهم، وخدرت أرجلهم ولم يتحركوا، فقال لنا، إن الحال فيه بنج أعدته لئلا هذا، وقد تمكن منهم، وتمت الحيلة.

إن الجزء الذى يختص بها هذا الرجل هو أنه وضع أصبعه على الثقافة بوصفها المدخل الأساسى لصنع الحضارة.



بقيت ملاحظته أحيرة جديدة بالتسجيل فى الخاتمة. وهى اهتمام مالك بن نبي ببناء الدولة وهو أدهى

كثاته، أفاق جزائرية، إلى الأمير عبد القادر، فله يكون قد شعر بضرورة ذلك ويبدو أن مالك بن نبي قد شعر فى السنوات الأخيرة من عمره، أنه تعرض للتمهيش فعلاً. من النظام الجزائرى ومن قوى سياسة يسارية بالإضافة إلى عدد معتبر من المثقفين. ولعل هذا ما يفسر الحرارة التى لاحظها عليه بعضهم. وقد ضاعف من مرآته تلك ما شاهدته فى الأروى ويبروت من محى يتعرض لها الشعب الفلسطينى، فمجل تشاؤمه ويأسه من العالم العربى والإسلامى عندما كتب: "لم يسترجع العالم الإسلامى وعيه بعد، إنه يهول انطلافاً من كارثة من أجل الإعداء لكارثة أخرى قادمة.."

فبقيت ملاحظة أخرى. أخيرة. جديدة بالتسجيل. وهى اهتمام مالك بن نبي الذى كان يلح عليه، فهو لم تكف بنقد تصرفاته المسؤولين الجزائريين، وهولتهم لاقتسام مقام دولة لم تقيم بعد، بل إن إهداده كتاب أفاق جزائرية، إلى الأمير عبد القادر، تأكيد على أن بناء دولة حديثة أحد الشروط الأساسية للخروج من التفتق، وعلى أن عدم التفكير للماضى شرط هو الآخر تحقيق التوكم الذى لن تتحقق بدون الحضارة ولما يحدث فى حالة وجوده أى تقدم

الى البطل الأسطورى للملحمية الوطنية، الذى يحدد بشخصه. فى فترة فاجعة من تاريخنا. مصير وطن وثقافة. وحضارة.

فالأمير عبد القادر هو أول من فكر فى إقامة دولة على أسس عصرية، مستولماً فى ذلك تجربة محمد على من جهة، وتجربة الثورة العرفية من جهة أخرى. ■

الهوامش

- (١) دار الفتنه، اسبها عبد القادر ميمولى غداة الحرب العالمية الثانية قامت بدمور معتبر فى التعريف بكتابات مالك بن نبي ومحمد الخريف الساحلى. كما أمنت لكتابى الجزائرلى أهم إصدارات دور النشر فى باريس ويبروت والناصرة
- (٢) مالك بن نبي Le. Paris, P. ١٠
- (٣) مالك بن نبي، أفاق جزائرية مكتبه المهمة طبعه ١٩٩١، ص ٦٢.
- (٤) مالك بن نبي Le. Paris, P. ١٠
- (٥) Le Musulman Dans Le Monde De L'Economie الجغرافى ١٩٩٦، ص ١١.

فى الوقت نفسه منهجاً نقدياً يسمح بتقييم الماضى والحاضر والكشف عن عيوبهما، فهو مثلاً فى معالجته للتخلف وكيفية الخروج منه لا يولى أهمية استثنائية للصنعة ضليلاً كان أو حميماً، ولا لرأس المال الأجنبى، لأن الاقتصاد فى نظره ليس فقط علماً، ولكنه على الخصوص وعى وسلوك واستعداد ذهنى. أى هو ثقافة، إذ أن الاقتصاد ليس خارجياً عن الإنسان بل هو جزء من مكوناته.

وهو عندما يتحدث عن العالم الإسلامى، ومكانته فى الاقتصاد العالمى يلح على أن العالم الإسلامى لا يشكل كتلة اجتماعية منغلقة قادرة على أن تحقق نموها فى عالم متفتق. إن العالم الإسلامى يمثل عاملاً من عوامل المتأساء الإنسانية، وشاهد عليها فى نفس الوقت.

هذه الصفة المزوجة ترمض عليه أن يكفى وجود المادى والروحى مع مصادر الإنسانية كلها. ولكن يتدمج العالم الإسلامى حقيقة بصورة فعالة فى التطور العالمى يحب عليه أن يعرف العالم، ويعرف العالم به. وأن يسعى لتقدير قيمة الخاصة، وجميع القيم التى يتشكّل منها الميراث الإسلامى.. وهو فى كتابه، "المسلم فى عالم الاقتصاد، يحذر لبلدان العالم الثالث من الاعتماد على الاستثمارات المالية الأجنبية لتحقيق انطلاقتها الاقتصادية، لأن ذلك يردى حتماً إلى تبعيةهم للأجانب، ومن ثم يتبعين عليها أن تعتمد على الاستثمار الاجتماعى، حسب تعبيره أى أن مالك بن نبي يولى أهمية كبرى لحل المشاكل الاجتماعية داخلياً. إذ هو يحذر من الحلول التى تصورها، نخبة لا تشعر بنيتى شعبها، كما يدعو إلى اندماج الاقتصاد البلىدان الإسلامى فى الاقتصاد العالمى، وكأنه عرف أن الاتجاه العام يسير نحو العولمة.



وهو إذ يقدم الوصفة اللازمة للاستثمار الاجتماعى، يلح على ضرورة اصطفاة الأولوية، فى مرحلة أولى، للواجبات على الحقوق، وذلك لن يتحقق دون تعبئة حقيقية، تتم لأداء مهمتها فى مرحلة معينة تحفز الشعب كله وتجندته من أجل قهر التخلف، باعتباره واجباً أقصى، وتتربط على ذلك الكفيل بجمعي احتيايات كل الصفات التى يتشكل منها المجتمع.

ومهما يكن من شيء فإن المعطاء المتكررى الذى قدمه مالك بن نبي، عطاء صلب، ثرى ومتنوع، وهو معطاء مازال يحتاج إلى تعرف، وممارل يصلح لمعالجة أهم مشاكلنا الخاتمة وهى تلك التى تتصل بالثقافة

لذلك نأسف لكون الإرث الفكرى الذى خلفه مالك بن نبي مازال مجهولاً، إن لم نقل إنه أهمل عمداً.

عندما كانت أسبانيا

الظاهر أحمد مكي

ولكن إرنست ميكر محرر مادة الحروب الصليبية في كتاب «تاريخ الإسلام» الذي أصدرته جامعة أكسفورد في الثلاثينيات من القرن الماضي يرى أن هذا الزعم باطل، لأن حركة المولدين والمستعربين في أسبانيا وصقلية كانت أكثر نشاطاً وأوسع محيطاً، وأبعد غوراً، ولو أن ذلك جاء متأخراً بعد أن حدث الاتصال بسبب الحروب الصليبية فعلاً، على نحو أو آخر. ويرى «أن اللاتينيين في سورية لم يستطيعوا أبداً أن ينفذوا إلى وضح الثقافة الإسلامية على نحو ما فعل المسيحيون في غرير البحر الأبيض المتوسط أيام ثالث حضارة قرطبية وكل أسبانيا الإسلامية».

ومعياً من هذا الصراع، وهو قومي سياسي في أبعاده، يضع في حسابه الاعتراف بدور أسبانيا.. (إسلامية أو مسيحية، في نهضة أوروبا أو إنكاره، يمكن القول إن الحروب الصليبية لعبت دوراً حاسماً في الجانب الديني، فهبطت بهيبة البابوات الدينية، وهزّت نفوذ طبقة الرهبان، وفشت الشك، ودفعت عطيفات كثيرة إلى التمرد على سلطان الكنيسة، ولم تكن تجرؤ على هذا من قبل.

وفي الجانب الاقتصادي جاءت معها وبمساعدة أكبر بين الطبقات على نحو لم تعرفه أوروبا من قبل، وأوجدت طبقة من الفلاحين الأحرار ومن الحرفيين، وازدهرت الصناعة، ونمت التجارة، وانتشرت البثبات والحاصلات العربية. وشاع استعمال العقاقير المشربة والتوابل، وعرّف الغربيون استخدام السكر في الحلوى، وكالوا من قبل يستخدمون العسل، وأدخل الصليبيون العالدين إلى بلادهم عادة فرش البسط والسجاد على الأرض، واستخدام الفراش واقتناء المجوهرات وأدوات الزينة والمسايق، وأشياء أخرى كثيرة.

وفي مجال السياسة أدت الحروب الصليبية إلى قيام دول أوروبية ذات سلطة مركزية وإدارة منظمة وقضاء مستقل، وكان ذلك أمراً جديداً على أوروبا في العصور الوسطى لا عهد لها به من قبل. لكن الأندلس، أو أسبانيا الإسلامية إذا شئت، ذهبت بالخصيص الأوفر، في تأكيد كل ما سبق في عيون الأوروبيين. وخصت وحدها تقريبا بكل ما يتصل بالأدب والثقافة والعلم، لأن انتشارها، إذ ذلك، يعتمد في المقام الأول على الرواية الشفوية وعلى الدرس، ينهض به الشاهر الجوال، وتحمله الأغاني في رحلته من الجنوب إلى الشمال، أو أهل الشمال حين يتدفقون على الجانب العربي في

رما كانت هذه هي المحطة الثالثة «الفارقة» في تاريخ ما بين الإسلام والغرب: ثقافة وحضارة وسياسة.. وحرب. نذكر.. أو يذكر التاريخ، قبل ألف عام كاملة كيف تواجه الطرفان في حرب دينية ضروس، لم ينهها غير حكمة، وعدل.. وقوة صلاح الدين.

ويذكر التاريخ أيضاً كيف تلاقت قبلها حضارة الطرفين في «الأندلس».

اليوم، يتباكي الكثيرون.. أو على الأقل يحنون ويعلمون بذلك الأيام البعيدة. ناسين، أو متغافلين أن لكل حالة.. من قوة أو ضعف اشتراطاتها. كما أن للتفاعل مع الآخر «قوانينه».

فلا الزمان.. هو الزمان. ولا صدام حسين.. كما زعم أو حلم البعض.. هو صلاح الدين. ❦

المصدر



من هذه الأرض

«الأندلس، تعلم الأوروبيون

جانباً كبيراً من الحضارة

الراقية سواء كان ذلك إبداعاً

أندلسياً أصيلاً أو عربياً

مشرقياً وافداً

سبع سنوات فحسب

كانت كافية لكي يحتل المسلمون كل

شبه جزيرة إيبيريا (أسبانيا والبرتغال)

وجنوب فرنسا، حيث توقف زحفهم في أوائل

ربيع عام ٧٣٢م قريباً من بواتييه

بعد موقعة «بلاط الشهداء»



❦ في الستينيات سئل أندريه مالرو الكاتب والمعرك والمناضل الفرنسي، وزير الثقافة في حكومة الجنرال ديغول، ماذا تسمى هذا العصر؟

اجاب، عصر الكدرا

والتلوث الذي يحتاج العالم؟

رد، بالعودة إلى الحضارة الإنسانية،

وإيقاظ روح المقاومة في الفرد، وإجلال

فضيلة الشرف، وطرد التأثير الأمريكي

من أوروبا والعالم!

ما كان تأثيراً أمريكياً في الستينيات

تحول بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ إلى

وحش مفترس كاسر، رفع راية الحروب

الصليبية من جديد، وبدأ يحشد وراءه

انصاره وجنوده، بإلحاح كل ما هو عربي

ومسلم تحت شعارات: محاربة الإرهاب

ونشر الديمقراطية، ومنها تحول إلى

هولاءو جديد!

كان يمكن الا يجد من يدفعه، وقد

أصبح القوة الأعظم والأوحد في العالم،

والرؤى الماني الكريمة التي دعا إليها

مالرو بدأت تستيقظ في فرنسا خاصة،

واستجابات لها بعض الدول الأوروبية

الأخرى على استحياء، واحتضنت باريس

الدعوة، وجعلت من هذا العام مهرجاناً

تدور فيه المحاضرات والندوات حول

موضوع: «عندما كانت العربية لمة العلم،

من القرن العاشر الميلادي إلى القرن

الثالث عشر، وفي هذا رد حصارى هادئ

على المنصورية الأمريكية المتشنجة.



في المجال الأكاديمي يتفق الباحثون الأوروبيون ممن يحترمون موضوعية العلم، ومنهجية البحث، ويرتفعون بدراستهم فوق مستوى العصبية أياً كان شكلها، على أن الحضارة العربية في أوج ازدهارها، على امتداد القرن العاشر الميلادي، كانت وراء النهضة الأوروبية، ثم يختفون حول الطريق الذي سلكته إلى بلادهم.

فالعام الألماني هانز برنوس يرى أن الحروب الصليبية كانت العامل الوحيد وراء نمو أوروبا خلال القرون الثاني عشر والثالث عشر، ومنها انبثقت كل العوامل التي أدت إلى تكوين أوروبا الحديثة. أوروبا عصر النهضة والإصلاح الديني، ثم يشير أيضاً إلى أن أسبانيا وصقلية كلهما دور مهم في نقل التراث العربي إلى أوروبا، ولكنه سرعان ما ينسى رايه هذا، ويعجل من فلسطين المصدر الوحيد.

تتكمم العربية وتدين بالاسلام

بحول الكتابة التي كانت مستخدمة
سهم ولم يصلنا نص مكتوب في لغتهم
القوطية يتصل لأصمهم أو لغتهم أو
ثقافتهم أو عقيدتهم حين أن يعتقدوا
الكاثوليكية ويظن أن الملك القوطي
الذي اعتنقها أمر بحرق الكتب المتصلة
بها تقرباً إلى الكنيسة ورجالها، وربما
فعل ذلك بضغط منهم، ولا تذكر لنا
المصادر مؤرخاً أو مفكراً أو أدبياً أو إنساناً
على حظه من ثقافة يعود إلى هذا العصر،
ماستشأن رجل دين واحد من القرون
الأساس الميلادي سان إيسيدورو اسقف
إشبيلية فقد ترك موسوعة تتضمن شيئاً
من المعارف التي كانت شائعة في عصره،
وسهل فيها بعض العادات والتقاليد
التي كانت سائدة حينئذ.

سبع سنوات فحسب كانت كافية لكي
يحتل المسلمون كل شبه جزيرة إيبيريا
(إسبانيا والبرتغال) وجنوب فرنسا، حيث
توقف رحلتهم في أوائل ربيع عام ٧١٢م
قريباً من بواتييه بعد موقعة «لاط
الشهداء» حيث التقى عبد الرحمن
الفاطمي مع شارل مارتل، وثبت هذا
محيشه في مواجهة المسلمين الذين
انسحبوا بعد أن استشهد قادهم، وتغطي
المصادر الأوروبية هذه المعركة أهمية كبرى،
وتراها إحدى معارك التاريخ الحاسمة،
ذكر جيرون في كتابه الأشهر «سقوط
الإمبراطورية الرومانية»، وبعده آخرون من
الأوروبيين، ذو النصر للمسلمون في ذلك
اليوم ولكن ترى المساجد في باريس ولندن
مكان الكاتدرائيات القائمة الآن، ولكنك
تسمع القرآن وتفسيره ومنهم من رأى أن
النصار شارل مارتل وهزيمة المسلمين آخر
قيام عصر النهضة في أوروبا خمسة قرون



الجنوب ملاح علم، وهي أمور لكي تعطي
شمارها تتطلب القرب والتواصل
والتعاطف، وسهولة وسائل
الانتقال وأمنها وتوفرها، واستمداد
التلاقي واستمراره بين قطاعات عريضة
في المجتمع، ومن هنا يمكن القول إن
العناصر الثقافية التي تكونت منها
الحياة العقلية الأوروبية في مجالات
الصكر والفلسفة والعلم والشعر والقصة
في القرن الحادي عشر الميلادي وما تلاه،
وحتى في الأدب الحديث، تعود هي جانت
كبير منها إلى الحضارة الرافدية التي
توهجت عند جيرانهم الآسيان المسلمين،
من هذه الأرض جاءتهم، وعلى أيدي
أبنائها قتلهم، سواء كانت إبداعاً أندلسياً
أصيلاً، أو عربياً مشرقياً وافداً

ماذا وجد المسلمون على الأرض التي
فتحوها ٩ قرون قبلنا قصة من أولها
في مطلع القرن الخامس الميلادي
عبرت مجموعة من القوط تيلج الثلاثمائة
ألف مقاتل جبال البرانس إلى إسبانيا،
حصلت على المقاطعات الأكثر غنى
وأزدهاراً واستولت عليها، ولأن قتلهم
للحضارة الرومانية كان أصلاً ظلوا
بنمنا عن بقية السكان، حرموها على
انصسهم الأزواج منهم، واحتفظوا
بعقيدتهم، «الإيرانية» على حين يتخذ
الآسيان الكاثوليكية ديناً، كما عمق
التفوق بين الفريقين، حتى إذا اعتنق
الملك القوطي ريكارديو الكاثوليكية عام
٥٨٩م تغير الموقف شيئاً، بدأ رجال الدين
يمارسون تأثيراً واضحاً في توجيه الدولة
سياسياً ودينية، كما بدأ القوط يكتسبون
بعض العادات الرومانية التي كانت سائدة
في إسبانيا دون أن يفقدوا صلابتهم التي
اقتصموا بها، شعباً عسكرياً، وأمة محاربة،
عربيين على امتيازاتهم حكماً وقائلاً
عنصر، أولياء لولا اللههم وصلاتهم، يحبون
الله، ويعشقون النبوة، ويتسمون
بالهتف والقسوة، لم يتطرق إليهم
الفساد الذي أتى على الإمبراطورية
الرومانية، واحتفظوا بروحهم العسكرية
حتى نهاية حكمهم، وهي صفات لا تكفي
وحدها لخلق مجتمع متماسك، وبناء
دولة قوية، ذلك أن الثورات والحروب بين
القبائل بعضهم البعض، وبينهم وبين
الشعب أضعتهم، فانهارت دولتهم كقلمة
من ورق أمام الفتح الإسلامي،
لا نعرف شيئاً من ثقافة القوط،
وربما لم تكن لهم ثقافة أصلاً، فنحن

كان عبد الرحمن الفاطمي يأمل
قبل استنهاده، أن يتجه شرقاً ليلقي
مع جيش الخلافة القادم من دمشق
على أبواب القسطنطينية، وهو حلم
ذهب به استنهاده من جانب، وانهار
دولة بني أمية في المشرق من جانب
آخر، ومعهم انتقل مركز النقل
المسياسي في الإسلام من دمشق إلى
بغداد، ومع ذلك لم يتوقف نشاط
المسلمين في جنوب فرنسا بعد معركة
بواتييه، فاحتلوا مدينة أفيينيون عام
٧٢٤م، وبعدها تسع سنوات اقتحموا
مدينة ليسون، وظلت مدينة
أرونسة قاعدة لجيوشهم
حتى عام ٧٥٩م.

كانت أسبانيا حين سقطها المسلمون ندب في حملتها بالكاثوليكية. مع طوائف وثنية في أطرافها، ويتكلم أهلها لهجات عامية من اللاتينية سوف تأخذ اسم «الرومانشية»، (الرومانية في غير الأسبانية)، وهي لهجات غير مكتوبة تختلف من دولة وأصواتا من مقاطعة إلى أخرى. ويصعب اللاتينية في أحد مستوياتها لغة يعبروها رجال الدين حسب ما يؤولون بها الصلوات ويلتقون المواعظ، ويسونون فيها متطلبات الحياة اليومية البسيطة.

وقد انتشر الإسلام في سرعة لم تعد من قبل في أي قطر فيها المسلمون. رغم أن الفاتحين لم يكرهوا أحدًا على تغيير دينه، هي ظاهرة أهدلت المؤرخين الأوروبيين وزدها إلى أسبانيا سياسية واجتماعية ونفسية، منها أن الأسباني لعادى لم يكن متشككًا في مسيحيتهم. وإن أزمة هوية هائلة وغائرة كانت تقوم بين الشعب وحكامه ورجال دينه. أغلب السكان كانوا من رقيق الأرض، ولامتهم يتكلمهم الحرية في الحال، ويصيحون كالأخريين على قدم المساواة.

دور وثائق أو صواب أو إجراءات ويرى علماء الاجتماع منهم أن الإسلام كان ديكًا حين ترك الناس أحرارًا فيما يعتقدون. لأن هذه الحرية أحرمت أصنافهم العناد روح التحدي والفتاوى والحرص على متفاداتهم والتمسك بها وهو ما يحدث عندما يكرهون قسرا على تغييرها ويتكبرون على ذلك شاهدان أو قورين من اثنتي عشرة نصرايين، وتولى ديوان الإنشاء للأمير عبد الرحمن الثاني، ٨٢٢ إلى ٨٥٢. ويحدث أن حينما الخوارج مستواه في العربية بأنه كان قريب كل من يتحمل اللغة في عصره، ومع بلاغته وجودة رسائلها نصيرا بالحساب، عارفا بعلمانية العويصة، مدققة في الحسابات الصعبة، مسموح الكلمة عند الأمير، فقدحت يده يوما أن تكون إيجارة الأسبوعية يوم الأحد بدل الجمعة له. وللعاملين معه من النصاري، فاستجاب له، وتقرر أن يكون يوم الأحد إجازة لكل العاملين في ديوان الإنشاء، مهما كانت عقيدتهم، وكان ممن يعملون فيه عصر بى قوس، وأمن أخيه عبد الله، وجاء رد العمل بعد قليل أنه سلم وأسوة وأقاربه، وحسن إسلامه وتقصمه المصادر بأنه، السجادة العباد، حجة مسجدة قرطبة.

وكانت اللغة العربية تتبع الإسلام، ولكنها أبداً منه حركة وأوسع انتشارا. وقد أصبحت لغة كل سكان شبه الجزيرة. مسلمين ومسيحيين ويهودا، وأرسلت بكل اللغات ولهجات الأخرى التي كانت عليها إلى زوايا الدير، حتى إننا لم نعد نعرف عن طبيعتها شيئاً، إلا قليلاً من المصردات المستعصبة بها عامية أهل الأندلس. ولم يكتف النصاري بمعرفة اللغة العربية، وإنما لخصموا فيها وأجافوها، وبذلك المشرق الأسباني حوان فريئت أنهم كانوا يمارون حماسة



أدار عامة النصاري ظهورهم للفقة اللاتينية بكل مستوياتها. فاضطرب رجال الدين إلى شرح الكتاب المقدس، والسى التأليف باللغة العربية

أبى تمام، وحماسة البحتري، والعقد الفريد لأبى عبد ربه، وكتب السير القصص المغاربي والحروب، والكتب الدينية الإسلامية، وفي كتاب الدخيرة لأبى إسحاق أن السيد القتيبيطون، وهو قائد نصراني محارب من القرن الحادي عشر الميلادي كان يجلس فيسسمع إلى القاص العرب، ويعجب من بينها بسيرة المهلب من أسى صمره ويظرب لسماعها ويظرب.

لقد تعرب النصاري الذين أشرأوا للاحتفال بعقيدتهم الدينية لغة وعادات وثقافة وتقائيد، ولدينا وثيقة مهمة تحفظ بها المصادر اللاتينية وتحدد أوج انتشار اللغة العربية، ففي عام ٨٥٤م شكاليو أرسقف قرطبة من ظاهرة الصراف النصاري عن اللاتينية أو الرومانشية وإقبالهم على العربية يقول: من الذي يحفك اليوم بين أبتاعنا من المؤمنين على دراسة الكتب المقدسة، أو يرجع إلى كتاب أبي عالم من علمائها ممن كتبوا في اللغة اللاتينية من منهم يدرس الإنجيل أو الأنياب أو الرسائل؟ إننا لا نرى غير شبان مسيحيين هاموا حباً باللغة العربية، يبحثون عن كتبها ويقتنونها ويديرونها في شفق، ويقلون عليها، ويتحدثون بها في طلاقة، ويكتبون بها في جمال وأناقته، ويقولون فيها الشعر في رقة وبلاغة، يا للحنن! نصاري يجاهلون لغتهم وقانونهم ولايتيهم، ويسون لغتهم نفسها، ولا يكاد الواحد منهم يستطيع أن يكتب رسالة مقبولة أو خطاً مسلماً عليه، يستطيع أن يجد أماً لا يحصى يظهر ثقوله وشكته من اللغة العربية.

أدار عامة النصاري ظهورهم للغة اللاتينية بكل مستوياتها، واضطر رجال الدين إلى شرح الكتاب المقدس، وإلى التأليف باللغة العربية، ووصلنا نحن المستوطنات هذه الكتب، يوجد في مكتبات الإسكندرية ومدير، والتحف البريطانية، ولم يتخلوا عن العربية حتى حين رحلوا من الجبال الأسلامى إلى الجانب النصاري في الشمال، لأسباب اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية، وظلوا يستعملونها في مدينة طليطلة عاصمتهم، وفي القلاع، إلى مطلع القرن الرابع عشر الميلادي، أي إلى ما بعد استيلائهم عليها بقرون ونصف من الزمان وظل صداها قوي إلى منتصف القرن السادس عشر الميلادي، فقد لام فرانسيسكو دي بيارالويو (١٤٨٠ - ١٥٦٠م)

وهو طبيب من طليطلة، مواطنهم، سكانها لهم يستخدمون اللغة العربية، كما يهمن نقاء اللغة القشتالية (الأسبانية) ويشوه وضوحها. وحين أحدث عن الحضارة العربية لا أشير إلى عرب أو دين، وإنما أعنى اللغة العربية، واستخدموها في المسلمين في العصور الوسطى، العرب والفرس والترك والبربر والأنبياء، والتي شكلت وسيلة اتصال المعارف الأكثر تنوعاً من المسلمين القديم الكلاسي إلى المشرق إلى العالم الإسلامي، وقد جدد العلم الإسلامي صوغها، وزدها

على نحو حاسم بإسهامات وإضافات جديدة، جعلت منها في كثير من الأحيان خلقاً جديداً مبتكراً.



بعد أربعة عقود من الفتح أصبح الأندلس، بوصول عبد الرحمن بن معاوية عام ٧٥٥م، دولة مستقلة استقدمه أهلها أميراً عليهم لينصع حداً غايته توحيد الدولة، وإيجاد سلطة مركزية، ونشر الأمن، وخلق صيغة قومية تجمع تحت رايتها كل من في أسبانيا من عرب وبربر وقوط وأسبان، ثم انضم إلى قنون السلم من بناء وعمران وتعليم، وينز ثواة حركة عقلية تعهدا خلمه من ابنائه وأحفاده، أتت ثمارها فيما بعد، وجعلت من أسبانيا الإسلامية أعظم مراكز الثقافة العالمية في أوروبا حتى القرن الثالث عشر.

وفي هذه النهضة احتلت مدينة قرطبة بوصفها العاصمة المكانة الأولى والنموذج الحثدي، ولم يكن يساويها في جلالها ورقيها إلا الإسكندرية في القرن الأول الميلادي، وفساد على أيام الرشيد والمأمون، وباريس في القرن الثامن عشر. ويختلف المؤرخون المعاصرون في عدد سكانها، بعضهم يتجاوز ما للمليون، ويهبط به الآخرون إلى مائة ألف، وفي غيبة الوثائق الحاسمة كل من هي محتمل، ولكن الرقم الأخير غير مستحيل، أما قرطبة المعاصرة، وهي مجرد مدينة أسبانية تضم من السكان ماثلتي ألف نسمة وتليق، وكانت قرطبة العاصمة أوسع امتداداً وأكثر أنبية، ومركزها عاصمة، كل ذلك يجعل منها أضعاف ما هي عليه الآن. وإذا استخدمنا الأرقام وما لدينا منها كاف لإلقاء ضوء على حجمها قلنا: كان بها في القرن الحادي الميلادي ٣٨٧٧ مصلحاً، ٢٩٥ فاشيرة (= ريشا) و٩١١ حماما، وطبخاً إحصاء أمر به النصور من أبى عامر في أوائل ذلك القرن كان فيها ١٢١٣٠٠ بيت يسكنها العامة و٦٠٠٠ بيت يسكنها الخاصة وكبار الموطنين، و٥٥٠٨٠ دكاناً، ولا بد في هذه الأرقام البسوت الموجهة ولا الحمامات ولا الشفاط، ويسمون داراً للكتب.

وكانت قرطبة، شأنها في ذلك شأن أي مدينة أندلسية كبرى، تضم خارج أسوارها حدائق واسعة مخضرة ذات خيائل، تستخدم لأغراض عديدة، ففي جانب منها يقام السوق الأسبوعي، وفي آخر مصلى إقامة الصلوات في الهواء الطلق، خاصة في الأعياد والحفلات الدينية، وإلى جانبها طريق ممتد تحمه الأشجار العالية، ويتخذ المشاة والخيول والعناق والمطلون ملتقى لهم.

وكان للطليطلة العليا بيوت ريفية فاخرة، تقوم وسط جنان ممتدة، تسمى «مينة»، وإذا كبرت جداً واتسعت أخذت

اسم، خبير، وهذه الحداثك رغم خصوصيتها تمتع في المناسبات في وجه الراغبين من عامة الشعب، ويعصها إلى يستحل للمثقفين والأدباء وأصحاب الدق الربيع فحبس، ومصطلح، منية، ليس عربياً، وأحبب أنه هيروغليفي أو إغريقي، ولا يستخدم إلا في مصر والأندلس، مما يشي بأن المهندسين الذين كانوا يقومون على إنشاء هذه البيوت الرومانية الجميلة كانوا مصريين، وكتب التاريخ نادراً ما تشير إليهم. وكان يطلق على المهندس اسم، عريف، وانتقل المصطلح إلى الأسبانية بحرفوه ومعناه المعماري Alarife، ويستخدم حتى يومنا هذا. ولا تعرف أسماء هؤلاء المهندسين أو العراف على كثرتهم لأن كتب التاريخ نادراً ما تشير إليهم. ولقلة منهم سجلوا أسماءهم على الأبنية التي خططوها. ومن هؤلاء (أشنان مصريان: حسن بن جعفر الإسكندراني وأخوه على، وأشرفا على ترقيم بعض قصور مينة الهرراه التي أقامها عبد الرحمن الناصر في صاحبة من قرطبة.

بعض هذه القصور كان به حدائق للحيوان، تضم نماذج من حيوانات المناطق البعيدة كإسراقات والنعام والجمال والطيور الناطقة. وفيما بعد سوف يقدمهم في هذا ملوك الأندلس في القرن الحادي عشر، مثل: هنري الأول ملك إنجلترا، وهيدريكو الثاني ملك ألمانيا.

وتتميز كل أسرة داخل بيت مستقل عادة، والداخل في صلة له بالمشكل الخارجي، فهذا متواضع، لا يختلف فيه بيت عن آخر، في شارع عام أو درب نافذ. أما الدخا فيمكنه قدر كبير من الترف والرفاهية، حسب الإمكانيات الاقتصادية والمكانة الاجتماعية، فالكهنة، وتوسط البيت صحن، مهما كان متواضعاً، أو مكانه فقراً، فيه يتر، وتنتشر فيه أشجار مظلة أو مثمرة، أشبه ما يكون بحديقة صغيرة تتزاحم فيها الزهور والرياحين وأشجار الفواكه أحياناً، وتضيق أو تتسع حسب قدرة صاحبه، وتحترقها قوات تحمل لرى الأشجار وأصحاب البيت، أو لتذنية النواخير في وسطها أو على جوانبها، ويبدأ عنها تمتد قنوات أخرى مغطاة، تحمل المياه القذرة إلى قناة في عمق الشارع، تحملها إلى خارج المدينة. ويختقر المدينة شارع رئيسي متسع يسمى، المحجة العظمى، وانتقل هذا النظام إلى المدن الأسبانية فيما بعد كبيرة أو صغيرة مع ترجمته إلى اللغة الأسبانية فأصبح Gran Via. وعن هذا الشارع تتفرع الشوارع الأخرى والأزقة والدروب والشوارع مرصوفة، وتقوم على جانبيه الأشجار وأشر أعمل قرطبة إن تكون هذه أشجار بركقال، وهو تقليد لا يزال قائماً حتى اليوم، في الأحياء المتبقية على الأقل، وتحترم السكان هذه الشمار فلا يقطعونها إلا إذا كمل نصعها. وسقطت بنفسها، وتضاء الشوارع ليلاً، وهو ما لم تكن تتمتع بمثله لئلا أو

باريس حتى بعد سبعة قرون من ذلك التاريخ. وبعد ذلك بقرون كان الذي يجزو على الخروج من بيته في يوم مطير يوصف في الأوج إلى من مقربه، وبينما علماء قرطبة وسراقتها يستمتعون بالحمامات الفاخرة، وتعمم العادة بأخري عامة، كانت جامعة أكسفورد ترى الاستعانة عاذ وثنية.

وتضاء البيوت بالشموع والتقناديل، وتستخدم النيران في بيوت الأغنياء، وتم التدفئة في الشتاء عن طريق إجراء الماء الساخن عبر الحجرات في أنابيب المصار. وفي الحجرات المستخدمة اليوم في أسبانيا وكل أوروبا العربية، وإن حلت الأنابيب الحديثة محل الفخارية، أما المقراة فكانوا يستخدمون الموقد العادية. وفي الصيف يواجه الناس الحر برش الصحن جيداً بالماء أكثر من مرة في اليوم.

ولم توجد في الأندلس مشاف عامة، رغم علمهم بوجوها في الشرق، فقد كان ابن عتيق الجبلي، وهو طبيب أندلسي يعمل بمصر يستمشي السعطات في مصر، والتعليق عتدي، قلة الأراضي لطيب الهواء، وجودة الفداء، إعدام الوباء، ورعاية الأطباء، الخصوصيين، ويركبي هذه الزورى وجود حتى قائم يتسلى خارج المدينة يسمى، ريش المرضي، لتدني يستعصي علاجهم أو يبطئ، أو مصابين بأمراض معدية، تقوم على رعايتهم جماعات متطوعة، إشرافاً وإنفاقاً وعلاجاً، مما تتكاهن من أهل الخير، أو مما يوفهم عليه عن مال أو أرض أو عقار، ويذكر ابن جليل في طبقاته أن أحمد بن يونس الحراني أقام خزنة للطب (- صيدلية) في قصر الخلافة، لم يكن قط يفتقر، ورتب لها اثني عشر صبية، طبائعين للأشربة، صانعين للمعاجين، وأساتذة أمير المؤمنين أن يصرّف منها كل ما يحتاج من المساكين والمرضى، فأباح له ذلك.

كانت الثقافة العربية في الأندلس تنهض، في جوهرها، على دعائمين، دراسات إنسانية يأتي في مقدمتها علوم الدين واللغة، ومتكسبات مقدمة كمة الترجمة التي ازدهرت في المشرق في العصر العباسي، ولم يخلج المسلمون قط بأنهم استأفدوا من علم غيرهم، لتكفوه وأضافوا إليه وطوره ليكون في صالحهم. ومع ذلك كان لا بد أن يعرض قرن ونصف من الزمان حتى تقع على بذور حركة علمية جديدة بالتسجيل وذات مستوى، ولم يصف عن رعي الأندلسيين أن جبراهيم في الشمال عارفين في العجز السياسي والذهني، وليس لديهم ما يقدمونه لهم، وفي البدء اعتمدوا على ما يترجمهم في المشرق، ثم انفتحو إلى القليل الذي أصابوه من نصوص لاتينية جبدوا لترجمته على نحو غير منهجي، واتسم



تضاء البيوت بالشموع والقناديل، وتستخدم الثريات في بيوت الأغنياء، وتتم التدفئة في الشتاء عن طريق إجراء الماء الساخن عبر الحجرات في أنابيب من الفخار

معظمه بأنه منجراً ومجهول المؤلف والترجم، وضاع جلد، وما وصلنا منه إشارات إليه، أو فقرات مشتاتة منه، ممترة في مختلف المصادر. وتم لعيات عملية، فالتعب الذي مارسه العرب الأوائل في الأندلس كان عماد كتابها متقلاً عن اللاتينية، يسمى، المصنول Alorismos، ومنذ القرن العاشر الميلادي أخذت الترجمة وصمها الفصل حين وأهى فمستعظنين المصابع إمبراطور بيزنطة (٩٥٩م) عبيد الرخس الباصر خليفة الأندلس بحملة من الهدايا، لتقريباً وتودد ولتحسين العلاقات بين الدولتين، وكان بينها كتابان، أحدهما باللغة اليونانية والثاني باللاتينية.

أما الكتاب الأول فسبها فكتبات ديسقوريدس ويضم عرضاً مصوراً للنباتات والثبات التي تستخدم في الطب، وترجم من قبل في بعده، وزعم أن حين بن إسحاق شيخ المترجمين راجع الترجمة وصححها وأجراها، بقيت عشرات الأسماء لا يعرف لها مقابل في العربية، فكانت تترك بأسمائها اليونانية مرسومة في حروف عربية، فتحس لا معنى لها، وهكذا وصل الأندلس، فإرادات صحتها العائدة منه، وكان إمبراطور بيزنطة قد أرفق مع الكتاب رسالة تلخيفية، (إن هذا الكتاب لا يبلغ الفائدة منه إلا رجل يحسن العبارة باللسان اليوناني، ويعرف حقائق تلك الأدوية، فإن كان في بلدك من يحسن ذلك فترجمه بلغته، وأما الثاني فيمكن من يحسن اللاتينية، ويمكنهم أن ينقلوه إلى اللغة العربية.

ولم يكن بين مصاري الأندلس من يجيد اليونانية، فأرسل الناصر إلى الإمبراطور يسأله أن يبعث إليه برجل يتكلم اليونانية واللاتينية ليعلمها بعض فتيان القصر من الصغار، فأرسل إليه الراهب سقولا، الذي وصل قرطبة عام ٩٥١م، وألفت لجنة بإشرافه، تمكس في تكوينها، ما كان سألها، في هذه الحقبة من تاريخ الأندلس، من يسمح ليس وسياسي، فقد صممت علماء من مختلف الأعراق والأديان، وكانت مهمتها جانب ترجمة الكتاب إلى العربية لتحديد أنواع النباتات وأسمائها ومكانها من الأندلس، وبقي القليل جداً مما لم يبعثوا إليه، ووفق الناس بالكتابة، وأخذ في العربية أسماء متعددة اللاتينية المعقدة، والمقالات الخمس، وكتاب الحفاش، وكان النقل يتم من اليونانية مباشرة، وأحياناً من هذه إلى اللاتينية، ثم إلى العربية، وتركت الأندلس، أحاسفاً في مجرى دراسات الطب والنسب في الأندلس وأخذ الراهب سقولا بما في قرطبة من حصان، ورعايته عيش.



الأصغر الأولى الملاحظات والتجارب العلمية ولقنتها.

لحسن الحظ لدينا وثيقة مهمة من الطريقة التي كان يتم بها تدريس الطب في مخطوطة فريدة تحتفظ بها مكتبة الإسكوايال. قريبا من مدريد، تحتوي بعض المذكرات التطبيقية، كتبها طالب يدعى محمد التميمي الطليطل، ويرى ميخائيل غزيري وهو راهب ماروني على حبيب عمل مترجما في خدمة الملك الإسباني كارلوس الثالث (١٧١٦، ١٧٨٨). وعهد إليه هذا بمهنة المخطوطات العربية التي في دير الإسكوايال لأول مرة، فقام بهذه المهمة، ولم يكتف برصدها، وإنما رافق هذا بملاحظاته عليها، موضوعا أو مؤلفا. باللغة اللاتينية، يرى أن هذه المخطوطة مذكرة لامتحان على في الطب، تعرض لنا الخطة التي كانت متبعة في الدراسة في المعاهد الطبية العليا في الأندلس، وتستخلص منها أن الطريقة المعتادة كانت تتم على النحو التالي:

يمحص الطبيب المريض عندما يعرض عليه، ويسأله عن كل ما يشتد أنه مفيد في تحديد المرض ومعرفته. ثم يدعو الطالب لكي يفحصه أيضا. وخلال تبادل الأسئلة والملاحظات بين الأستاذ والطالب تتم عملية الإعداد. وفي النهاية يكتب الطبيب العلاج. ويحدث كثيرا أن يمسأ الأستاذ تفسير له، ولم يدخل عليه هذا بالجواب. ومع أنما لا نعرف شيئا عن المناهج القديمة، فإن ذلك لا يقلل من قيمة المعلومات الثيرة التي تضمنتها هذه المخطوطة خاصة فيما يتعلق بالدراسة العملية في تلك الأيام ويفسر لنا بعض الوسائل المتاحة للدراسة العملية في أسبانيا الإسلامية. تظهر حرص بعض الأسر على تأوير مهنة الطب، وأن يتخصص أفرادها فيه. لأن قلة من حسب على يتاح لها ما يتاح لابن الطبيب نفسه، من التدريب الجيد. والدراسة العملية المتواصلة. فهو يصحب والده دوماً. وقد شوهد الأندلس بهذا. وظلت الأسر تتوارث مهنة الطب أجيالا عديدة، مثل أسرة يونس الحراني. ويتوارثون وبن الرومية وآخرين. ويثبت النظران أن هذا التقليد ظل ساريا على نحو ما في أسبانيا حتى الآن، فاسرة براكيري، في برشلونة تتوارث مهنة طب العيون منذ القرن السادس عشر الميلادي. وثبتت فيه بلا حدود. واشتقر على مستوى دولي.

أول طبيب أندلسي عظيم تلقى به: أبو القاسم الزهراوي (١٠١٣) نسبة إلى مدينة الزهراء، ضاحية في قرطبة كانت مقر الخليفة عبدالرحمن الناصر. وقواده وخدمه ولطيفة العليا من قومه ويعرف عند الأوروبيين في العصر

الوسط وما تلاه باسم Abulcasis. وكان أعظم جراح أندلسي، طار كره بين الشرق والغرب. وشغل وظيفة طبيب البلاط في عهد الحكم الثاني. وتعتمد شهرته على كتابه المسمى: «التصريف» ليس له قدرته على استيعاب الوصفات الضخمة، وهي موسوعة جاءت في ثلاثين جزءا. ولف قسمها منها على الطب. وثانياً على الصيدلة والأخير على الجراحة.

وكسر هذا الأخير على ثلاثة أبواب، تناول في الأول منها العلاج باليد، وفي الثاني العمليات بواسطة الشق والبضع. وأمراض العين والأنف. واكتشبت العصور داخل المختارة، والشفق وأمراض النساء. وعنى في الثالث أنواع الأمراض وتجهيز ضروب الكسر والقطع. وضعه رسوماً فنية كثير من أدوات الجراحة. وثالث هذه القسم أسرى درجات التقدير في أوروبا المسيحية لم ينشر الكتاب كاملاً إلا في نصه العربي، ولا في ترجمته اللاتينية. ولما ترجم وطبع على مراحل.

وبينما كان الزهراوي يملأ الدنيا ويضلل الناس طبيباً متميزاً في قرطبة. كانت هناك أسرة بأمكنها تهيأ لتأخذ المكانة نفسها في مدينة أندلسية أخرى. ورثت عاصمة الخلافة في أسباجها. وأصبحت حاضرة الأندلس الأعلى كراً في عهد الطوائف، والوحيدة في عصرى المرابطين والموحدين، وأولئك هم: بنو زهر في أشبيلية. وشغلو مكاناً عظيماً في عالم الطب على اعتداد القرن الحادي عشر الميلادي والقرن الثاني لثلاث. وامتد نشاطها في هذا المجال خمسة أجيال متعاقبة. عمل أغلبهم بالطب. وبعضهم جمع إلى جانب الشعر والأدب والفلسفة. ظل نشاط المسلمين في أسبانيا حياً متوجهاً حتى أوائل القرن الثالث عشر الميلادي. ثم جعلت قوا لعمال أمها هزيمة الموحدين في معركة القناب في ١١ يونيو ١٢١٢، فقد كانت قاصمة الظهر. خس المسلمون معركة. وحصد الموت أبرياء المقاتلين والمتطوعة. وبلغ الشهداء عدداً لم تعرفه أي معركة أخرى في تاريخ الإسلام، حتى أن المسار. كما يقول المؤرخون. كان يقطع المسافات الطويلة دون أن يرى رجلاً. لأن زهرة الرجال راحت صرعى ذلك اليوم الأشبه، ويعداه أصبحت حدود الدولة مفتوحة أمام الغزاة من نصارى الشمال، وأدى احتقاد الأمن إلى مرحلة من التفتت والفتنار انتهت باستيلاء النصارى على كبريات المدن الأندلسية. وبدا الأغنياء وملوك الأراضي وكبار المقتضين يرحلون إلى شمال أفريقيا أو المشرق، ومناطق أخرى أكثر أمناً. وأثناء سقوط هذه المدن أصدر ألفونسو الثاني ملك كشتالة أوامره بترجمة كل ما يجدونه من الكتب العربية التي تقع في أيديهم إلى اللغة اللاتينية أو القشتالية.



حفل الأندلس في القرن العاشر الميلادي بأعداد كبيرة من النباتيين الأطباء يجمعون بين العلم وبحقائق النبات، والتبداوى بالأعشاب

وعندما شهدت مملكة غرناطة، وكانت كل ما تبقى من الأندلس في يد المسلمين استقراراً نسبياً انبهت من جديد نهضة ثقافية ذات طابع أندلسي، غير أنه لا يمكن مقارنتها البتة بما كانت عليه النهضة في الفترة التي امتدت من القرن العاشر حتى الثالث عشر الميلادي. ولم تعرف هذه النهضة الثانية أطباء عظماء محترفين، غير أن الموسويين من كبار أدباها ومفكرين وسياسيينها ألفوا في الطب النظري كتباً تعكس ثقافتهم الواسعة في هذا المجال، وهي باللغة الصائفة في إعطاء صورة دقيقة عن المستوى الصحي الذي بلغته الأندلس في مجال الحياة الاجتماعية.

عظم هؤلاء المقتضين طبيباً واشهرهم: لسان الدين من الحليب (١٢١٣، ١٢٧٢). وكان شاعراً وبائراً ورواحاً ووزيراً. وله مؤلفات ورسائل ومنظومات في الطب يبلغ عددها ثلاثة عشر، وصل إلينا بعضها وضاع البعض الآخر.

وفي عام ١٢٤٥ اجتاحت الطاعون (الكوليرا) فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وإيطاليا. ودمر مملكة غرناطة. فكتب ابن الخطيب رسالة «مقنة السائل عن المرض الهائل» عرض فيها لأسباب المرض وأعراضه ووسائل إجتناؤه، وأنها تتمثل في الابتعاد عن المرض وعدم استخدام ثوبه أو أئنيته أو مكاني محله أو معجونه. وبينما هذا الموت يعمد أوروبا ولف أهلها حيازي أمامه، وأتصروه عمال من أعمال الله لا يصح الاعتراض عليه، دافع ابن الخطيب عن نظرية العدوى ودعا إلى محاصرة المرض وعزل المرضى.

وفي الوقت نفسه، قام ابن خاتمة من المري، وكان صديقاً لابن خطيب، وعانت مدينته من الوباء أهوالاً. فألف فيه: «تصنيف غرض القاصد في تفصيل المرض الوائد». وفيها شدد على أهمية عزل المرضى. ووصف حالة المدينة على أنه أيامه. وقام دكتور مصري من طه دنانة بترجمة كتابه الألمانية ونشره في المجلة الطبية في برلين عام ١٩٢٦. وعن النص الألماني قام الصيدلي جوسيه فرنانديز من مدينة المري بترجمة الجانج الطبى فيه إلى اللغة الأسبانية، ونشره في مجلة الحاصر الطبي التي تصدر في غرناطة عام ١٩٤٨م.

وتمة مؤسسان طبيين أحدهما العرب اللاتينى عن أسبانيا الإسلامية قبل نظام المستشفيات. وامتحان الأطباء، قبل أن يؤذن لهم بمزاولة المهنة. وكان هذا الامتحان معروفاً في أسبانيا منذ القرن الحادي عشر الميلادي، وبعد ذلك يعانى عام انتقل منهما إلى بقية أنحاء أوروبا.

... العدل أساس الملك

عقبها، ولا تنرد في البدل والتضحية. مهما كانت الظروف، المحيطة غير مواتية. أو مهما كانت الإمكانيات محدودة، فالرجل الذي يعيش له ومن أجل الله، لا تعطل لديه تحقيقه أى عقبات. تحدث عنه العباد الكائنات الأصغيات، فقال

«وكان لا يلس إلا ما يحل ليس، وتطبيب به نفسه، كالتيحان والقطن والصوف، وكسوته يخرجها في إبداء المعروف، وكانت محاضرة مصونه من الخط، وخواطه مقدسة بالعلم، ومجالسه منزلة من الهزء والهزل، ومجالسه حافلة بآهله بأهل العسل، وما سمعت له قط كلمة تسقط، ولا لألفة قط تسقط»

يلطم على الكافرين الخارجين، ويلين للمؤمنين المتقين، ويؤثر سماع الحديث بالأسانيد، وتكلم العلماء عنده في العلم الشرعي الفريد، وكان لدامية الكلام مع الفقهاء، ومشاركة القضاة في القضاء، أعلم منهم بالأحكام التشريعية، والأسباب المرضية، والأدلة المرجعية...

لقد كان يقضى الأشهر والسنوات في ساحة القتال وهو صابر على مفارقة أولاده الصغار، راضٍ ببعدهم عنه، وكان صابراً على مر العيش وخشوعته، مع القدرة الثابتة على غير ذلك، احتسباً لله تعالى، وكان ابن شاذي يتعجب من قيادته للجيش وهو مريض، وإيامه بتنظيم الصوف والقتال مع الجنود وهو يعاني الآلام، فبره عليه صلاح الدين: إذا ركبنا يزول عن الألف!

إن شخصية لتحمل الألف وتصبر على خشونة العيش، هي من كرم الأخلاق بكان كريم، وكثيراً ما كان يتقبل الإساءة في صبر وحلم، ويغفو عن المسيء دون أن يسبه به الظن، وكان يحدث أحياناً أن بعض المسيئين والتظلمين يفلظون له في القول، فيستقبل قولهم «بالبر» والقبول، وكان الناس يتزاحمون عليه لعرض شكواهم، وربما داسوا على أطراف شياهم أو المرتبة التي يجلس عليها بأقدامهم، وهو لا يتأثر لذلك ولا ينمعل ولا يتضايق، ولا يستمر في النظر في الشكاوى ويمضي في قضاء الحاجات في أناته وحلم.

يروى ابن شاذي قصة كان شاهد عيان فيها، يستندها بها على حلم صلاح الدين وعفوه، فيذكر أنه حدث في أثناء الصراع بين ريشارد وصلاح الدين حول يافا أو أحرار سنة ١١٩١م، أن بعض الأساكير صلاح الدين، ورفضوا تنفيذ أوامره، وأجابه بكلام فيه خشونة، فتركهم صلاح الدين

(كالمقصوب)، حتى حبل لن زاه أنه ربما قبل جماعة من الصاكير في ذلك اليوم لما اتود من أعمال وأقوال. ولم يزل صلاح الدين سائراً حتى وصل إلى يافا وحوله الأمراء يرددون خيفه، وكل منهم يعتقد أنه مسخوط عليه، حتى ابن شاذي نفسه، مع عظم مكانته عند صلاح الدين يقول: «لم تحدثني لمسى بالدخول عليه خيفة مني حتى استدعاني، فلما دخل ابن شاذي على صلاح الدين طلب منه أن يجمع الأمراء ليشاركوه في أكل فاكهة وصلته من دمشق، فحضر الأمراء وهم خالسون، فوجدوا من شره وإنبساطه ما أحدث لهم الطمانينة والأمن والسرور، وانصرفوا على عزم الرحيل للقتال، كان لن يجر شيء أصلاً»

صلاح الدين في حضرة ابن شاذي، وزوده ببعض النصائح والمبادئ التي ينبغي أن يسير عليها في حكمه، وهي في حد ذاتها تعبيراً صادقاً أميناً عن أسلوب صلاح الدين نفسه في الحكم، وإكثاره عن طرق معاملة الرعية، ومبادئه في رعاية شئون البلاد والعياد. قال صلاح الدين لأبيه، وأوصيك بتقوى الله فإنها رأس كل خير، وامررك بما أمر الله به، فإنه سب نجاة، واحذر من الدماء والدخول فيها والتسلط لها، فإن الدم لا ينال، وأوصيك بحفظ قلوب الرعية والنظر في أحوالهم، فإني أؤمن وأمين الله عليهم، وأوصيك بحفظ قلوب الأمراء وأرباب الدولة والأكابر، فما بلغت ما بلغت إلا



الصفات الشخصية لصلاح الدين، لا تنمصل عن أخلاقه في الإدارة والسياسة والحكم والقيادة، وإذ كانت عبارة: «العدل أساس الملك» جامعة مانعة في بيان ضرورة العدل، لتباعد الحضارة العظيمة أو بناء الدولة المحترمة، فإن صلاح الدين أقام بناء سلطنته على مصر والشام وشمال العراق وعبرها على «العدل»، في أهم صورته وأخصها.

أراد الملك الظاهر غاري، ابن صلاح الدين، أن يستأنف أباه قبل رحيله إلى إمارته في حلب وشمال الشام، فاحتلى به

بمدارة الناس، ولا تحقد على أحد فإن الموت لا يبقى على أحد، وحادراً ما بينك وبين الناس فإنه لا يصر إلا برهانهم، والعدل بينك وبين الله يغفره الله موتك إليه فإنه كريم... ألبست هذه الوصية تشل ما يسمى بلغة عصرنا «العقد الاجتماعي» بين الحكومة والشعب، وفيها حفظ كرامة الناس ومآلهم والصالحات الاجتماعية والشفافية والنزوى ووحدة الشعب والصدقة على أسس التقوى والصحة التي يؤسس لحكومة رشيدة فاضلة، استحققت

أن تذهب «للمداهنة»، إلى «المداولة»، وأن تقيم نموذجاً «قرب إلى الخلافة الرشيدة» أن الدولة الحائلة المحككة الوالعة هي دماء أسانته وكرامتهم وحريتهم، لا تستطيع أن تتأهل، للمداولة، فضلاً عن أن تصل إلى «المداولة».

يتحدث ابن شاذي عن عدل صلاح الدين فيقدم ذلك بالحديث عما رواه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أن النبي قال:

«الولي العادل ظل الله في أرضه، فمن نصحه في نفسه أو في عياده أظله الله تحت حرشه يوم لا ظل إلا ظله، ومن خان نفسه أو في عياده خذله الله يوم القيامة، يرفع للوالى العادل في كل يوم عمل ستين صديقاً كلهم عابده مجتهد لنفسه»

وكان يرحمه الله، عادلاً روعياً رحيماً، فاضراً للصفى على القوى، وكان يحسن للعدل في كل يوم اثنين وخميس في مجلس عام، يحضره الفقهاء والقضاة والعلماء، ويستفتح المجلس للمحاكمين حتى يصل إليه كل أحد، من كبير وصغير، عجزو حرمة، وشيخ كبير، وكان يشغل ذلك سقراً وحصرًا.

على أنه كان في جميع أزمائه، كما يقول ابن شاذي، قلاباً لجميع ما يعرض عليه، كاشفاً لما ينهني إليه من المظالم، وما استغاث به أحد إلا وألف وسمع وصيته وكتب ملامته، ولم تقف العدالة أمام وزير أو كبير، حتى صلاح الدين نفسه، وقف أمام القاضي في ادعاء كاذب من أحد التجار ليثبت برأته، دون أن يثير ذلك حشده أو حنقه على المدعى ويروى ابن شاذي في ذلك حكاية طويلة ملخصها أن تاجراً يدعى «عمر» الخلاطى، زعم أن السلطان «صلاح الدين»، أخذ منه مملوكاً يدعى سنقر، واستولى على ثروة هذا المملوك بدون وجه حق، وأظهر صلاح الدين كبيراً كرمياً ورضى أن يقف موقف الخصم من صاحب الدعوى أمام القاضي، وأحضر كل طرف من لديه من الشهود والأدلة التي تثبت رأيه، وأصبح في النهاية كذب الرجل ويطلان ادعائه على صلاح الدين، وعندئذ رفض صلاح الدين أن يترك المدعى يخرج من عنده خائباً فامر له بخلة ومبلغ كبير من المال... لقد أنشأ صلاح الدين ما يعرف في عصورنا بالولايات



كتاب الزاوية

الأذكىاء

ذكاء لص

عن المبرد قال: حدثني أحمد بن المعدل البصري قال: كنت جالساً عند عبد الملك بن عبد العزيز، فجاءه بعض جلسائه، فقال: أعجوبة، قال: ما هي؟ قال خرجت إلى حانطي (بستان) بالفاقة، فلما أن أصبحت وبعدت عن بيوت المدينة، تعرض لى رجل. فقال: اخلع ثيابك، فقلت: وما يدعوني إلى خلع ثيابي؟ قال: أنا أولى بها منك. قلت: ومن أين؟ قال: لأنى أخوك وأنا عريان وأنت مكس. قلت: فالواساة؟ قال: كلا قد ليستوا برهة، وأنا أريد أن ألبسها كما ليستوا. قلت: فتمرينى وتبدي عورتى. قال: لا بأس بذلك قد رويتا عن مالك أنه قال لا بأس للرجل أن يفتسل عرياناً. قلت: فيلقاني الناس فيرون عورتى؟ قال: لو كان الناس يرونك فى هذه الطريق ما عرضت لك فيها، فقلت: أراك ظريفاً، فدعنى حتى أمضى إلى حانطى وأترع هذه الثياب، فهاوج بها إليك. قال: كلا أردت أن توجه إلى أربعة من عبيدك، فيحملوني إلى السلطان، فيجسنى قلت: كلا. أحلف لك أيها أنى أوفى لك بما وعدتك، ولا أسوءك. قال: كلا. إنا رويتا عن مالك أنه قال: لا تلتزم الأيمان التى يحلف بها اللصوص. قلت: فأحلف أنى لا أحتال فى إيمانى هذه. قال: هذه يمين مركبة على اللصوص. قلت: فوالله لأرجهن إليك هذه الثياب طيبة بها نفسى، فأطرق، ثم رفع رأسه وقال: تدرى قيم فكرتى قلت: لا: تصفحت أمر اللصوص فى عهد رسول الله ﷺ وإفتنا هذا، فلم أجد لصاً أخذ تسمة، وأكره أن أبتع فى الإسلام بدعة يكون على وزرها ووزر من عمل بها بعدى إلى يوم القيامة: اخلع ثيابك. قال: فخلعتها ودفعتها إليه، فأخذها وانصرف.

لنفسه، ويسوى فى القضاء بينه وبين أضعف رعيته.

بل كان صلاح الدين رجلاً يحارب أعداءه بأسلحة منها الخلق والضمير وهو سلاح غريب وطرز عجيب، ليت أن العالم كله قد تعلمه، أو ليت أن المدنية الحديثة أخذته عنه.

يتذكر ابن شداد عند الحديث من شجاعة صلاح الدين وحبه للجهاد حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية».

ثم يقول ابن شداد: ولقد كان رحمه الله تعالى من عظماء الشجعان، قوى النفس، شديد اليأس عظيم الثبات، ولا يوهله أمر، ولقد رأيته، رحمه الله، مرابطاً فى مقابلة عدة عظيمة من الفرنج، وتجدد تواصل، وعساكرهم تتواثر وهو لا يزيد إلا قوة نفساً ومسير، ولقد وصل فى ليلة واحدة منهم لىف وسبعون مركبة على مكا وأذا أعداءها من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس، وهو لا يزيد إلا قوة نفس.

لم يفعل مثل غيره من قادة زمانه وقبل زمانه، حين يفتح الواحد منهم ما لجلوس فى عاصمته، ويخذف بالجيوش فى ساحة الحرب ليقبض من رجاله من يفتح ويحرق منهم من يجرح، فإذا أصابوا نصراً فاشرف والفخر له، وإن حلت الهزيمة فاتبعه عليهم وحدهم لأنهم لم ييئسوا ولم يهجموا للملوك. ولكن صلاح الدين، كان يتقدم جندته، ويسبقهم إلى ساحة القتال، ويقوم باستطلاع مواقع العدو، ويفكر مع أصراره وجنوده فى كيفية تحقيق النصر بأفضل الوسائل والسبل.

لقد استطاع صلاح الدين، أن يدخل بجدارة إلى مجال «النافعة، بوساطة شخصيته البسيطة المتواضعة الزاهدة، وحبه للجهاد والشهادة، وميثيرته فى الإعداد والتخطيط، واختيار الرجال الصالحين لمساندته ومساعدته، وبالنافعة، حقاً، المدالة، باستعادة القدس الشريف وطرد الصليبيين. فهل يعيد التاريخ نفسه؟ سؤال، أجابته لم تنصح بعد. ■

العامية تعليمية واجتماعية وصحية لتيسير حياة الناس وتسهيل أمورهم وحل مشكلاتهم ومعالجة مرضاهم فقد أنشأ العديد من المحاضر أو المكتاتب وخصص لها المعلمين لتعليم الأيتام وأبناء الفقراء، وخصص لهم جميعاً الجراية الكافية، كما أنشأ العديد من المدارس، وخصص لها المدرسين والأولاد والأزواج للإنفاق عليها وعلى طلبة العلم فيها.

واسيع صلاح الدين فضله ورعايته على الفقراء وأصحاب الحاجات عموماً مثل الحجاج المغاربة والتجارية المغربية التى ولدت فى مصر، وفضلت البقاء بها بعد زوال دولة الفاطميين، ونبهه على الموظفين المختصين أن ينفقوا عليهم من مال الدولة والأوقاف، وإن عجز عن الأوقاف فليأخذوا من صلب ماله، ويروى بعض المغاربة لابن جبير أن السلطان صلاح الدين ترك لهم حرية واسعة بحيث لم يسمح لأحد بالتدخل فى خواص أمورهم وجعل أحكامهم لهم ولم يجعل يداً لأحد عليهم.

لا ريب إذاً، أن «صلاح الدين الأيوبي، أقام ما يسمى فى مصرنا بالاجتماع المحدث، على أحدث صورة ممكنة فى زمانه، فكتب تعاطف الناس ومحبتهم، واستطاع أن ييسمط الوطن وينشر الأمن، وجعل المواطن يستطاع أن يتحرك فى أرجاء البلاد أمناً مطمئناً، فقد كان. كما يصفه العماد الكاتب الأصبهانى: «مشفوعاً فى سبيل الله بالإنفاق، موقوفاً عزمه على الأعداء بإدناء الأجل، وفى أولياءه الله بإجراء الأزواق، وما عقد فى سبيل الله قهرس أو جرح، إلا وعوض ماله بمثله، وزاده من قضاء».

يقول عبد اللطيف حمزة: «كان صلاح الدين ثابتة فى الحروب، وكان فى الوقت نفسه هديساً لا نظير له فى الفورة على الدين. وكان مكال عادلاً يأنصف الناس من

It's all about trust



Because every one who deals with us, discovers time and time again that we never let them down, we were able in two years to gain the trust of more than 5 million customers who rely on us for their mobile communications needs. OT has been expanding its customer base at an ever-increasing rate and enjoying market leadership in the countries of operations in the Middle East and Africa. Our mission is to provide the best quality service to our customers and we have always delivered that...

You too can put your trust in us!



The First Arab Communications Community

www.orascomtelecom.com

الجنس الحائر

أزمة الذات في الرواية العربية

سند الله هويدي

بيروت دار رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٣، ٦٧ صفحة



كانت الرواية العربية، التي بدأت في النشوء في أواخر القرن التاسع عشر، هي الفن الحديث الأكثر تعبيراً عن تحديات العدالة في المجتمع العربي. وقد عكست بشكل واضح، أزمة الهوية وصراع الذات العربية في مواجهة الآخر، في قصص صراع حضاري ممتد منذ القرن التاسع عشر وإلى اليوم ويصعب القول، بحسب المؤلف، أن تاريخ تكون الرواية العربية يتكاد ينحليق على تاريخ البحث عن الهوية. ولذا هذه الحقيقة التي سعى المؤلف لإثباتها، تدوين صعداً في الأعمال لروائيين عرب منهم إبراهيم نسيير (السودان)، إبراهيم نصرالله (فلسطين)، أحمد إبراهيم الفقيه (لبنان)، إدمون شعادة (فلسطين)، أيدي نحوي (سوريا)، إسماعيل فهد إسماعيل (العراق)، إلياس خوري (لبنان)، حنا ميناء (سوريا)، صنع الله إبراهيم (مصر)، حسان الشيع (فلسطين)، حيدر حيدر (سوريا)، الطاهر وطار (الجزائر)، صلاح الدين بوجاهد (تونس)، فؤاد التكرلي (العراق) وآخرون غيرهم.

والتي المألوف إلى أن الرواية صارت ديوان العرب وسجل حياتهم، وهي عبرت، عبر تطورها خصوصاً في العقود الثلاثة الأخيرة، عن تبدلات الخطاب القومي والأيديولوجي، وأن كثيراً من الروايات تحولت إلى شكل من أشكال البيت، كما هو الحال في بعض أعمال بول سليمان وصنع الله إبراهيم وسالم حميش وهالة البدرى، والرواية انتشرت أساليب عدة لتسرد العربي في إطار تناسل الوعي الذاتي وخلق جماليات عربية للرواية. يشير المؤلف أيضاً إلى أن البطولة في روايات الحديثة لم تعد مقصورة على المثقفين دون فئات الشعب الأخرى، بل صار البطل فلاحاً كما في رواية تجميل سليمان أو عاملاً كما في رواية لصنع الله إبراهيم، ويصنع الروائيين قدم نموذجاً لاتعاضد البطولة ورواية الانحلال كما فعل هود السكري.

وللاحظ المؤلف أيضاً بروز موضوع السيرة وتحقق الذات النضوبية خصوصاً في روايات جديدة لنصع وحسان الشيع وسحر خليفة.

أمام المرأة

عبد الرحمن يوسف

القاهرة المؤلف ٢٠٠٤ ١٢١ صفحة



ديوان من الشعر العمودي في زمن ساد فيه الشعر الحر وفصيدة النثر، وهو لا يحاكم الأقدمين من أساطير الشعر الموزون المصحف، وإنما يحفظ مسيرته مجرى خاصاً، يؤكد فرقته ويمكن تجارب عصره ورواه بمسيرة من أجواء الديوان ومن قصيدة يهيمون باب التراجع.

تتعالى في الظلام الأستلة بين حرجاء وتيه زوله تقبل الألفاظ زهوة دافقات وخيالي في دروب الهزولة وفنونه، ذهنتي للمعالي وورعتني في بحار الهزلة عدستني مرقاق ووصال فانا مقتول هجر وصلة

مدخل الانتقال إلى الديمقراطية

في البلدان العربية

تحرير على حليم الكواري
بيروت مركز دراسات الوحدة العربية
٢٠٠٢ ٢٧٧ صفحة



الكتاب هو حصيلة اللقاء الثاني عشر لشروع دراسات الديمقراطية في البلدان العربية الذي ينهض المركز ويصمم حصيلة المناقشات والدراسات والتعقيبات التي جرت في اللقاء، وفي القسم الثاني عرض للدراسات التي لم يتسن مناقشتها في اللقاء.

والشروع برمته ينطلق من فرضية أساسية، مفادها أن الشعوب العربية جميعها تعيش في حالة من الضيعة بسبب الاستبداد السافر والتسلط لانتظمة الحكم فيها دون استثناء، فالقول العربي قد تحللت نسبياً فيما بينها من حيث حرية القول، لكنها جميعاً، تعيق عنها الممارسة للديمقراطية الحقة، وهو ما أدى إلى تخلف مدخلات التنمية وتأكل الإرادة الوطنية وإنكشاف الأمن القومي وتضييع الثروات العامة، وهو ما يجعل الحاجة إلى

الانتقال للديمقراطية أكثر إلحاحاً فيه أي وقت مضى. والكتاب مشترك فيه مجموعة من الباحثين من دول عربية عدة منها، برهان غليون، إسماعيل الشعي، عبد الحسين شعبان ويوسف الشويري

التنظيم القضائي المصري

محمد شحى محب
القاهرة دار السروق، ٢٠٠٣ ٣١٢ صفحة



هذا النظام القضائي المصري الحقلية الحديثة من تطور مع نهاية القرن التاسع عشر، واستطاع خلال أكثر من مائة عام أن يؤدي رسالة العدالة، وإن يفتقر من هذا المستوى إلى أداء دوره كقوة ثورية فاعلة على ضبط إيقاع السلطتين التشريعية والتنفيذية في إطار متطلباته العملية الديمقراطية.

والمستشار فحشي نجيب الذي كان رحمه الله، مساعداً لوزير العدل ورئيساً للمحكمة الدستورية العليا لا يقتصر بتقديم بحث وصفي للمعامل الرسمية للنظام القضائي المصري، ولكنه يبرز العناصر الجوهرية لهذا النظام وعناصر حركته الأساسية متبهاً منها وصفاً متجسداً في الأحكام التشريعية، وهو يضيف في هذه الطبعة الجديدة بعض الأحكام الصادرة عن المحكمة الدستورية العليا والتي كان لها اثرها في المجتمع المصري.

فيصل بن الحسين

مؤسس الحكم العربي في سورية والعراق

هادي حسين غليون
بيروت دار رياض الريس للكتب والنشر
٢٠٠٣ ٢٢٧ صفحة



عندما قامت الثورة العربية في يونيو ١٩١٦ أقام فيصل بن الحسين الجيش العربي الذي تمكن من طرد القوات

العثمانية من الحجاز والشام وإقامة الحكم العربي في سورية بدءاً من سبتمبر ١٩١٨

وقد كان فيصل هو رسول أبيه الشريف حسين إلى قادة الحركة العربية القومية في الشام خلال عامي ١٩١٥ و١٩١٦، وبعد سقوط الحكم العثماني في سورية أواخر يوليو ١٩١٦، واحتلال القوات الفرنسية دمشق، غادر فيصل سورية متوجهاً إلى أوروبا ليحرص القضية العربية أمام الدول الأوروبية وفي المحافل الدولية، وحينما فرغت سورية ١٩٢٠ في العراق على بريطاني إعادة النظر في حكمها المباشر للعراق، فتح الطريق أمام فيصل ليصبح أول ملك في العراق في العصر الحديث عام ١٩٢٣ بعد قيام المملكة العراقية التي أنقذت في سبتمبر ١٩٣٣، وكان عصره امتازاً ٤٨ سنة وقال وهو على عرش الموت: أنا مروحاً، لفتت بواجبي، خدمت الأمانة بكل فؤاد ليسير الشعب بعدى بقوة واتحاد، وهذا الكتاب يبرز مسيرة فيصل بن الحسين، ويصنع كثيراً من الأخطاء والمصغ والمبس الذي تثار حول هذه السيرة

الأسبادة

برون كمرنيج
ترجمة شلمة نصر
القاهرة دار سطور، ٢٠٠٣ ٢٢٣ صفحة



مولد الكتاب هو عالم اجتماع إسرائيلي، كرس معظم حياته الوطنية لدراسة الخصميين الإسرائيلييين والعصطيين وقد كتب كثيراً مجرد من محاضر الحكومة الإسرائيلية على السلام والأمن، ليس على إسرائيل وحسب وإنما على المنطقة كلها، وقد أقيم من قبل مثاليه من اليهود المتخصصين بأنه يهودي كاره لداؤه، لكنه يدافع عن مواقفه معلناً أن هذه الوحيدة هو فتح، عين الخير من الذين لم يهيموا بعد الأخطار الحقيقية التي تتهدد إسرائيل.

وبراية فإن إسرائيل أصبحت في ظل إيزيل شارون أدلة لمبرراتها ولبيئتها الحبيطة نها، لا سياسياً الداخلية والخارجية موجهة لهدف واحد فقط هو الإرادة السياسية للشعب الفلسطيني، وهي العملية التي يمثل معها الهلالي تحلل وجود الشعب الفلسطيني ككيان اجتماعي وسياسي واقتصادي شرعي بالإصافة إلى التطهير العرقي على

العبودية في أفريقيا

عائدة العرب موسى

القاهرة مكتبة الشرق، ٢٠٠٤، ٢٢٥ صفحة



في عام ١٩١٨، نُشر المستعمرون البريطانيون كتاباً عرف باسم الكتاب الأزرق، استهدفوا من وراء نشره فضح ما فعله الاستعمار الأجنبي في أفريقيا من إخضاعهم كما يحلو لأنفسهم الاستحسان على المستعمرات الألمانية في أفريقيا بعد هزيمة الألمان في الحرب العالمية الأولى. وبعد أن أدى الكتاب هدفه، وتم اشراق المستعمرات الأفريقية من يد الألمان، اكتشفوا أن الكتاب لا يدين الألمان فقط، وإنما الاستعمار في محله فأمراد باندعاه.

وقد قرأت المؤلفات الكتاب «الممنوع».. وهاتها عمليات السلب والنهب التي تعرضت لها القارة السمراء تحت يد المستعمر الذي يصدى الآن أنه أصل الحضارة والتقدم.. وإذا كان المستعمر أراد الاقتران كتمه، فقد أرادت من كتابي أن أقرا ما ضلنا ورثنا.

والكتاب يضم فصلاً أربعة، يتناول الأول منها المستعمر في الأوتل، ويحكى قصة لروبي «العبيد» بما فيها من قسوة وسحق لأدمية البشر، وموضوعات عن الاستعمار اليهجي، وحكم بيبولد الثاني ملك ملبكا للكونغو ٣٢، هو الذي لم تحلق قدمه أبداً أرض الكونغو، وقد ازدهت في فترة حكمه أرواح عشرة ملايين أفريقي، ثم البرتغال التي أتت أول من مارس تجارة الرقيق، وكذلك الهولنديين والإنجليز وغيرهم.

ويخصص الفصل الثاني لقضية تدوير القارة الأفريقية عما حولها من أضرار وما أصابها من تخلف وتدهور بسبب عمليات النهب والابتزاز التي شهنتها طوال عقود الاستعمار فضلاً عن التعويض عن الأثار النفسية والإنسانية الهائلة لآلاف الأفارقة الذين كبلوا بالأغلال وسُيقوا إلى مزارع ومصانع أوروبا.

وتقدم في الفصل ذاته الأساس القانوني للمطالبة بالتعويض وفقاً لما طرحه الحامي الشهير لورد أنتوني جيفورد عام ١٩٤٣.. أما الفصل الثالث، فخصصه لتشخيصات كبيرة ورمعات عظيمة لعبت أدواراً مهمة في مسيرة القارة السمراء وفي الاتصال ضد المستعمر.

ويضم الفصل الأخير مجموعة من الوثائق والوقائع عن مآلات ومنظمات

بنيها حسب هموم الوطن وهموم الحياة وهو في كثير منها، إن لم نقل كلها، يقبس الأفكار والظواهر والسلوكيات على ما جاء نصص صريح في القرآن الكريم أو هي السنة النبوية الشريفة. يتحدث مثلاً عن شعوب القبح في حياتنا وعدم الإحساس بالجمال بل والتعاضد عن مقاومة القبح أصلاً. وكذلك حين يناقش التقاليد والأخلاق بين الفرق الواسعة، والتي تزداد اتساعاً، بين الأغنياء والفقراء، أو حتى في السياسة وشجونها. عن العراق وعلسطن وكوارث العالم العربي والإسلامي تحت وطأة العولمة والسيطرة الأمريكية على مقدرات العالم، وتدخلها الساهر في شئون البلاد والعباد

■

المسألة المحيية

جميل عطية الراميه
لقاهرة دار ميريت للشر ٢٠٠٣ ٢٣٨ صفحة



يسمى المؤلف إلى جبل المستنبتات الأولى، ذلك الذي حفر طريقاً ونداً في الرواية المصرية المعاصرة، وقد تشارك مع رفاهه في تأسيس مجلة «الجاري» ١٠٨ التي نشرت برواياته وشعره ذي حساسية معاصرة، وقد صدرت له من قبل مجموعات قصصية منها «الحداد يلبق بالأصدقاء»، و«حديقة الجانبي»، ومن رواياته «أصلاً» و«البحر ليس ببلان» و«التزلزل إلى البحر» وثلاثية ثورة يوليو ١٩٥٢، و«حديقة الكلام» و«أوراق سكرتيرة» و«نحلة على الحافة».. وقد استمد في العديد من أعماله، وفي هذه الرواية على وجه الخصوص من صله مراسلاً صحفياً لعدة صحف وقنوات تلفزيونية وإذاعية من سوريا حيث يقبع بمدينة بابل منذ عقود

وتدور هذه الرواية على خلفية انصافيات جنيف وتشكيل محاكم الحرب ومباحثات السلام في البوسنة والهرسك، وصداع شارون وحصار العراق من ناحية، وعالم لوحة الفكتورة سلمى مرجان من ناحية ثانية، فتأرجح القارئ على حافة سرائل من عبثية الواقع وحقيقة الفن في عالم يشرق في هذه الرواية. ينسج المؤلف لوحة موزاييك منها تترك القارئ على حافة أسئلة عدة عن واقع محزون يعيش فيها أشخاص يحاولون جادين إضائة حياتهم الموداء في حياتنا.

■

الأمريكية المسماة أرض إسرائيل. ويحسد لولم كان هذه السياسة تستعمل على تعصن التمييز الداخلي للمجتمع الإسرائيلي. وتقوض الأساس الأخلاقي للدولة اليهودية في الشرق الأوسط. واستحدثت إبادة سياسية مزودة للكيان الفلسطيني، وعلى مدى العديد للكيان اليهودي، وعليه يصيف المؤلف هذه الحكومة الرافضة تمثل خطراً محدقاً باستقرار شعوب المنطقة جميعها وسماها

■

حكاية الحكايات وبناتها

عاصي العشماوي
رسوم يهتد شام
القاهرة دار شرق ٢٠٠٣ ١٠٠ صفحة



تبعا حكاية الحكايات في التراث الأفريقي، وفي أم الحكايات التي تروى كيف جاءت الحكايات إلى الأرض وانتشرت فيها، وصارت ذاكرة الشعوب ومستودع تراثها، وهذه الحكايات تصمصف فيهم الشعوب وراثتها الاجتماعية، ويرى الناس من خلالها أصداء الأحداث المهمة في تاريخهم، وهي تصور روح الشعب ومعتقداته

كما أن الحكايات وسيلة للتعرف بين لشعوب وتعصيد لأمالها وآلامها، والكتاب يصمم بين فتيه حكاية من إيجلتر، الخير السار، ومن ألمانيا: «الأصدقاء المحضون»، ومن جازو، «الجن»، ومن إسكندنافيا، «سائس الطبول»، ومن الهند: «الفلاح والأميرة»، ومن فرنسا: «الصيد المسحور»، ومن أفريقيا: «شمس الطلال»، ومن روسيا: «الزوجة الثائرة»، وغيرها

■

ماذا أقول لكم؟

رحنى عطية
القاهرة دار شرق ٢٠٠٣ ١٤٠ صفحة



فصول متفرقة كتبها المؤلف في أوقات متتالية، موضوعاتها شتى، يجمع

وحصارات ظهرت في أفريقيا ولم تحط بهتمام الدارسين من قبل.

■

الحافظون الجدد

قراءة في خريطة الفكر والحركة

أميمة عبد الطهيد

القاهرة: مكتبة الشرق الدولية، ٢٠٠٣ ٨٧ صفحة



يبري مرزاقون أن أفكار حركة الحافظين الجدد تعبر فقط عن الحزب الحزبي، وإنما تعكس التيارات العام السائد في أمريكا، ويؤكد هؤلاء أنه يصرف النظر عن سيكولوجيا الجالس في البيت الأبيض بعد انتخابات نوفمبر ٢٠٠١، ديمراطيا كان أو جمهوريا، فإن تأثير هذه المجموعة سيظل قائماً

ويهدف الكتاب إلى إلقاء الضوء على أهم الشخصيات التي تشكك بخيوط حركة الحافظين الجدد ومصادر تمويلهم، وطرائق ممارسة المخطو الإعلامي والسياسي وأليات عمل مؤسساتهم، وهو يقدم أفكار هذه المجموعة وأراءها بعد بحث أو تحليل يوصفها وثائق موضوعية تؤكد توجهات هذه المجموعة التي تعود جذورها إلى تقليد أتباع الرئيس، الأمريكي الأسبق جون كينيدي أثناء سنوات حكمه، حين عين مجموعة من الأساتذة الجامعيين المثمنين ليسار الوسط في مناصب الإدارة واستعان بهم في رسم السياسات، وتم الاستعانة منهم بعد ثلاثة عقود في إدارة ريجان، وهكذا يستفيد بوش الابن من تباين ثقت وساعته وصناعته في عقود سابقة.

■

حصاد الستين

عبد الكريم درويش

القاهرة المؤلف، ٢٠٠٣، ٢١٤ صفحة



شعل المؤلف مواقع قيادية مهمة في جهاز الأمن المصري على مدى سنوات طوال، فقد كان رئيساً للمجلس الأعلى لشرطه وأبناً لوزير الداخلية وعميداً

الفتاوى في الإسلام

هايس هالم
ترجمة راند الباش
كوتلبي ألمانيا منشورات الحمل ٢٠٠٢
٢٢٠ صفحة



لمص غسوس من (Gonos) في اللغة اليونانية ومعناها المعرفة وفي المسيحية فإن الغسوس الحق مرادف للعبادة المسيحية
والفتاوى تطلق على تركة فليسية معينة نشأت تأثير المبادئ اليهودية والديوية والحوسبة والصينية وتهدف إلى إدراك كافة الأسرار الربانية، ثم انتشرت إلى مناطق متعددة من البحر المتوسط والشرق الأدنى، وهي مرتبطة بدرجة من درجات الفلو في فهم الدين والمعتقد.

وفي الإسلام، ظهرت الفصوصية كظاهرة شيعية، والمؤلف هنا يتابع ظهور الفصوصية وتجلياتها في ديار الإسلام ويتناول بعض طرقها والتشريح والتحليل ومنها: الكسانيون أو الشيعة الأرمينية والخرميون والبراطقة حول الإمام محمد الباقر والخطابيون والمفصصة والموضوعة والتفسيريون وغيرهم

دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم

أسامة كامل أبو شبرا
بيروت المؤلف، ٢٠٠١ ١٢٢٠ صفحة



يمثل هذا الكتاب إضافة مهمة للباحثين في كتاب الله الكريم، ليس من خلال المفردات فحسب، وإنما عبر موضوعاته، وقد قام المؤلف بتصنيف الآيات في كل موضوع حسب تبسيط وزودها في القرآن الكريم كما جمع، لا حسب نزولها، وصنف فصول الكتاب حسب أبواب تصنيف تراخى موضوعاتها وانفراجها تحت عنوان أساسي واحد، فمثلا إذا أراد الباحث معرفة آيات التي تبحث أمور الزواج فيجدها في فصل

لكلية الشريعة ورئيساً لأكاديمية الشريعة ورئيساً للجنة الأولوية للصحة، وفيه هذا العديد من المناصب، وهو في هذا المجال يجمع بين التخصص والعلم، وهما متلازمان للصحة طوال مسيرة نداءها ملأها في جهاز الشريعة الذي وصل إلى أعلى مناصبه القضاية، ويحدث المؤلف عن بدايات تقدمه للتأليف بكيفية البوليس الملكية، ثم صله في عدة مواقع بمصر ودراساته في اسبريكسا وفي اسكوتلندارد، وإقراره من عالم السياسة بحكم المنحة، مركزاً على حوارات مهمة، منها حصار الانجليز لجنين قسم الشريعة بالإسماعيلية في ٢٥ يناير ١٩٥٢. والموقف المشرف لضابط الشريعة والأفراد في تلك الأثناء، وهو اليوم الذي صار عبداً للشريعة بعد ذلك، ثم تحديد إقامة فؤاد باشا سراج الدين وزير الداخلية الأسبق في بداية مارس ١٩٥٢، ومعاينته لرئيس عبد الناصر من الحشوية إلى مؤثره عدم الانحياز في مادلونج ١٩٥٥، ولغيرها من الأحداث التي كان في بعضها شاهداً عياناً، ومعها الأحرار مشاركة أو صاحب مبادرة

دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر

مهدي إلى المزرع يونس لبيب رزق
تحرير لطيفة محمد سالم
القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢، ٦٥٤ صفحة



هذا الكتاب طريقة مبتكرة وعصية للاحتفاء بالأنفاس الذين يمتلكون قيمة ما، والذين أضاعوا إيجابيات اهتمامهم وقول معلمهم، والكتاب الذي شارك فيه عدد كبير من المخرجين من زملاء وتلاميذ المؤرخ يونس لبيب رزق، ضد بمثابة نافذة وند قد منها للشاركون في مناسبة بلوغه عامه السبعين، وهو في دراسات لا تقتصر على مصر فحسب وإنما تشمل دراسات عن دول غربية وأوروبية، وقد مضمّن إلى ثلاثة مصادر أساسية، الأولى في تاريخ مصر، والثاني في الفكر، والثالث في تاريخ العرب

من عنوان الدراسات: الصحافة المصرية والاتحاد العربي، المتصور وأزمة مارس ١٩٥٤، تطور الحياة الفنية في الإسكندرية، الأثر وسنائه السيد، الأحزاب المصرية وحركة التشوير، كردستان العراق، والأصول التاريخية لحركة الصهيونية.

الأحوال التحصية ضمن باب - لندوس لندس وهكذا، كذلك يخص المؤلف فصولاً لألبانيا، يجمع في كل فصل منها الآيات التي ذكرت النبي في سور القرآن الكريم كله

يقع الكتاب في عشرة أجزاء بعضها كل جزء منها عدة أبواب وتحت كل باب عدة فصول

من عناوين الأجزاء العشرة، أركان الإيمان، الصفات، المجرمات والسواقي، أخلاقيات المسلم، أسس القوانين، الخلق والمخلوقات، أهل الكتاب، العلوم في القرآن، بيت الله الحرام، وغير الدعاء ما جاء في كتاب الله

السودان وأهل السودان

يوسف الشريف
القاهرة دار الشروق، ٢٠٠٣ ١٤٤ صفحة



تصيب الفتعة الجديدة من هذا الكتاب إلى طليعة الأولى، التي صدرت في ٧ سنوات، تحليلاً وروية لكثير من الأحداث التي جرت في السودان والتي تتلاحق بطريقة تعري بالمتابعة غير أن المؤلف لا يقتنى بالتعليق على الأحداث السياسية كغلاف مشاكوس والمبادرة المصرية الشعبية واحتمالات الصدام بين مصر والجمهورية الإسلامية التي يتزعمها الترابي

والعلاقة بين حكومة الخرطوم وحركة جونا فرنس وغيرهما من المسائل الشاذة

أما يتناول أيضاً جماليات وهوس أهل السودان، فهو يرى السودانيين في العمق أهل طيبة وأهل وعق، فضلاً عن قدراتهم غير المحدودة في التحليل على الحياة وتجارب مصائبها بحثة الروح والانتباه واستداع قسوس من القول والموسيقى وثيقة الصلة بثرات السودان شديد الأثر

وقد خصص الباب الرابع من كتابه لجماليات وفنون أهل السودان، ويخصص الباب الثالث للثقافة مع الدكتور حسن الترابي زعيم الجبهة الإسلامية وهو الرجل القوي الذي كان له تأثير كبير على مجريات الأمور في السودان في السنوات الأخيرة، وقد أعتمد تأليفه هذا إلى خارج حدود السودان، في الوطن العربي والعالم كله

في حمة أبوابه، معنى المؤلف أن يرى السودان في خلال الشكافة والمجتمع

وتخصصه السودانية، لا من خلال الانقلابات العسكرية التي يتلوها حكم مدني ثم يتلوها انقلاب عسكري وهكذا في دوامة الترت كبتاً على مسيرة هذا البلد الذي يتوق أحله إلى الحرية

والتيقظ طيه والسلام وكذلك يجد القارئ للكتاب مقابلات جمعت المؤلف لعدة ولقاءات مع السودانية من أمثال البشير والترابي وجونا فرنس والميرغني وغيرهم، لكنه أيضاً سجد لقاء مع الطرب السوداني الكبير محمد ودي، والساحر على مدس الشهير بشهوه، والطرب عبد الكريم الكابلي والطرب عثمان البعاني، بالإضافة إلى عشرات الحكايات الأخرى التي تصفدها فيها تحوفاً في أنشطة الحياة المختلفة

السلام والحب والشقاء

يونس سبيس
ترجمة عربت شعلان
دمشق - ر. شروق، ٢٠٠٢ ٣٢٧ صفحة



لنؤللة الأولى لا يبدو أن ثمة علاقة بين صحة اليد، ومشاعر الحب والتضال والأمل، أو على الأقل، ليست ثمة علاقة لازمة بين الطرفين لكن مؤلف هذا الكتاب، وهو أستاذ للجراحة في جامعة بيل بالولايات المتحدة وكان رئيساً للجمعية الأمريكية لطب التشنج عام ١٩٨٨، يؤكد أن الصلابة وثقة بين لصحتين النفسية والجسدية

وقدم هيلسته في العلاج على الإيحاء بأثر العقل في الجسم وبث روح الأمل والإرادة لدى مريضه، كما يتكهنه من تجاوز صحة المرض ويسعد إلى نشر الحب والإقبال على الحياة دون إهمال العلاج الطبي الحديث، وإلى التكامل بين الجوانب الجسمية والنفسية والروحية في علاج المرض

وإلى جانب شرحه المبسط الوافي لأفكاره يقدم نماذج تطبيقية لهسه الأفكار، من خلال مرضى شفى بعضهم من أمراض جرم الأطباء باستحالة الشفاء منها، كاستمرار مثلاً وقد هفلو ذلك بقوة الإرادة والفرقة على مقاومة المرض والروحية في الحياة إنها، كاستمرار مثلاً، كما يسميها، تلك التي تحول بينه وبين المرض

في رحاب خالد محمد خالد

يرى د. شاكرا الشايلسي أن الحبيب الذي ساقه خالد محمد خالد شأن موجهته الفكرية ليست هي الأفكار الحقيقية، بل هي هذا رأياً له قيمته، إنه لا يمكن الحكم على موقف خالد إلا من خلال التيارات الفكرية والاجتماعية التي يلت بها العالم العربي فإن الإخوان المسلمين الذين وقف لهم خالد محمد خالد متمسكاً في ١٩٥٠ في عداواً فيما سعى بالحركات الإسلامية، عادوا بعد أن اصطهوا وشردوا وراهم زادهم الاضطهاد قوة وصلت أوجها باشتغال المسادات، يرى د. الشايلسي أن هذا المد المدني رأسهم خالد محمد خالد، رأي خالد، أن العودة إلى ربط الدين بالدولة وتطبيق الشريعة في شأنه أن يعد من العنف السياسي لذا طالب بتطبيق الشريعة الإسلامية فوراً، ساعد على ذلك أيضاً إغلاس وقيل الأحرار السياسية العربية يميناً ويساراً في إقامة الديمقراطية، فضلاً عن الهجمة الشرية الاستغرافية على العالم العربي والتي شكلت سياسياً معاهدة كامب ديفيد وغزو لبنان، كل هذا جعل الحاج محمد توفيق إلى إسلام عصرية في مواجهة الإسلام السلمي التقليدي تتميز كتابات خالد، الإسلامية متكررة الشد في معنى الرحمة فضلاً عن كثرة تناقض فيها الأحاديث الشريعة التي تخون على الإنسان «صاحب اليأس العظيم»، كما كان يعينه خالد، نقرأ فهو الخبيز الكريم، من أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن أشياء لم تكن محرمة عليهم فحرمت نسب مسأته، وأن الإيمان أن يخطئ في العصور خير من أن يخطئ في العقوبة الخ

انتمت كتاباته بالحمل المعنوي والوجهة المباشرة والتعامل حتى في أشد المواقف فسوء، وفي بيئة خاصة يتميز بها خالد، في حبه المتورع للحداد بوحه كالمطولة لا تعارقه ومقدرته على استنباطها من موقع أو آخر من نفسه

في كتاباته يبتعد تماماً عن صلف العقائد الفكرية ويبتعد أيضاً عن التورية الحزبية التي كثيراً ما كنت كتابات د. زكي نجيب محمود رغم عقلانيته. ■

من التدمير النفس الداخلي دون مواجهة عمد الأستاذ في كتاباته الفكرية إلى التركيز في التعبير عن (قلبه الإسلامي) وقلوب المسلمين الذين ليس كل قلب فدا من أحد مثله يستطيع أن يحب القارئ فيمن أحب، كان ترويح على أوسع نطاق كونه الإسلامية الرائعة

(إنشائيات محمد) (إطلعة الرسول) ورجال حول الرسول) وجدت هذه الكتب انتشاراً كبيراً على مستوى العالم العربي وخاصة في المملكة العربية السعودية.

يقول أسامة خالد إن علاقة مكرنا بالأسرة المائكة المائكة كانت حميمة يحميها التجويز والتقريب، وقد لاحظت هذا بنفسي في زيارات لأستاذ حيث كانت أسئلة الأسيير طلال أو غيره عن الأستاذ في حالات المرض وبعائته من كل التواخي في هذا الشأن.

بالرغم من أن روح خالد، الشاكرا كانت تحلق بهته الكتابات إلا أنها تختلف من دوره الأول كرائد من زواد التنوير في الفترة الأولى الشهيرة، أيام من هذا تبدأ.

قام الأستاذ خالد بخدومه الفكرية متفرداً غير متكرر على مؤسسة أو حزب، التي تركنا الفكر إلى المنهج لسنجد اختلافاً في منهجه الذي استخدمه في المرحلة الأولى وبين هذا المنهج الوجداني الذي يركز على السمات في الحقيقة الإسلامية وبديها ورجائها الأوائل.

تيمت كتب خالد الإسلامية مثلاً ندر في الأخبار في أغسطس ١٩٧٧ فيما يشبه البيان، أوصع رأيه في مواجهة صريحة أفكاره السامات بشأن فصل الدين عن الدولة، كان عنوان مقاله (بين دولة عباد وخلافة).

يلاحظ بالقرينة يروح كتاباته الأولى أن الأستاذ خالد لم يعد يركز على المشكلة الاجتماعية ومشاكل أخرى وانغنى كما كان يفعل بتحديد كبير سابقاً صارت كتاباته عن هذه القضية تتسم بالندرة والعمومية المفرطة.



ان يسميها معها احتجب الأستاذ. هجاء شاهدت كتاباً له بعنوان «إسلاميات محمد»، التقطت الكتاب وأن شبه مندهشة لتحول صوغ الكتابة كشت في جريدة الأحرار أنشأ هل كانت من هنا سيدا يريد أن يبيح له عن مرها بعيداً عن الأعاصير يهدد الكتابة المأمونة

عن الدين والأسياء؟ لكن وجدته كما تركته. ها هو أستاذي وصديقي يروحه وعقله وتوريقه وجهه كل ما بدا في الظاهر مختلفاً عن الموضوع.

كان العالم الذي يعيشه خالد يتسم بالبطورية... استحسنوا من خلال تلك الحسنة الرائعة التي قبل أن يعود الرضا يمشيها. مع ذلك فقد بدت عليه آثار الإجهاد من الرحلة العسكرية والتفكير الفلسفي، ومن خلال محطات التوقف التي كان يلجأ لها مرة ليرفض وأخرى ليحسب نفسه أو يسرع

أثرت الديكتاتورية الباطشة لقوة مصر العسكرية على مسار هذا الفكر الكبير وتوقف لسنوات طوال خاصة في العترة التي تلت موقفه في محاضرة عيد الناصر

قال لي ابنه أسامة خالد: لقد عانى أبي منه طويلاً من الاكتئاب، توقف عن الكتابة ما يقرب من عشر سنوات... بدأ الاكتئاب يرحل إليه في أعقاب موقفه من عيد الناصر... كان يتصور أنه بإمكانه أن يؤثر على عبد الناصر ويقنع بالديمقراطية كما أيقنه في مجالات أخرى وأثر عليه بشأن تحرير السلاح والمساواة الاجتماعية التي طالب بها في «ماطون» لا راعياً... ثم وجد دهباً إلى ليول كلمته لكنه لم يجد أحداً من أصدقائه يجالسه بل لقد أصيب بمعصم بالغمير منه فصاروا بها جومونه ويسهونه. هذا الموقف منه جعله يحس بالصدمة والوجع. لو أن عبد الناصر كان أودع السجن لربما كان هذا أرحم من سجن العزلة بين الناس... هذا نوع

■ الذي عبد خالد محمد خالد رجب وواسع ويهيج، يحل فيه الحب محل الحوق والافتشاح بدلاً من القصر، يفعل هذا من خلال عباراته الأدبية وإحساسه العنان قبل ذلك بكثير فقد التقيت بالأستاذ خالد لقاءً خاصاً جداً بين دفتي كتبه، كنت في الرابعة عشرة عندما عشت ولدتشوت بكتاباته الساطعة تعلمت منها أن أعيش في ضمير لفرقة، كما يصفها معظم ما تبقى من كراياتي القديمة كانت بها عبارات خالد، الخالصة التي استطاع من مناهله الشائبة وإنهارد العزيزة، لم أكن وحدي في هذا كله، كان معي جيل باكمله قبل أجيال تحطت كلمته، من هنا تبدأ... هذا أو الطوفان... والديمقراطية أصداً وغيرها كما أتما جلا بضر ما هو مضى للنفس أن نقرأ لخالد ضد الكهانة ومع الدين الحقيقي كتاباته ستظل عاتلة بنفوس قرائه تجد فيها معنى الدين الخالد، مع حرية الإنسان التي تتبع من المبدئية لله وعدم كان شائراً ضد الشكليات الاجتماعية الباطية وكان قريباً من الشايب في حيرته، ومن الفتاة في أعانها المحبوبة، وقبل هذا كان مع الشوب في سجنه عن الاستقلال ومع العدالة الاجتماعية ومع الكرامة الإنسانية... كان كله ضد الظلم والقهر وكان يفعل هذا بروحه لا بقلمه، أذكر كان مسدداً:

كان خالد محمد خالد هو صديقي الحقيقي الذي أخذ يمدني وأجاب علي أسألي وكانت أي أزمة يستعير علي سراجاً ما أجد لها مخرجاً من كلفاته.

بعد كتاباته الأولى المؤثرة صمت السنوات الطوال ولم أعرف أين اختفى الأستاذ خالد، احتجب عن الخراء بعد وفاته الشاملة في اللجنة التحضيرية أمام جمال عبد الناصر ورفضه انقذت شرف الفكر المصري كله. وقف معانداً الديمقراطية شاكراً فكرة الروح السياسي مواجها فاصم وهو في أوج سلطانه بكلمة لا، ثم بعد الرئيس

صمحات من كتاب صمبات القلب شخصيات في مصر سوير اسكنر

الفاخرة من القلب، ٢٠٠٣، ١٤٧ ص

والإحباطات التي تعرض لها وكذلك التحولات التي أثمرت العالم وحملت منه واحداً من أخطر القضايا على مدى التاريخ مما أسفه لكي يعيش حياة استثنائية حتى يخلفها في الأمريكية

إن المؤلف يترك القارئ لكي يصور ويتأمل في سيرة حياة جاكسون خاصة مرحلة الطفولة التي كان الأب قاسياً فيها على أولاده وحملهم يعملون منذ الصغر ومهم بالطبع مايكل جاكسون

هل أثرت هذه الطفولة لاسية على الشاب مايكل جاكسون والرجل فيما بعد؟ بالطبع هناك تأثير كبير أثر حب مايكل جاكسون غير الطبيعي للرفاهية وحبته القصور وأمثال الطائرات،

ولكن هل كان لذلك تأثير على ممارسته الأخلاقية؟

إن هذا ما يجب تركه لحسابات المحققين في الولايات المتحدة

■

Shout.. The True Story of the Beatles

(صيحة.. القصة الحقيقية للبيتلز)
Philip Norman
Sidgwick, 2003, £ 12.99



هل نشى له يتم الكشف عنه بالسياسة المفرطة البيتلز البريطانية التي ظهرت في ستينيات القرن العشرين ملأت الدنيا وشغلت الناس

إن المؤلف هنا دراية غير هادئة بحياة أهدار الفرقة ولذلك فهو يتحدث من جديد عن موت جورج هاريسون وروح بول مكارتني مع جديد

وحالات الإصعاب المتجددة بالبيتلز مع ظهور فرقة فنية جديدة مثل أويسيس، الوعة وغيرها

إن المؤلف مازال يصور على أن البيتلز هي أعظم قصة حب في القرن العشرين ورغم خلافه مع بعض الأقدار

الفرقة خاصة مكارتني إلا أنه فهم بشكل رائع وتوثيق حياة الفرقة وتأثيرها الكبير، خاصة في سنوات الستينيات وبداية السبعينيات

(تم التباس الكبير بين الفرقة الأمر الذي أنهى بسرعة قصة الحب تلك لتصبح مجرد ذكرى

■

طوكيو دورة الألعاب الأولمبية لتحصر بذلك مكانها في التاريخ الحديث ويقول المؤلف في عبارة محترمة

لكنها باقة الدلالة تكاد تفسر مسيرة التاريخ الياباني في تلك الفترة الطويلة لقد تعرضت اليابان بشروطها وبنيتها، وربما بعض أحيائها في محاولتها الحفاظ على شرفيتها وفيها وفي الوقت نفسه تقبل القيم الغربية

ويقدم إيان يورما مسحا وتحليلا لهذه المسيرة مع تعليقات عميقة تفسر أسباب التحول الكبير. وفي نفس الوقت الحفاظ على الأصالة. لقد خرجت اليابان منهارة من الحرب العالمية الثانية لكنها دفعت ثمنها على قدميها من جديد

ولم يكن ذلك الإنتاج عملاً شاقاً وزرعاً غير مبررة في أليات مدى قدرة اليابانيين وأهليتهم لكي يتجاوزوا مواقف المناسبة في الساحة العالمية. لكنه أيضاً كان استمساكاً بحيرة طورية من التحديث بدأت في القرن التاسع عشر مع عصر الإمبراطور «ميجي».

وحالت لحظة ظهور الحقيقة على الملأ مع انطلاق دورة الألعاب الأولمبية في طوكيو عام ١٩٦٤ ليأجبا العالم بقوة اقتصادية جديدة تنضم إلى قوى العالم الكبرى الأخرى

■

Michael Jackson: The Magic and the Madness

(مايكل جاكسون.. السحر والجنون)
J Randy Taraborrelli
Sidgwick, 2003, £ 18.99



قبل أسابيع انشغل الرأي العام الأمريكي وربما العالم بالانعام الذي وجه إلى نجم الغناء الأمريكي مايكل جاكسون وهو ممارسة غير أخلاقية مع أحد الأبطال

وأصبح الجبر أو الانعام أمامه على صدر نواب التكتيزيون الأمريكية في أوقات الدروة. وكذلك في البرامج والجراند المجلات

وهذا الكتاب لا يرد على التساؤل هل

هل جاكسون ذلك ما؟ لكن يفوس في أعماق شخصية نجم البوب من كافة الجهات ويعود إلى أيام الطفولة وثقافة بالتصلي مع مايكل جاكسون وأسرتهم وأعماله وألمه

بصناعة وطنية مع حساس بجل على ويقوم الأطفال بتسليق الاشجار ولقد كلاب الحيران بالحجارة والطوب ومطارية الطائرات الورقية.

وأصر في هذه المسألة ليس قارئاً فقط. بل هو مؤلف مبتدئ وبينما لا يعرف حساس القراءة أو الكتابة إلا أنه يحب الاستماع إلى أمير وهو يقرأ بصوت عال ويستطيع أن يكتشف أي محاولة من أمير لكي يولف قصة وهمية غير منطقية.

لكن كل شيء يتقلب رأساً على عقب مع الانقلاب على الملكية. ورغم أن هذا الانقلاب لم يكن دمويًا إلا أن أصوات طلائع الثوران التي كانت تنطلق في فصولها كانت تفسر أذان أمير لأن الأبطال الأفسان الذين لم يكونوا يعرفون شيئاً سوى أصوات الشياطين وطلائع التيسر لم يولدوا معد

وخلال القصة يخوض أمير والأبطال من جيلين صراعاً مريراً للتعرف على هويته، فعليه أن يقلل على سبيل المثال أن رفيقه حساس من الطبقات الاجتماعية الدنيا وعليه أن يعرف أكثر وأكثر عن والدته لكن والده لا يتكلم معها سوى القليل

وأصل ما في القصة وصف الأماكن والناس في زمن نهائية البربرية في أفغانستان حيث يقدم المؤلف تصويراً رائعاً لبلد كان يوشك على الدخول في طريق الموضي والحرب

■

Invnting Japan: From Empire to Economic Miracle 1853- 1964

(اكتشاف اليابان.. من الامبراطورية إلى المعجزة الاقتصادية ١٨٥٣، ١٩٦٤)

Jan Buruma
London, Weidenfeld, 2003, \$12.99



يختار المؤلف وهو باحث وكاتب الصيت معروف بمساهماته الكثيرة في تحقيقين في التاريخ الياباني لكي يبدأ ويتنقش من كتابه.

الأولى: يصنع التاريخ المباشر على الغرب، عام ١٨٥٣ عندما فتح الغرب طريقه إلى اليابان. والثانية عام ١٩٦٤ عندما نظمت

The Majesty of Law: Reflections of a Supreme Court Justice

(صاحب الجلالة القانون.. تأملات في المحكمة العليا الأمريكية)
Sandra Day o'Conor
Random House, 352PP, \$ 25.95



يعتبر قاضي المحكمة العليا في الولايات المتحدة أعلى منصب قضائي في البلاد وهو دورة الشرقي لأي شخص يعمل بالقانون. وهناك كتب كثيرة عن عمل المحكمة العليا والسواقي التاريخية التي أرستها واختيار أعضائها من جانب الرئيس الأمريكي وغير ذلك من القضايا المهمة.

وتعتبر مؤلفة هذه الكتاب ساندرا داي أوكونور أول سيدة أمريكية تصبح قاضية في المحكمة العليا وذلك يأتي كتابها بمثابة سره لخبرة كبيرة عن عملها في المحكمة. كما يتضمن الكتاب مقالات عن تاريخ المحكمة والاقتراحات لإصلاحها

■

The Kite Runner

(ملف الطائرة الورقية)
Khaled Hosseini
Bloomsbury, 2003, 324PP., £ 12.99



تدور هذه القصة وهي الأولى لمؤلفها خالد حوسيني في العاصمة الأفغانية كابل خلال سبعينيات القرن العشرين عندما كانت كابل تعيش هائلة في سلام قبل أن تدخل معها البلاد في دوامة حروب وأزمات لازلت آثارها ممتدة حتى الآن.

راوي القصة طمل يدعى أمير بيلغ في العمر ١٢ عاماً ويعيش مع أسرته في الجزء الغربي من كابل. وقد توثقت والدته عند ولادته ولذلك فإن والده هو الذي تكفل بتربيته مع مساعدته على، ويرثك أمير

ما كان منه هذا الهيكل وسلوكيات
الضاميين عليه أو الحاصرين له
ومؤلفة الكتاب جوديث فلاندرز ناخدا
قارنها في رحلة عبر الزمان والمكان فتأخذ
تعود إلى أجواء القرن التاسع عشر لكنها
تجول داخل منزل فيكتوري في حجرة
النوم إلى دورة المياه إلى حجرة تربية
الأطفال إلى المطبخ وغرف الطعام
والعشاء وهي تستكشف كل صغيرة وكبيرة
في هذا المنزل الذي مارالت الألاف منه
موجودة في الملب البيروقراطية وتوضح
كيف اختلف استخدام هذه المنازل حالياً
عما كان عليه الأمر في بداية نشأتها في
القرن التاسع عشر. ولا تكشف المؤلفة
بذلك بل لتحدث عن طريقة معاملة
الخدم في هذه المنازل. فالمنزل الفيكتوري
كان يعكس نمط حياة شعب إمبراطوري
يستمد على مساحات كبيرة من العالم
لذلك وظهر ذلك في فحاشة هذه البيوت
وعظمتها. بل إن المؤلفة تحدثت في الكتاب
عن أوقات الحمام التي كانت مستخدمة
في ذلك الزمن. وهي العلاقات الأسرية
وكيف أثرت القيم الفيكتورية المحافظة
اجتماعياً على العلاقات الأسرية وكذلك
نمط التعاملات بين الأسر والضيوف التي
كانت تفرضها الأسر على العلاقات بين
الرجل والمرأة. وكان هذا النمط الاجتماعي
يحد دعماً له من سلوك المحافظ للملكة
فيكتوريا التي كانت رمزاً واسعاً له.

Matthew Restall
Oxford UP, 2003. 218PP. \$28.00



يتحدث هذا الكتاب التاريخ الشائع
عن العزو الإنساني للعالم الجديد أو
الفارقين الأمريكيتين الذي يعتقد المؤلف
أنه مبني على مجموعة من الحرافات.
فمثلاً ليس صحيحاً، حسب ما يقول
ماتيو رستال، أن مجموعة صغيرة من
الإنسان هزمت إمبراطورية باكلمها من
السكان الأصليين في وقت قصير، كما أنه
ليس صحيحاً أن السكان الأصليين
اعتقدوا أن الإنسان الهة جدد وعبيدهم.
فهذه الأقوال روجها المؤرخون الإسبان
تعتظيماً لأنفسهم. ويحاول رستال في الكتاب
مراجعتهم التاريخية لإثبات أن ما حدث
بالفعل كان أقرب للحرب الأهلية بين
السكان الأصليين أنفسهم. فالجيش
الإسباني صغير الحجم عائلوه مجموعة
كبيرة من الهنود والأمم القومية لقبل
وممالك مختلفة من أجل إقصية حسابات
داخلية بينهم وبين بعضهم البعض

حيث تعرضوا لحزام شقة انتهب
بموت كثيرين منهم
ومن خلال التعرف على كبريات الدين
نحو ما من هذه العسكرات. يرسم المؤلفان
صورة ناصية بالحياء عن لحظة شهيدة
الفتاة في تاريخ البشرية. ويصوران كيف
تم إجهاد الممرى على السرى في مصبرات
الموت. التي كانت تمتد لثلاث الأميال وذلك
لإنعادهن عن أبادي قوات الحملة، المنتصرة
التي كانت تتقدم صوب هزيمة ألمانيا
النازية.

ويتناول الكتاب قصصاً ملهبة
والشجاعة والمعاصرة حاول خلالها بعض
الجناء الهروب من واقعهم الأليم من
خلال تدبير مؤامرات للهروب أو حصر
أعناق طويلة تحت الأرض للهروب وهو ما
كانت السسما الأمريكية تحديداً قد
سجلته

هناك أيضاً جنود عاديين وطيارون
وقسموا في برش الأسر وحاولوا قسر
امكاناتهم التخلص من عبء الأسر لكنهم
فشلوا وهم ليس أقل شجاعة وقدرة من
الآخرين.

Dude, Where's My Country?
(أين بلدي؟)
Michael Moore
Warner Books, 2003. 272PP.
\$24.95



بعد مشهده المخير أثناء تسلمه جائزة
الأسكار، في فيلمه التصفيفي، ثم
النجاح الموقد لكتابه رجال بيض أبيض،
بواصل مايكل مور حملته السياسية ضد
إدارة بوش من خلال كتابه الثاني، أين
بلدي؟.

يستخدم مور لغة بسيطة، ومباشرة
في تقديم نقده اللاذع لإدارة بوش
والمحافظين في أمريكا. كما تمتع كتبه
خلفة ظل كاريكاتورية مما جعل كتابه
الأول يتصدر قائمة الأفضل مبيعاً لعدة
أسابيع. في هذا الكتاب يشير مور إلى
ويزيل كلارك باعتباره الرشح الديمقراطي
الأفضل. ويمدحه كثيراً معلنًا تأييده له
في حملته الرئاسية القادمة

America Unbound: The Bush
Revolution in Foreign Policy
(ثورة بوش في السياسة الخارجية)
Jvo Daulder and James M
Lindsay
Brookings Institution Press,
245PP. \$ 22.95



يخصص المؤلفان كتابهما للدفاع عن
الرئيس الأمريكي جورج بوش ويشكل
خاص سياسته الخارجية وهي مجال
الدراسة في هذا الكتاب.
إن النظرة للرئيس بوش الابن هي أنه
شخص احمق عنيد ليس لديه أفكار
حقيقية. وهذه النظرة موجودة في خارج
الولايات المتحدة أكثر منها في الداخل
إلا أن المؤلفين يقولان إن هذه النظرة
غير صحيحة وعارية عن الحقيقة
ويشير المؤلفان وهما من الباحثين
الأمريكيين في مجال السياسة الخارجية
إن بوش شخص لديه رؤيته الخاصة
وأفكاره التي يريد تنفيذها
إنه يرى نفسه كما لو كان رئيساً
تصنيفياً يشروع صدام يستهدف تخفيف
أعباءه، وعلى هذا الأساس يتصرف
بوش.

ويتناول الكتاب رؤية بوش للعالم وهي
كما يقول المؤلفان رؤية واضحة وعرضها
إيجاء المواقع المناسبة لأمريكا في عالم
اليوم باعتبارها القوة العظمى الوحيدة
حالياً. الموقع الذي يجعلها فائدة بشكل
يتناسب مع إمكاناتها وقدراتها.

The Last Escape
(الهروب الأخير)
John Nichol and Tony Rennel
London, Penguin. £ 7.99



يحتك الكتاب قصة آلاف الجنود من
أسرى الحلفاء في الحرب العالمية الثانية
والذين بقوا في مصيبة السارى وجرى
سحبهم في معسكراته خلال عام ١٩٤٤
١٩٥٥

Nature Via Nurture: Genes,
Experience, and What Makes
Us Human
(الطبيعة عبر التنشئة الجينات
والخبرات وما يجعلنا بشراً)
Matt Ridley
Harper Collins, 2003. 325PP.
\$25.95



هل الطبيعة المتمثلة في الجينات هي
المسؤولة عن تحديد خصال البشر
وصمغهم، أم أن البيئة المتمثلة في التنشئة
هي العامل الأهم؟
ظل هذا السؤال موضوعاً لجدل
علمي واسع دام أكثر من مائة عام. وانضم
العلماء إلى به إلى فريقين. ولكن في فبراير
من عام ٢٠٠١ أعلنت لجنة الجينوم أن
الشفرة الجينية للإنسان لا تحتوي سوى
على ٣٠٠٠٠ جين وليس ١٠٠٠٠٠٠ جين
كما كان يظن العلماء.
وقد أدى هذا الاكتشاف بالعلماء إلى

The Victorian House:
Domestic Life from Childbirth
to Deathbed
(منزل فيكتوري... الحياة العائلية من
المولودة حتى الوفاة)
Judith Flanders
Harper Collins, 2003. £ 20.00



لا تذكر كثيرين من العصر
الفيكتوري الذي شهده بريطانيا خلال
القرن التاسع عشر حينما كانت
إمبراطورية لا تقهر عنها الشمس سوى
طرارح العمارة سواء في شكل المنازل أو
القصور وغير ذلك. لكن ما في العصر
الفيكتوري علاوة على قيمة الاستعمارية
والنوسمية أن مبادئ وقيم ذلك العصر
أثرت تأثيراً مباشراً على الحياة في شتى
مجالاتها في بريطانيا ويشكل أكثر
تحدياً في اتواء الصغيرة وهي الأسرة.
فالأم لم يكن مكيلاً معمارياً فقط بقدر

Brick Lane

(ممر الصوب)

Monica Ali
Simon & Schuster, 2003, \$
25.00



حازت تلك الرواية الأولى للمؤلفة البنغالية، مونيكّا علي، استحسان النقاد في بريطانيا والولايات المتحدة، كما رشت لبيت جائزة بولكر، لعام ٢٠٠٣. تروي الرواية حكاية اثنين من بنجلاديش، الأولى جميلة والثانية عادية المظهر، وفي حين تختار، حسنة، الجميلة مصيرها وتزوّج من أحد تضرع الثانية، «نارين»، إلى زواج تقليدي يدفعها لتفسير إلى لندن حين يقيم العريس الأكبر سنًا. تتوالى أحداث الرواية من خلال الخطابات التي تبادلها الأختان، ويتطوّر خلال تطور حياة كل منهما صعودا وهبوطا بين حرية الإرادة والاختيار من ناحية، وحكم الظروف والمفردية من ناحية أخرى. فالزواج التقليدي الباهت أفزع من حين لآخر من الحب والالتزام والمسؤولية. حين وإن لم يكتمل أبداً إلى النعيم الزوجي، وتهدد في مرة يرحب رجل أصغر سناً من نفس الجنس الأسوي في لندن، والزوجة التي تمتع من اختيار حبيب جارف تهدمت بعد أن انت إلى العنف الجسدي. ثم تأتي السنوات بينات «نارين» والرهات في اللودوات في إنجلترا بأحلام أخرى وسعادت جديدة ولكن في نفس حلقة الصراع الأثري بين الإرادة والقدّر.

La Prostitution Coloniale
Algerie, Tunisie, Maroc 1830-1962
الدعارة الاستعمارية، الجزائر وتونس والقرن من ١٨٣٠ إلى ١٩٦٢
De Christelle Teraud
Payot, 496P, £ 25.00



في دراسة حول الدعارة الاستعمارية،

مراجعة رأيهم القائل بأن كل ما يتعلق بالبشر موجود في الجينات حيث أن عدد الجينات المتجمع أنه أقل بكثير من عدد الحمض النووي للإنسان. يقول مات ريدلي مؤلف كتاب «الجينات» في كتابه هذا أن هذا الجدل ما هو إلا خرافة، حيث إن التشبّه يعتمد على الجينات، وأن الجينات تحتاج إلى التنشيط، والجينات تعدّ نذاتج للإرادة الإنسانية كما هي مسببات لها. وفي النهاية يتحاز مات ريدلي للاعتقاد بأن الإنسان يتمتع بإرادة حرة، تحفزها الغريزة والثقافة. المؤلف يعالج هذه القضية العلمية المثيرة بأسلوب بسيط وشائق يسهل للقارئ غير المتخصص استيعابه.

What Ever you Say I Am: The Life and Times of Eminem
(حياة إيمينم ومنه)
Anthony Bozza
Crown, 2003, 278PP., \$ 23.00



في عام ١٩٩٩، التقى الصحفي أنثوني بوزا مع الفنان الجديد آنذاك، مارشال ماثرو، أو «إمينم»، من أجل مقابلة صحفية عاجلة، رولاند ستونز، الموسيقية. وعندما ظهرت صورة إمينم على غلاف هذه المجلة لأول مرة بفضل هذه المقابلة، كان ذلك بمثابة بداية الشهرة الصاروخية التي انطلقت بها نجومية إمينم فيما بعد. في غضون عامين أصبح إمينم الأيقونة الجديدة في الثقافة الشعبية الأمريكية.

ليس هذا فحسب، فإلى جانب شعبيته وجماعيته التي الشباب فقد نال إمينم أيضاً جوائز النقاد متمثلة في حصوله على جائزة «جرامي» عدة مرات متتاليات، بالإضافة إلى جائزة أوسكار. وقد لفت إمينم الأنظار لكونه أول أمريكي أبيض يفتح موسيقى «الهيبي هوب»، والراب، التي كانت حكراً على الأمريكيين السود، كذلك لفت الأنظار بتصريحاته العنيفة للشباب وللمرأة، ولفظه البذيئة.

يعتقد إمينم أن حياته ومواقفه الهجاء من خلال طفولته البائسة في مدينة ديترويت المليئة بالتوترات العرقية، وعلاقته بأمه وزوجته السابقة.

تتناول كريستل تارو بالتحليل تحول الشرق الذي ظلّ دائماً خيال الغربيين إلى بؤرة احتلال ومصير عاهرات الحرب العربي بين عاهلهم الأصلي والتسوّج الأجنبي المضاد. نطقت منة الدعارة في بداية القرن التاسع عشر لتشتعل لاحقاً بشتى انتشارها. ولم يكن هذا النظام الفرنسي الذي يستوجب تسجيل الماهرات وأخصائين للفحص الطبي والنفس بصفة جزئية إلا نتيجة منطقية لعاهير جنسية فرضها سريان اللاهوت الأخلاقي منذ القرن الخامس عشر. وتقدم لنا كريستل تارو في كتابها «الدعارة الاستعمارية» تحليلًا بالغ الدقة لأليات الدعارة في المغرب العربي إبان الاستعمار. وتعتبر دراستها امتداداً لدراسات السابقة التي تناولت تنظيم المهنة، في نحو عام ١٨٣٠، كان الرحالة الغربيون يخطرهم في البحث عن المقاتل الجسدية في شرق كان يزعم بالنسبة إليهم إلى العروس الذي تسكنه حوريات مغزلات بأسماء، واكتشفوا، بكثير من الدهشة والافتتان، كرم الضيافة الجنسية الممارس في بعض الدور والملاذ التي تقدمها إليهم خيلات الخيم ورهافة العوالم في المدينة. مما دفعهم إلى اعتبار هذا المصلك أشكالاً بذية لتبجج والشراء.

بيد أن الإفرام في وضع القوانين واللوائح المفروضة من أجل استعمار قلب الأوصاع رأساً على عقب حيث فرض الفرنسيون في شمال أفريقيا العزل والتمشيط على الفتيات. في الوقت الذي سالت فيه العاصمة موجة من الرافضين إزاء إقامة الأحياء الشيوعية عمدت الإدارة إلى إشارتها في المدن الرئيسية في المغرب العربي وعليه أصبح في يومنا هذا المدن البيضاء مقصداً جازيراً لأكثر السالحين تمجلاً إلا أن النظام الفرنسي قد دفع إلى تكوين كتيبة مقددة من البيوت السرية. تحدث كريستل تارو الأسلوب الذي يعرض ويصمّم بسببه الفتيات، وعن النواحيات في أن واحد لسلطة الرجل ولهيمنة الاستعمار بسبب خرقهن المزعوم للقوانين. فقد أصبح محل الخوف ليس فقط باسم القيم الأوروبية بل أيضاً من جانب الوسيط الذي ترجع إليه أصولهن. فقد استهجن الأوامر الفرنسية في والواقعة السائدة. على من العقود، شهدت العوالم والرفاقتات هزواً في أوضاعهن.

إلا أن هؤلاء المغربيين قد أبدعن ثقافة عرفت تسمية «الكاتنا المهجنة» والشخصيات الفاضلة، والسلميات اللاتي خلعن حجابهن واللاتي أحياناً ما يتكفن عن صمودهن أو سرورهن الموشومين واللاتي يرتدين الملابس الأوروبية رغم وضعهن لزينة ولعطور شرقية قد أصبحت مملكتين محبرتين عن تركيبة غير مسبوقة. فمن يشغل مركزاً وسطاً يسمح لهن بالعمل بين النظام والقوض، بين المعتاد والمحرّف، بين الطابق للشائع

والجديد. فمن يحمل مرجعيات لعالمين الأصلي مع دمجن فيها بعدد من عناصر النمط الأجنبي المضاد. ويتعين علينا في هذا الصدد مضاعفة مجموعة الصور الجغرافية لخصائص المغربيات مع مجموعة الضيقات نصف الغرايات القدمات كبرهان دافع على تلك الرضوية. وتوحى النمطية الحزينة والعقيدة، الاستنزاف أحياناً والمستسلمة غالباً. للفتيات المغربيات بمدى المخاومة الصماء التي تملن عنها أولئك النساء المحضومة كرامتهن.

Living It Up: America's Love Affair with Luxury
(الحياة الرغدة، أمريكا وأمركا بالتريف)

James B. Twitchell
Simon & Schuster, 2003,
320PP., \$ 14.00



يحلل عالم الاجتماع الأمريكي جيمز توتشيل الامدادات الاستهلاكية في المجتمع الأمريكي في الحاضر والاضحى المتجمع خاصة فيما يتعلق بالسلع الترفيية غير الضرورية. ويؤكد توتشيل في دراسته أن «الرفاهية لم تعد حكراً على الأغنياء» فشراء السلع الترفيية مثل السيارات المرسيدس والملابس ذات الماركات الشهيرة لا تقتلظ أن يكون المرء مليونيراً. وأصبح هناك أفراد كثيرون من الطبقات الوسطى يبدؤون الاندية الصحية ويستمتعون من آخر بشراء سلعة فاخرة خارج حدود ميزانياتهم وإمكاناتهم المالية المحدودة. يفسر توتشيل هذا الأمر من عدة نواحي منها الإعلانات والتسويق والتلفزيون وبداية الاستهلاك، التي أصبحت مشتركة بين الأمريكيين. بحيث أصبح شراء بعض الكماليات نوعاً من البحث عن توبة وليس لاحتياج عملي. فالناس أصبحوا يشاركون بين بعضهم البعض ليس بالمشاكة في نفس الأفكار والاحتياجات السياسية والمعتقدات الدينية، فقط وإنما بالمشاكة فيما يستهلكونه من سلع. ويقول توتشيل أن الميل نحو الاستهلاك بهذا الشكل هو نوع من الطمع الإنساني في رعد العنكب الذي يصيب كل البشر وهو نفسه وقع تحت هذا التأثير أثناء إعداده للدراسة في أحد المحال الكبرى، بعد أن رجع لباحث عنق من تصميم أحد بيوت الأزياء الشهيرة.

أسئلة الاحكامية



«الأمريكية.. أن يمنع رياح التغيير اللاعبة القابعة من الشرق «الغوميني» محملة بالفلوج، السموم.. الم يخبره الأمريكيان وراسمفيلد، شخصيات بزيارته المساندة (مارس ١٩٨٤) إبان حرب الخليج الأولى كيمبوت خاص للرئيس رونالد ريغان، والتي أبلغ فيها الرئيس العراقي أن محاولات واشتطن عقد صلات طيبة مع النظام العراقي لن تتأثر بالانتقادات «العنيفة» لاستخدام العراق أسلحة بيولوجية أو كيميائية (وثائق اللقاء كشفت عنها أخيراً «الواشنطن بوست» بعد أن حصلت عليها بناء على قانون حرية المعلومات من أرشيف مجلس الأمن القومي).

أيما ما كان الأمر، فربما كان بعض الذين «خردوه» من الجيران أو «الرفاق» أو التجار، أو حتى القوي العظيم، كانوا يصنعون.. وتلك هي السياسة على أية حال.. لمصلحتهم.. إلى على المدى القريب أو البعيد، ولكن ما عدنا نحن عامة الناس ومتفهمين؟ والذي لن يسأله أبداً أي المحققين.. كما لن تتضمن أبداً صحيفة الادعاء، ما الذي يجعل أسبنداً بتلك الحقيقة يولد من أحشاء الجحش العرسي؟ وكيف يترسخ الجرح والاستسلام لعقود، حتى يأتي الزلزال اجنبياً.. ويصبح ترييق المعادلة/ المقايضة ممكناً، «إما الاستياد أو الاحتلال»؟ كيف يؤله «الناس»، «الناس»، فقط كونهم هناك، على القصة، فيصبح رايهم دائماً سيدنا، وقراراتهم صائبة، في ثقافة محفورة في ترابها: «أصبحت امرأة وأخطأ صعر».

اسئلنا الأهم.. ستبقى قطعاً عن الاحكامية.



وسواء حوكم صدام.. أم لم يحاكم.. في بغداد أو في فيريرا.. فالأمر هنا.. شأن كل الاحكامات، تأتي أوراق مفاته من «الخاص». أما ملاحق «المستقبل» فتحدد بوضوح سلة اخيار بما يشاء عام ٢٠٠٣ أن يعضى دون أن يعضى على عتبة عام جديد، ١. عضية جهود إنقاذ مصرية (حديثة.. ومخلصه) نوجت بزيارة في الأولى لوزير خارجية مصر من أعوام ثلاثة، إسرائيل تحتاج غرة وجنتين وطوكوم.. وفتح (الحدودية). ٢. القصة المأزبية (لاحظ أنها قمة) أوجت.. حسب التفسير الرسمي، في صباح اليوم ذاته القدر لانتفاضة!.. ورئيس الأركان الإسرائيلي يقول، «دم بعد هناك شيء اسمه عالم عربي».

٣. بناء على إصرار المتدوب الأمريكي، وحتى لا يتضمن النص إشارة واضحة لإسرائيل، يسقط مجلس الأمن الدولي عن بيان ترجيحه يتخلل لبيا عن برامجها لتسلح عبارة «أن الإعلان الليبي يجب أن يكون نموذجاً لتحثي به الدول الأخرى، بما في ذلك دول الشرق الأوسط».

٤. شاول موفاز، وزير الدفاع الإسرائيلي (إيراني الأصل) يعلن أن تل أبيب ستحتد ما تراه ضرورياً للقضاء على قدرات التهوية.

٥. بن لادن (الرمز) يهدد إيرات (الرمز) بالبول والثبور وعظائم الأمور.

٦. بعد أن جوض في تشكيل اللجة العالمية لقتل لصرع الحجاب، المسلمون يتنادون على الإنترنت لقتل «مصرة الحجاب».

٧. ولهه. في ضوء ما سبق، الأكثر دلالة على مفصلة اللحظة المأزقة بين عاصين: القرار الليبي (الطبيعي جداً، بالتحقق من الصوارف والأسلحة.. فرغم التأكيد رسمي على أن القرار عبارة حرية، تبقى تصريحات كولين بول حول «الدكا الليبي» وتبقى حقيقة «أن المصا لن عصى» هي الترجمة العربية الدقيقة لقولها: «لماذا يوش الجمل».

وبالتبع يعرف كل من يعيش تحت الشمس أن للعصا حين يُلَوَّحُ بها في الهواء ظلالاً أكيدة على الأرض.

وحين يذهب كل الزبد، سيبقى «على الأرض» أيضاً.. في متنتق تلك وفي إيمانك تلك.. سؤال واحد محفور: «من خرج فالتر بما كل ما جرى؟»

ورب أسئلة يفننها الواقع عن إجابات.

ويبقى سؤال واحد محفور: «من خرج فالتر بما كل ما جرى؟»

ويبقى سؤال واحد محفور: «من خرج فالتر بما كل ما جرى؟»

ويبقى سؤال واحد محفور: «من خرج فالتر بما كل ما جرى؟»

ويبقى سؤال واحد محفور: «من خرج فالتر بما كل ما جرى؟»

ويبقى سؤال واحد محفور: «من خرج فالتر بما كل ما جرى؟»

ويبقى سؤال واحد محفور: «من خرج فالتر بما كل ما جرى؟»

من القيو.. إلى القير.
زما لو كان هذا مصير صدام، كما كان مصير أتييه وحفيده، لتجنب مرزموه، مستند الإدلال الشلفريزولي: «ذا الحجة الكثة والشعر الأشعث» ولتجنب الكثيرين.. على اختلاطهم.. أسئلة الاحكامية.
على أي، فالطافية (المهيبة) قد خرج.. أو بالأحرى الخروج.. إلى حيث لا نعلم.. كما كانت عادة دائماً.
ومرة أخرى.. كما هي العادة أيضاً.. سنفرق في طوفان من المعلومات.. أو بالأحرى.. البيانات التي ستتضمنها تقارير يومية.. وربما كل ساعة.. يكتبها عشرات المحققين والأختصاصيين في كل شيء.. بدو من أسلحة الدمار الشامل.

وحتى السيكلوجيا.. والذين وفدوا من كل صوب وكل اختصاص لمرافقة «فار» في القضي.. والتغيير لهين الشامت USA Today في تقرير لها عن أسلوب التحقيق مع صدام ذكرت فيه أن مهمة البعث ستزك على «مراقبة طريقة ثوبه».. وصدرته بتصرح براسمفيلد قال فيه أن خبراء وكالة الاستخبارات المركزية يعرفون المعلومات التي يريدونها في الولايات المتحدة.. مؤكداً على أن قرار إحالة التحقيق إلى CIA استغرق ثلاث دقائق.. وأن المحققين الأوليين «كانتوا لضرب القوه»..

أيما ما كان الأمر، فقبل أن يأتي اليوم الذي تتطلب فيه إحدى لجان التوحيش.. لأسباب التحقيق أو دعائية.. الأطلاع على البيانات الخاصة بالتحقيق مع المطلوب رقم واحد: الرئيس السابق لجمهورية العراق، يبدو أن الحجة.. والقيو.. والشهد الهوليودي للرئيس الأسير على شاشتي LCD في المؤتمر الصحفي الشهير ستحق مرزماً من الرفوذه في آلة الأساطير الدعائية الأمريكية التي بدأت فعلاً في الدوران.. لتجني.. والتشويق اللازم.. تفاصيل لن تثبت أبداً عن الأسير المحتجز في مكان لم يعلن رسمياً أبداً.. هل ما زلتهم تفكرمون الروايات الخرافية بالرسوم التوضيحية القلوة عن راسبيد ومنذ كاملة تحت الأرض.. لا تؤثر فيها المرافقة الحرة؟ وهل تفكرمون ما شاء طويلاً عن تقنيات فضائية لدى الأمريكيين، بإمكانها تصوير مراكمة الملابس الداخلية لصدام.. وهل تعرفون بعد ذلك معنى أن الرجل لم يسقط إلا بعد وشاية (متوقفة) وبمصادفة.. أن تعثرت قدم جندي الفرقة الرابعة بسجادة مهترنة في أحد أركان المزرعة؟ يبدو أنه رغم التقنيات، والحاسبات، والأقمار الصناعية.. وجسبات ترى ما تحت الأرض.. أو سلفاً في السماء.. يبقى الفعل الإنساني.. وتبقى المصادفة



هل خردوه لحظة الاعتقال؟

يختلف طبعاً.. ويختلف.. في الإجابة على هذا السؤال.. ولكن لتتلق قطعاً.. وإن حاولنا أن نقتاس أو نكثر.. على حقيقة أننا لعقود خردناه.. كما فعلنا من قبل.. ومازالت.. مع فيرم.. يتساوى في ذلك: الهاتقون في الأثرة والشوارع.. ومواطنين، يتعنون بما يوجد عليهم به الحاكم من حصيلة بيع النفط.. ومسؤولون يصفون صوته في كل زوايا.. وسياسيون يستبدلون أحزابهم.. كل الجوابير.. مهروين إلى «حزب الرئيس».. ويرتلون بولافون ويطرفون ببالاشرة.. ورجال أمن يحصمون صناديق الاقتراع من اقتراب الناخبين زفير الخروغيين.. وإلى ذلك كثير.. تبدأ الظاهرة أو تتفاقم، وتُغَيَّرُ راحة، الخبر، الجو، مفائدة.. وجاشمة على الأنف.. حين تستحكم «التعبية» بالجمهور.. والترجيبة، بالقيادة التي بيدل أزياءه كل ساعة.. يرتدي ثارة عقلاً عربياً.. وثارة يرتديها مكيكية.. مولخاً ببندقيته في الهواء.. يجرى برتدي العزة العسكرية.. يرتديها كل الدينين: تمالاً صوره وتماثيله كل مساحة البلاد.. والقبائل كل معجمها.. ويوسط.. السحابات «الزرقاء».. يكون طبيعي أن لا يرى.. كما لا يرى كل التاميين أو «المتمين» السوس ينخر كل شيء.

هي الاحكامية.. إلى علينا أن نعترف.. كلنا خردنا صدام حسين.. وكل صدام حسين.. يتساوى في ذلك قادة وزعماء عرب سكتوا عنه حيناً.. وساعدهو أحياناً.. الويس هو «حارس الجواية الشرقية».. القادر.. بدماء ابنائه.. وأموال جيرانه.. وأسلحة الدمار الشامل



كيف يفكر الزبائن

تأليف: جيرالد زالتمان

رغم كل ما يذلل في أبحاث السوق، تخفق 80% من هذه العروض في تحقيق أهدافها. فهل يعرف الزبائن حقاً ما يريدون؟ يحاول المؤلف حل هذا الغز. فقد وجد أن الزبائن يعرفون حقاً ما يريدون، غير أن الوسائل التسويقية لا تتدخل في عمق كافٍ يساعد الزبائن على تبيين حاجاتهم وريغاتهم والتعبير عنها. في هذا الكتاب الذي

يسمح إلى انفتاح العقل بشو المؤلف جيرالد زالتمان إلى أن 95% من عملية التفكير يتم في اللاوعي. فالكشف عن رغبات الزبائن الحقيقية يتطلب استيعاباً لـ «عقبة السوق» بغية الوصول إلى التفاعل بين الأفكار السوفيق والمستهلكين حيث يتم قرار عرض زالتمان في كتابه وروى جوهرياً مجمعة هذه أبحاث تمت في ميادين متنوعة: كإبحاث في العقل، وعلم النفس، والتحليل الأدبي، والعلم الإدراكي. جيرالد زالتمان: أستاذ التسويق في كلية هارفارد للإدارة والأعمال وهو زميل في جامعة هارفارد في بحوث السلوك، والعقل.

• ثمن النسخة المجلدة \$14 • ثمن النسخة بالاعلاف \$11.50



ديمقراطيات وديكتاتوريات

سادت أوروبا والعالم بين سنتي 1919 و 1989

تأليف: آلان تود

شهدت الفترة الواقعة بين سنة 1918 وسنة 1989 تغيرات أساسية في العلاقات الدولية، كان منها ظهور الولايات المتحدة الأمريكية قوة عظمى في العالم، وأثر روسيا الشيوعية على الديمقراطية الأوروبية والعالمية. يقدم لنا المؤلف آلان تود رؤيته لفترة التي لمحضضت عنها الحرب العالمية الأولى، ومعاهدات السلام التي تلت نتيجة لها، والعوامل التي أفضت إلى الحرب العالمية الثانية، ويخصص في التطورات التي حدثت في الاتحاد السوفيتي. ثم تناول الحرب الباردة في أوروبا، وآسيا، وأمريكا. كما قدم لنا موجزاً لنداشات تاريخية هامة أحاطت بهذه الموضوعات.

• ثمن النسخة بالاعلاف \$13



قواعد التأثير للمستمعين

دفع الناس إلى العمل عبر مخاطبتهم تأليف: نك مورغان
لعل الكلمات هي غير ما نملك من وسائل تدفع الناس إلى العمل. فالكلمات التي نطق بها نستطيع أن نجعلها تفرس الإقدام في النفوس وأن نزعج الشاعر، كما نستطيع أن نوجهها لكي تطبع بالابتكار البالية وتبين أفاقاً جديدة. إنك لا تستطيع أن تحقق كل ذلك إلا إذا عرفت كيف ترتبط

بجمهورك بصدق. يكشف مؤلف هذا الكتاب في كتابه الذي يجاز بكتاب عملي فائقة أسرار إيجع الخطباء والمحللين والمخاضرين وأعضاءهم بلاغة، وهي أسرار لم يخطر وسما في الحصول عليها. فإذا كنت تسعى إلى أن تعمل الكارك صداها المؤثر في مستمعك فلا يستغك بإجمل الحكمة والقواعد التي يجلبها في هذا الكتاب.

• ثمن النسخة المجلدة \$11 • ثمن النسخة بالاعلاف \$8.30



ما وراء 11 سبتمبر

مختبرات معارضة

سامير فرحات

ما وراء 11 سبتمبر

سكرافتون وآخرون (محررون)

لقد أحدثت الصور المرعبة لإرغام الطائرات بهرجي مركز التجارة العالمي في نيويورك وانتهزهما أثر؟ لا يخفي من نفوس الذين شاهدوا بث هذه الصور المزعجة المشكر.

إذ تم قتلت لحظة من لحظات الكارثة إلا وسجنها عنسات الكاميرات بقطاعاتها المزرقة. ولقد ولد هذا قلقاً واضحاً حيث شعر الذين

انغمسوا في تغطية الحدث، سواء كانوا إعلاميين أو مشاهدين كانوا يختسرون النظر لمشهد لا تطاق رؤيته. لقد استرعى حجم الكارثة الكثير انتباه العالم، وربما كانت هذه هي غاية المهمة الرئيسية، إذ لم تكن الأهداف عشوائية. فكان الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) الذي «عثر التاريخ» قد خلق الحياة بعدد كما كانت قبله أبداً. إن الصورة ذلك اليوم متجلى ختة في ذاكرة الأبنامي والمكويين والذين نجوا من الحادث والذين اقتنوهم أيضاً. فقد تغيرت حياتهم وتبدل مستقبلهم فجأة وعى نحو ذاتهم كما تحطمت آمالهم وخطتهم.

ومع ذلك فإن عرض ثلث المحطات والساعات المصيرية الرئيسية على أوسع نطاق عالمي على أنها «تغير لعالم» يخفي وراءه حقائق العلاقات الدولية والمصالح القومية التي تعزها. ورغم هجمتها للهجمات هذه على الولايات المتحدة وقسوتها وإجرامها، فإنها لم تكن بلا سياق أو قرينة. إذ جاءت مسببة ظروف تاريخية مادية. ولا بد من استبعاد التفسيرات العرضية والمصادفة، بغية فهم هذه الأحداث وحقيقتها. فالحقيقة التاريخية تقتضي الذهاب إلى ما بعد الإمبراز والإدانة والعقاب لمواجهة العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية المعقدة بين الدول والجماعات الدولية وكذلك في الدولة الواحدة.

لا بد من فهم مصادر هذه الأعمال والتضامنها. ولا يعني السعي إلى تعديل الأحداث أبداً التكرار لتحديد المسؤولية. ولا ينبغي لنا أن نخون الموتى وأن نخدع الأسمر المتكوية في متابعتها للعادلة من خلال القوانين والمواثيق الدولية. لقد شكلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) التاريخ المعاصر وشكلت ظلالاً ثقيلة على مستقبل الأيام. فإذا فسلنا في التفاعل القرائن المادية والاجتماعية، وإذا استبعدنا الفروق العميقة ذات الصلة، في تفسير الأحداث، فإننا نتكر لمعانها ونهمل معانيها وأهميتها. ونفسر حقيقتها تفسيراً ركامياً يكون ظاهراً مغفول لكن باطنه يخفي خطراً عظمياً وخطراً عذراً.

• ثمن النسخة بالاعلاف \$13.75

٩٩

شركة الحوار الثقافي

بيروت ص.ب. 6750 - 13 لبنان

هاتف: 961-1-802444 • فاكس: 961-1-790718

E-mail: info@interculturalbooks.com • http://www.interculturalbooks.com

تكتب كتب شركة الحوار الثقافي في جميع البلاد العربية من دار الفوارق للنشر والتوزيع. بيروت. لبنان

كما تطلب في الدول التالية من:

مسر: دار العلوم. القاهرة. هاتف: 5761400 و5761401 من المملكة العربية السعودية من: دار الفوارق ومن: مكتبة جابر في جميع فروعها. وفي الكويت من: مكتبة جابر ومن: الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات. وفي قطر من: مكتبة جابر. وفي البحرين من: المكتبة الوطنية. للقائمة وفي أبو ظبي من: مكتبة الجامعة ومكتبة جابر. وفي لبنان من: دار الفوارق للنشر والتوزيع. وفي الأردن من: الألفية للنشر والتوزيع. وفي سورية: من دار الكريكتين. دمشق. وفي المغرب من: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

إستلم مفاتيح سيارة أحلامك



قرض السيارة الجديدة والمستعملة

مع قرض السيارة الجديدة
والمستعملة من البنك العربي

أقل سعر فائدة

مدة تقسيط تصل إلى 10 شهر

نسبة تمويل تصل إلى 85%

تأمين على الحياة

أسعار منافسة للتأمين على السيارة

إتصل الآن على 19100 أو 3319922

يومياً من صباح حتى مساءً

www.arabbank.com

البنك العربي

أكبر شبكة مصرفية عربية

